

آی کوپٹی آرماہ

الجمالیات
لم یولدن بعد

روایۃ

لترجمة و تقديم
صبری محمد حسن



941

المشروع القومي للترجمة

الجماليات لم يولدن بعد (رواية)

تأليف: آيى كويىى أرماء
ترجمة وتقديم: صبرى محمد حسن



٢٠٠٥

المشروع القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد : ٩٤١
- الجماليات لم يولدن بعد
- آيى كويئى أرماه
- صبرى محمد حسن
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

The Beautiful Ones are not yet Born
By: Ayi Kwei Armah
© Ayi Kwei Armah 1968

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٢

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo
Tel: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

الجماليات لم يولدن بعد

رواية أفريقية من تأليف : آي كويي Kwei أرماء Armah، الغاني الجنسية.

ولد في منطقة توكارادو في غانا في العام ١٩٣٩ . تلقى تعليمه في مدرسة أشيموتا Achimota ، ثم مدرسة جروتون Croton ، ثم التحق بعد ذلك بجامعة هارفارد في الولايات المتحدة.

عمل آي كويي أرماء مترجماً في الجزائر، كما عمل محرراً في التلفزيون الغاني، ومدرساً للغة الإنجليزية كما عمل أيضاً محرراً مترجماً في جريدة أفريقية الفتاة التي تصدر في باريس ، وأمضى الرجل فترة من حياته في كل من الولايات المتحدة وفرنانيا. كما عمل الرجل بالتدريس أيضاً في جامعة ليسوتو وهو حالياً أستاذ في جامعة ويسكونسن Wisconsin . نشر الرجل أربع روايات أخرى ضمن سلسلة منشورات الكتاب الأفارقة . أولى هذه الروايات بعنوان "تقف" ورقمها ١٥٤ في تلك السلسلة، وثاني رواية له ضمن هذه السلسلة بعنوان "لماذا نحن مباركون" ورقمها ١٥٥، والرابعة الثالثة ضمن هذه السلسلة بعنوان "ألفا موسم" ورقمها ٢١٨، ثم رواية رابعة بعنوان "المعالجون" ورقمها ١٩٤.

الجماليات لم يولدن بعد:

رواية عن الفساد، على حد قول جريدة الإيسبكتيتور Spectaor اللندنية،
وأنها معالجة لموضوع الفساد...

تلك العدوى التي يجلبها الفقر على من يرتكبها.

وقد ورد في الملحق الأبي لجريدة التايمز أن القضية الرئيسية في رواية "الجماليات لم يولدن بعد" هي قصة رجل مستقيم يقاوم إغراءات الرشاوى السهلة

والإشباع السهلة الرخيصة، ولكنه لا يحصل على شيء جزاء أمانته، سوى احتقار من يحبهم له. هذه القصة يسردها المؤلف سردًا ينبض بالحياة والحيوية.

وجريدة اللسنر Listner تقول: "هذا كتاب لن ينسى" أما جريدة الصنداي Sunday تلجراف Telegraph فتقول: "ربما كان آبي كوي أرماه Ayi Kwei Armah أحسن كُتَّاب غانا جميعهم، وروايته "إنجاز مرموق".

وجريدة الجارديان، تقول عن الرواية في ملحقها الأدبي: "هذه رواية خرافية أخلاقية المعية لا تطاق وغير مريحة، وهي تتناول القيم الإنسانية، ولا ترحم أولئك المجانين الذين يضطرونهم ضعفهم إلى السعي إلى القوة". أما جريدة سكوتسمان Scotsman فتقول: "رواية نركيها إلى أبعد حدود التزكية" وجريدة اليوركشير بوست The Yorkshire Post تقول: "كتابة متعمقة فيها قدر من خفة الظل تخفيفاً للجوانب الكريهة".

هذه الرواية تُظهر مؤلفها على أنه فنان ملتزم يحاول إفساح مسار إعادة البناء الثقافي عن طريق شكل الفلسفة الديناميكية للتاريخ.

صبرى محمد حسن

الفصل الأول

كان الضوء المنبعث من الحافلة يتحرك متذبذبًا على الطريق إلى أن وقعت في النهاية الدائرتان غير الواضحتين على جسم غير واضح على جانب الطريق في المنطقة التي ينعطف الطريق عندها من الناحية الأمامية . كانت الحافلة قد توقفت. كانت قطعة الحافلة التي أصابها الارتباك قد تحولت إلى اهتزاز متشنج ولا إرادي لا نهاية له ، وكان أجزاءها كانت متماسكة مع بعضها البعض بفعل كمية كبيرة من الصدا هي التي أدت إلى تداعيتها، في نهاية الأمر، تداعيًا تامًا.

نزل السائق من الحافلة إلى الأرض، من فوق الكرسي الذي كان يجلس عليه ثم تناول من جيب قميصه علبة سجائر ماركة توسكرز Tuskers ، ثم وضع سيجارة مطوية في فمه، وأشعل عودًا من عيدان النّقاب. ومع ذلك رفض رأس عود النّقاب الاشتعال ؛ إذ لم يصدر عنه سوى ذلك الوميص الرطب البرتقالي اللون ، عندما ألقى السائق بعود النّقاب إلى الأرض ، وأخرج بعده عودًا آخرًا. وبعد المحاولة الثالثة انطلق من عود النّقاب وهج أصفر دام فترة وجيزة. وسارع السائق بإمساك ذلك اللهب بطرف سيجارته قبل أن ينطفئ ثم تتخم السائق وتتحنج وتقل تقلة كبيرة من البلغم على إطار الحافلة، ثم راح يتمهل بعد ذلك في استنشاق دخان سيجارته.

وفي داخل الحافلة تناول المحصل حقيبته وراح يهرش أو يحك ببطء عنقه في المنطقة التي كان يضغط عليها حزام الحقيبة، وكانت عيناه مفتوحتين، ثم تناول الحقيبة من فوق الأرض ، وأخرج منها سجل تذاكره أو إن شئت فقل يومية التذاكر؛ وبعد أن وضع ذلك السجل أو هذه اليومية بجواره على المقعد، صب كل النقود التي حصلها بجوار ذلك السجل، ثم راح يقابل بين العملات المعدنية التي حصلها وبين عدد للتذاكر المبيعة، ثم بدأ بعد ذلك في إحصاء مبيعات فترة الصباح من التذاكر. وجاء ذلك متفقًا مع توقعاته لمثل هذا الوقت من الشهر: مبلغ صغير من العملات

المعدنية، وعدد كبير من القطع المعدنية فئة البسيو **Pesewa** ، وبعض القطع بنية اللون مع بعض آخر من القطع المعدنية من فئة الخمسة وقليل من القطع فئة العشرة، وندرة قليلة من القطع فئة الخمسة والعشرين. وكانت عملية التحصيل أسهل طوال أسبوع العواطف **Passion Week** ، وذلك على العكس من الأوقات الأخرى. ففي هذا الأسبوع لم يكن المسافرون بحاجة إلى الفكة؛ إذ كان المسافرون يناضلون وهم يفتشون أركان الصناديق وقيعانها بحثًا عن العملات المعدنية صغيرة الفئات التي ربما يكونون قد أغفلوها هنا أو هناك في ذلك القاع أو الركن . وعليه كان الناس يمسون في أيديهم الأجرة المضبوطة ويمدونها في أيديهم إلى المحصل دونما حاجة إلى النظر في وجه ذلك المحصل، الذي يعرف ويعي مدى عجز هؤلاء المسافرين. صحيح أن التحصيل كان أسهل بكل تأكيد، ولكنه لم يكن مرضيًا للمحصل مثلما يحدث في الأيام التي تعقب تسلم الرواتب. والوقت الذي يكون من هذا القبيل لا ينطوي على فائدة كبيرة. صحيح أن الناس كانوا لا يزالون مجرد جنث تمشى في أثناء النوم. ولكن ما الذي يمكن أن يأخذه المحصل من جسم يتعين عليه أن يصح من نومه في البداية، وبخاصة عندما تمسك تلك الجنّة الماشية مجرد الأجرة المضبوطة في يدها، الأجرة فقط بلا زيادة أو نقصان؟ ما أحلى أيام ما بعد تسلم المرتبات والأجور، ما أحلى تلك الأيام. وبعد انقضاء تلك الأيام، يضغط الشهر بطوله على المعانين منذ قديم الأزل، كما لو كانت تلك البقية من الشهر قوة جديدة. هؤلاء السائرون مازالوا نائمين، ولكن كوابيسهم التي هم فيها تجعلهم مجرد أقزام عاجزين عن الهرب منها كما لو كانوا حشرات صغيرة انحصرت في برك وبحيرات لا نهاية لها، كل هذه الأحلام المخيفة ولت وانتهت. هؤلاء الذين رأوا تلك الأحلام أصبحوا يسكرون الآن مثل الأغبياء، وهم عندما يناولون المحصل قطعة معدنية من فئة الخمسين بيسو **Pesewa** ، يطيلون النظر إلى عيني المحصل ليتبينوا ما إذا كان ذلك المحصل يعرف أهميتهم ويقرها أو لا. وبالتالي فهم لا ينظرون في راحات أيديهم ليتأكدوا من الفكة التي أعادها إليهم ذلك المحصل . أيام الزحام خلال الشهر، أفضل بكثير من هذه الأيام.

قسم المحصل النقود إلى أكوام صغيرة وأيقن أن تلك النقود من بينها قطعة واحدة من فئة الخمسين بيسو . وهذا الأمر ليس بغريب أو مستغرب. هذا يعنى أن تلك العملات المعدنية لم تعد على المحصل بأى شئ . لم يخطر ببال المحصل أن تلك العملات يمكن أن تعود عليه ببعض الأرباح فى بعض الأحيان. وعلى الرغم من ذلك، لم يكن مرجحًا لذلك المحصل أن يخبئ شيئًا من وراء العملات المعدنية فى هذا اليوم. كان لا يزال أمام المحصل شئ ما. فقد أعطاه شخص ما قطعة من فئة السيدى Cedi نظير أجره الركوب. ونظر المحصل فى وجه ذلك الرجل الذى أعطاه هذه القطعة من النقود، وأيقن تمامًا، أن عينى من قدم هذه القطعة كانتا تشعان بالسعادة الحائرة المرتبطة بالقوة، والتي تبحث عن الإعجاب. واستطاع المحصل عن طريق عينيه أن يعبر للرجل عن شكره وامتنانه، وأن يشبع فضول ذلك الرجل عن طريق إعجاب الآخرين واندھاشهم. ولم ينزل المحصل عينه عن مقدم تلك القطعة لأنه لو أنزل عينيه عن مقدم القطعة فإن ذلك يمكن أن يلفت انتباه الرجل إلى الفكه التى كانت فى راحة يده، وبذلك يضيع السحر، ومعه الربح أيضًا من هنا لم يبعد المحصل عينيه عن الرجل. ولكنه ثبت عينيه على عينى الرجل الجائعتان، وراح يغذيهما بالإعجاب. وراح المحصل يرقص من نظراته كى يتلقى النظرات الحادة الصادرة عن مقدم تلك القطعة النقدية. كان المحصل قد فتح فاه حتى يتسنى لتلك الابتسامة المشوبة بالتأؤب أن تقول لصاحب تلك القطعة من النقود "تعم" يارجل. أنت رجل، أنت رجل عظيم بحق؛ وكان المحصل قد وضع قطعه النقود، وهو يتحسسها بأصابعه، فى حقيبتة، ثم قام بعد ذلك بوضع تشكيلة مربكة من الفكه، التى كانت أقل بكثير مما ينبغى إعادته لتلك الرجل الكبير. وكان ذلك الرجل الكبير السعيد قد وضع تلك الفكه فى جيب قميصه. بل إنه لم ينظر حتى إلى تلك الفكه أو يتفحصها.

كانت قطعة النقود من فئة السيدى Cedi فوق المقعد. كانت تلك القطعة تبدو غريبة بين كل القطع الأخرى، وخطر ببال المحصل للحظة واحدة من السخرية

والاستهزاء أن ورقه من الأوراق لها أهمية أكبر من المعدن اللامع المصقول. وفي ضوء الحافلة الضعيف راح المحصل يطيل النظر إلى العلامات المدونة على تلك الورقة المالية. وهنا فرضت الرائحة الغامضة نفسها على ذلك المحصل، وهنا راح الرجل يلف الورقة المالية عن عمد وراح أيضًا يتشم رائحتها. وتعين عليه تشم الورقة مرة ثانية، وهو واقف ويعيد عن الجلد الذي يكسو كرسى الحافلة. ولكن تلك الرائحة لم تكن نتيجة خطأ ارتكبه هو. ولما كان مبهورًا بتلك الرائحة فقد راح يستشقه ببطئ إلى داخل رئتيه. كانت تلك رائحة غير متوقعة لشيء جديد على المحصل. كانت رائحة قديمة جدًا، ومتعفنة جدًا، إلى حد أن العبق الناتج عنها كان غريبًا وعجيبًا تمامًا. الغريب حقا أن رجلا كهذا تمر من خلال يديه أعداد كبيرة من تلك الأوراق، دون أن يعرف كنه رائحتها.

بدأ المحصل يتشم العملات المعدنية بعد أن تشم تلك العملة الورقية، وجاءت العملات المعدنية مخيبة لآمال المحصل. لم تكن الرائحة الصادرة عن العملات المعدنية مرضية مثل الرائحة التي تصدر عن العملة الورقية. بدأ المحصل يدس العملات المعدنية داخل حقيبته ولكن بعد أن راح يوازن بين أعداد التذاكر والمبلغ الذي جرى تحصيله، وذلك من باب التأكد من الربح الذي حققه. أحس المحصل أنه قانع وراض تمامًا. كان يرجو أن يكون ذلك اليوم طيبًا ومرضيًا له. سواء أكان ذلك هو أسبوع العواطف أم لم يكن. وهنا افتقدت فتحتا أنف المحصل الرائحة النتنة الغريبة الصادرة عن الورقة المالية، وتمددت الفتحتان مره أخرى أملا في إنعاش نفسيهما بتلك الرائحة العجيبة القديمة. وهنا أخرج المحصل الورقة المالية مرة ثانية وفردها من جديد وراح يضغط بها وهي منبسطة على فتحتي أنفه. ولكن في هذه المرة أصبح مشوبًا بنوع من الخزي والخجل. استدار المحصل، وهو يشعر بالخزي والخجل، كيما يتأكد أن الحافلة كانت فارغة.

وقعت على عيني المحصل عينان كانتا مفتوحتين. كان صاحب هاتين العينين جالسًا في نهاية الحافلة، وكان جسمه منحنيًا على شكل زاوية إلى الأمام حتى يتمكن من

إسناد نقنه على ظهر الكرسي الذي أمامه، وكان الرجل يحمل نقنه بين راحتي يديه. هاتان العينان أخافتا المحصل. الأدهى من ذلك أن مجرد رائحة العملة الورقية أصبحت الآن مصدر إيلام للمحصل، يضاف إلى ذلك أنه عندما تحسس تحت إبطه وجده باردًا تمامًا. ترى هل هذا هو الرجل الذي أعطاني العملة الورقية، وراح يتحول إلى مراقب لصيق لي؟ ترى هل كانت لعبته مجرد جزء من لعبة المراقب الأكبر؟ بدأت المخاوف الغامضة تشق طريقها إلى ذهن المحصل تحسبًا للعقاب وخوفًا منه. لم يخطر ببال ذلك المحصل أن تشكيلة متباينة من ضروب الخوف يمكن أن تتوارد على ذهنه خلال وقت قصير كهذا، وهنا تبدي لذلك المحصل مدى صغر الجريمة ومدى حماقتها، كما اتضحت أمامه ضخامة العقاب المنتظر؛ الأمر الذي جعله يشفق على نفسه ويرثى لحاله. لقد أوشك الرجل على الوقوع فريسة للعبة من اللعب القاسية.

استمر المراقب في حملته. ولم يكن بحاجة إلى إلقاء الاتهامات جزافًا؛ نظرًا لأن كل شيء كان قد قيل بصوت عال وعلى نحو كامل في ذهن المحصل.

"لقد رأيناك. لقد رأيناك. لقد رأينا كل شيء؛ لم يكن ذلك صوت المراقب. ولا يمكن أن يكون ذلك صوت أي إنسان آخر ممن يعرفهم المحصل. لقد كان صوتًا كبيرًا يتدحرج نحو الأسفل وفي كل مكان وراح يغطي الفراغات الخالية كلها في الذهن ولم يتوقف مطلقًا في أي مكان على الإطلاق. وهذا هو ما حدث. إنه المراقب. ما الذي يمكن أن يقوله رجل مسكين في مقابل أصواتهم؟ ما الذي كان هناك يمكن أن يرد على الأعيب وخداع الأبرياء؟

ومن هنا فإن الكلمات والعبارات التي تلقى في أغلب الأحيان على شكل نكات، يمكن أن تكشف عن معناها الحقيقي.

"وبكى يسوع. آه، وبكى يسوع".

لم يبك المحصل فى لحظة يأسه. وفتح فاه ونطق بأقصى ما بوسعه من الغضب قائلاً: 'ماذا تريد؟'

ولكن المراقب الذى كان يجلس منحنيًا فى الكرسى الخلفى من الحافلة التى كانت ترتعد، لم يحرك ساكنًا. وكل ما فى الأمر أن عينيه واصلتا حملتهما، وأحس المحصل بالإهانة والقهر، عندما غرست هاتان العينان رسالة الذنب الذى اقترفه المحصل داخل ضميره وهنا بدأ الغضب يتناوب مع الخوف المشوب بالتعرق، الذى لم يحدث أن خبره ذلك المحصل من قبل. بدا له، أن شيئًا ما كان يجرى تجريدة منه، الأمر الذى جعل جسد المحصل يحس كما لو كان قطعة من الإسفنج الجاف؛ كان يحس أنه خفيف جدًا، وأنه كان تحت رحمة حبات النسيمات الخفيفة.

بعد ذلك، وبصورة مفاجئة، أدى صمت المراقب إلى امتلاء المحصل بنوع من الأمل المفرح، وعندما استرجع المحصل تلك اللحظة التى سبق أن عاشها راح فيما بينه وبين نفسه يؤنب نفسه على تلك المخاوف الصبانية والسبب فى ذلك، أولاً وقبل كل شيء، هو: كيف أخاف المحصل نفسه بتفكيره أن المراقب سيكون هو الذى سيحدد مصيره وقدره؟ ما الذى جعله يضع ذلك الرجل الصامت فوق نفسه هو، أليس من المحتمل والمرجح، بل ومن المؤكد تمامًا، أن ذلك المراقب هو رجل وإنسان أيضًا مكون من جلد وشحم، ودم ولحم، وله أيضًا معدة وحلق يحتاجان إلى الرعاية والعناية؟

وبهوء تسللت يد المحصل إلى داخل جيب قميصه لتناول علبة سجائر من ماركة السفارة Embassy. لم يخطر ببال المحصل أنه سوف يتعين عليه فتح علبة السجائر بمثل هذه السرعة ولكن فى الوقت الراهن هناك ما يدعو إلى مثل هذا العمل. كانت روح الرجل بحاجة إلى من يسحبها أو يجرها. من هنا كانت هناك مساومة. مهمة معلقة فى الهواء. تتحنح المحصل كى يسلك زوره (حلقه) ثم ابتلع البلغم.

قال المحصل وهو يميل السجائر ناحية المتواطئ المقصود: 'ياأخ، ياأخ، هل يمكن أن تعيرني شيئاً من الاهتمام؟' كانت العينان المحمقتان تبدوان كما لو كانتا تودان الحصول على ثمن أفضل. وهنا استشعر المحصل أن شيئاً من خوفه السابق بدأ يعاوده من جديد. وبدأ الرجل بهدوء، قدر المستطاع، يمشى في اتجاه مؤخرة الحافلة.

قال المحصل، عندما وصل إلى الرجل: 'لعلك فهمت ؛ أن بوسعنا أن نتقاسم.' ولكن جلبة الحافلة التي لا تنتهي، هي وحدها التي أجابت على كلام المحصل واستوعبته. كان الرجل الذي يجلس في الكرسي الموجود في مؤخرة الحافلة، مازالت عيناه تحمقان، حتى عندما قرب المحصل علبه سجائره منه وأصبحت على بعد قدم تقريباً من وجهه. وهنا تبدل استياء المعطى بفضول شديد، ثم انحنى المحصل لينظر إلى ذلك الوجه الذي يحملق فيه، في حين كانت تعلق وجهه هو ابتسامة تتم عن الرضا والمصالحة.

وهنا امتلأ المحصل غيظاً واستياءً شديداً والسبب في ذلك، أن المحصل، رأى في ضوء الحافلة الخافت المتذبذب سيلاً من اللعاب والزيت ينساب من الجانب الأيسر في فم ذلك المراقب. أن ذلك السيل من اللعاب الذي كان ينساب مثل الزيت تعلق أول ماتعلق بأصابع يد المراقب اليسرى، ثم تسال من أسفل تلك الأصابع وراح ينتشر إلى أن لامس بطانة المقعد المعدنية وأصبح له بريق داكن اللون، ثم سال ذلك اللعاب والزيت ببطئ إلى أن وصل إلى الغطاء الجلدي القديم الذي كان يكسو ذلك المقعد، ثم راح يتصرف بعد ذلك في المنخفض الناتج عن الوصلة الناتجة عن لحام أرجل المقعد بأرضية الحافلة. لم يكن المراقب مراقباً وإنما كان مجرد شخص نائم.

وهنا تدافعت كلمات الغضب خارجة من فم المحصل بطريقة متسارعة أيقظت النائم.

"أنت ياملعون، يابن الكلبة! يا شيئاً عديم القيمة! هل تحسب أو تظن أن الحافلة ملك لجدك؟"

استيقظ النائم ونظر إلى متحديه، دون أن يفهم شيئاً من كلامه في بداية الأمر. وراح يلحس البلل الموجود على نقه، ولكنه لم يفلح في ذلك. نظراً لأن الكمية كانت أكثر مما يتصور، ويتعين عليه تجفيف ذلك البلل براحة يده. ونظر الرجل إلى يده، وكانت كلها مغطاة بذلك السائل اللعابي. وبعد أن اشتاط المحصل غيظاً وغضباً، اقترب من الرجل ووقف إلى جواره وراح يشير غاضباً إلى المقعد الذي في الأمام.

"هل أنت طفل؟ أنت تنقيء هذا القيء كريه الرائحة في كل أنحاء المكان. لماذا؟ أليس لديك غرفة نوم؟"

راح الرجل ينظر إلى الذنب الذي يلمع أمامه. وتملكه الخجل والكسوف من داخله وسارع إلى تنظيف ذلك الذنب الذي جناه هو. ولسبب أو لآخر، وربما كان ذلك من قبيل الشرود الذهني، أدخل الرجل يده اليمنى في جيب بنطاله. وعندما أخرج يده كانت تسحب معها ليس منديلاً وإنما بطانة البنطال رمادية اللون الخاص بجيب البنطال، ومعها مجموعة من تذاكر الحافلات القديمة. أعاد الرجل البطانة إلى مكانها مرة ثانية وهو يعتذر عما حدث ثم راح ينظر إلى المقعد ومن فوقه القيء. وإن هي إلا لحظة، اتخذ الرجل قراره بعدها. ثم يجلس بعد ذلك متعمداً على الكرسي، ثم يتكى على المسند الخلفي، وراح يحرك جزعه في اتجاهات مختلفة مرات عدة، إلى أن مسح ذلك البلل.

ضحك المحصل ضحكاً عالياً "إنن يا أيها الحضري، أنت ليس معك؛ أيضاً منديل" لم يرد الرجل بكلمه واحدة. ونظر إلى المقعد. وتأكد أنه أصبح جافاً على النحو المسموح به في مثل هذه الظروف. ولكن استهزاء المحصل وازدراءاته تحول في النهاية إلى عدااء من جديد.

صاح المحصل رافعاً صوته فوق صوت خشخشة الحافلة وجلجلتها: "حسنًا، انزل من الحافلة!"

كان الرجل قد بدأ ينزل فعلاً من الحافلة، ولم يقل كلمة واحدة. وعندما وصل إلى آخر درجة من درجات سلم الحافلة، كان المحصل يجلس على مقعد بجوار واحدة من نوافذ الحافلة، ونظر خارج الحافلة وهو يصيح مودعاً ذلك الرجل وهو يقول له: "أم أنك كنت تنتظر أن تتغوط في الحافلة؟".

لمست قدما الرجل أرض الشارع، وراح يمشى ببطئ بجوار الجانب الأمامي من الحافلة وهو يحاول تحسس طريقه في هواء الفجر كثيف الضباب. وأنهى صوت المحصل رسالته، مطوقاً الرجل بها. وبينما كان الرجل يمر بجوار السائق، سعل السائق، سعالاً قصيراً وعنيفاً انتهى بهمة خشنه نتجت عن تسليكه لحلقه. ثم استجمع السائق كل قوته وتقل كل ذلك البلغم أمام ذلك الرجل.

كان الرجل الذي نزل لتوه من الحافلة يستشعر ذلك الرذاذ المصاحب للبلغم المتقول وهو يستقر على خده وعلى جانب من جانبي شفته العليا. نظر الرجل إلى الخلف وهو مغتاض، ليرى السائق الذي لم يستشعرندماً أو أسفاً، وهو يتحنح ثانية متخماً من أجل نقله أخرى. وهنا أسرع الرجل خطاه بعض الشيء.

كانت الأضواء الخافتة المرتعشة والمنبعثة من الحافلة الواقفة، تتركز على جانب الطريق على شكل خط منحرف مائل وغير واضح؛ كان ذلك الضوء متسلطاً على كومة صغيرة من الطين موضوع فوقها شيئاً يشبه اللافتة. وعندما اقترب الرجل من تلك الكومة الصغيرة، بدأت تلك الكومة تأخذ شكلاً جديداً وتحولت اللافتة إلى صندوق من صناديق النفايات مربع الشكل.

كان ذلك الشيء عندما تم تركيبه عبارة عن إشارة بيضاء لامعة، وكان ذلك منذ فترة قصيرة. أما الآن فإن الكتابة الموجودة على تلك الصندوق أصبح من الصعب قراءتها أو التعرف عليها. فقد كانت تلك الكتابة مغطاة بطبقة كثيفة من كل أنواع

السوائل والعصارات التي يمكن أن تخطر على قلب أي بشر من الناس . ولكن تلك الأحرف وهذه الكتابة كانت تقول في يوم من الأيام وبشكل واضح تمامًا:

"صندوق النفايات"

كانت هذه الكلمات مطبوعة باللون الأزرق. أما السطر التالي لها كان مكتوبًا بخط أكبر وبحروف كبيرة، باللون الأحمر ومنطوقة يقول:

"حافظ على نظافة بلدك"

بالمحافظة على نظافة مدينتك

كان ذلك الصندوق واحدة من تذكيرات الحملة الأخيرة التي جرت لتخليص البلدة من قمامتها ونفاياتها. هذه الحملة، شأنها شأن الحملات السابقة، كانت حملة مؤثرة للغاية، كما تشير الشائعات أنها أنفق عليها مبلغًا كبيرًا من المال. والمؤكد أن الصحف كانت عامرة بالكلمات التي تقول للناس وللقرءاء إن القمامة والنفايات أمر مرفوض غير مقبول، ولا بد من استئصال القمامة والنفايات والقضاء عليها والتخلص منها في هذه البلدة. وعلى امتداد أيام متتالية كانت هناك سلسلة من المقالات النارية التي تطالب الجميع بالنظافة. كما قدمت الإذاعة برنامجًا تحدث فيه عن النظافة وأحدًا من الأطباء، كما تحدث فيه أيضًا وأحدًا من القساوسة ، كما استضاف البرنامج أيضًا أحدًا المحاضرين من جامعة ليجون Legon للتحدث عن الموضوع نفسه. والذي لاشك فيه أن الثلاثة كانوا متفقين على الآثار الضارة التي تترتب على القذارة وانعدام النظافة. تأثر الناس تأثيرًا كبيرًا بتلك الحملة. وإذا ما حكمنا على تلك الحملة من واقع مانشر وماقبل عنها، سنجد أنها في واقع الأمر، وعلى حد قول الوكيل الأول لوزارة الصحة، في المؤتمر الذي عقد حول هذا الموضوع، إنها كانت أهم الحملات قاطبة.

لقد جرى تنشيط صناديق القمامة في مقر إقامة الوكيل الأول للوزراء. وعلى حد قول ذلك الوكيل فإن تلك الصناديق سيجري وضعها في المناطق المهمة في كل

أنحاء البلدة، وأن تلك الصناديق لن تكون مجرد براميل لتجميع القمامة والنفايات، ولكنها ستكون أمثلة مشرفة على النظافة.

في النهاية لم يجر توزيع الكثير من تلك الصناديق، بالرغم من الكلام الكثير الذي قيل عن المبلغ الكبير من المال الذي دفع ثمنًا لتلك الصناديق. وبالرغم من ذلك، فإن تلك القلة القليلة من الصناديق التي جرى نشرها في البلدة برزت أمام أعين الناس ولم تغب عن البال. استعمل الناس تلك الصناديق استعمالاً طيباً، بحيث أن امتلاء تلك الصناديق بالقمامة لم يكن يستغرق وقتاً طويلاً. وواصل الناس استعمال تلك الصناديق، إلى أن بدأت تطفح بقشر الموز، وبذور المانجو وبقايا البرتقال المعصور، ومصاصة قصب السكر، هذا بالإضافة إلى اللقافات الغليظة من الورق، بنى اللون الذي يستعمل في لف وتحببش الطرود. ولم يعد الناس بحاجة إلى الذهاب إلى صناديق القمامة. إذ كانوا يلقون فضلاتهم وقمامتهم من مسافة غير بعيدة، فوق كومة الزباله التي جمعت حول الصندوق، الأمر الذي كان يؤدي إلى تطاير قدرًا كبيرًا من سوائل القمامة والمخلفات على قمة الصندوق وعلى جوانبه أيضًا. وبالرغم من ذلك كانت ملامح الصندوق مازال ظاهرة وسط تلك الكومة الكبيرة من القمامة والنفايات، بالرغم من تعذر قراءة الكلام المكتوب على الصندوق.

بينما كان يمر بجوار صندوق القمامة، وضع السيارة في جيب بنطاله الأيمن وأخرج من الجيب بقايا التذاكر المستعملة وألقى بكل مامعة من مخلفات على كومة القمامة تلك. وعند منحنى الطريق توقف ذلك السيار لحظة، وتحول نظره نحو الأسفل كما لو كان يحاول اتخاذ قرار بشأن أمر من الأمور. وعندما هم بعبور الطريق إلى الجانب الآخر منه، كانت عيناه لا تزالان مثبتتان على زفت الطريق في الأمام، ومشى الرجل ببطئ تام.

وسرعان ما تسلط بصورة مفاجئة الضوء الكبير المنبعث من سيارة مسرعة على ذلك السيار وفي تلك الأثناء أولن شئت فقل: في تلك الثواني السريعة بلغت الدهشة من الرجل مبلغًا عجز معه عن الحركة. وبدلاً من التحرك، رفع السيار عينيه

بحركة حائرة توحى بانعدام الحول والطول، وتلقى في عينيه الحائرتين ذلك الضوء بقوته المبهرة. وهنا فاجأت السيّار بقايا الإطار التالف المنتثرة على الطريق ورائحة المطاط المحترق، الأمر الذي أخرج الرجل من نعاسه الطويل وأعادته إلى صوابه. وأمام ذلك الرجل توقفت تلك السيارة المسرعة وإطاراتها في اتجاه الجانب الأيمن من الطريق. كانت تلك السيارة واحدة من سيارات الأجرة الجديدة، وكانت لا تزال تتحرك جيئةً وذهابًا بسبب التوقف المفاجئ. أفاق الرجل من خدره وقطع الخطوات القليلة المتبقية إلى أن وصل إلى جانب الطرق. وشاهد الرجل في منطقة بعيدة عن الضوء المبهر الصادر عن السيارة، معالم خيال غير واضح لرأس أحد السائقين، وهو يطل من نافذة السيارة. وراح سائق التاكسي على امتداد لحظات من الصمت المطبق الذي لا يصدقه عقل، يطيل النظر إلى ذلك السيّار، وراح بلا أدنى شك، يتفحصه من أعلى إلى أسفل مرات عدة. ثم بدأ يتكلم بصوت مخيف "أيها الفرد غير المختن." تكلم سائق التاكسي كما لو كان كلامه يعبر عن حقائق مبتذلة خالية من الطرافة. "يا ضعيف العقل. لو كان أجلك قد قرب فأبحث عن شخص غيرى ينتزع منك حياتك التافهة؛ خطى الرجل خطوة إلى الأمام كيما يقترّب من سائق السيارة الأجرة، وقال له معتذرًا: "لم أكن منتبهًا. أرجو أن تقبل اعتذاري."

لكن يبدو أن الاعتذار زاد من غضب سائق التاكسي وقال مقاطعًا رقة كلام الرجل: "تقول: آسف. في المرة القادمة حاول تبين الطريق الذي تسير فيه." أدار السائق محرك سيارته مرة أخرى، وعندما بدأت السيارة تتحرك إلى الأمام انفجر سائق السيارة الأجرة في موجه من السب واللعن البذيء، "ملعون فرج أمك المتعفن!".

بدأ صوت السيارة الناعم يتزايد مع تزايد سرعة السيارة. ومع استغراق المسافة للسيارة الأجرة بدأ صوت السيارة يخفت شيئًا فشيئًا.

ازداد ببطء تحرك الرجل عن ذى قبل، وراح يسير بمحاذاة قناة الصرف المحفورة في الأرض بطول الطريق. تجاوز الرجل مكتب البريد الكثيب، وأسرع الخطى رغما عنه لأنه يهبط نازلًا من فوق التل الصغير المنحدر الذي يقع خلف

مكتب البريد. وعلى امتداد الشارع كانت مصابيح الشارع تلقى أضواءها على صف من المباني التجارية القديمة، وكان ضوء تلك المصابيح ينتشيت بفعل جدران الملاجئ المصنوعة من الصاج المضلع في المنطقة الواقعة أمام بوابات المحلات والدكاكين، وكان الخفر هم وأفراد الحراسة ينامون تحت هذه الملاجئ.

مر الرجل على كثير من المحلات والأماكن العامة. كما مر أيضا على منطقة المحلات الفرنسية C.F.A.O. كانت المحلات موجودة هناك بالشكل الذي كانت عليه من قديم الأزل، على حد علم ذلك الرجل هذا واحد من المحلات التي تغير اسمها بعد الإستقلال. هذا المحل موجود من قديم الأزل، وكان ينتمى في الأيام الخوالي لواحدة من اليونانيين الأثرياء. وكان يعرف باسم آيه. جى. ليفنتوس Leventis. هذا يعنى أن المحل قد تغير بشكل أو بآخر. ومع ذلك فإن القمص التي كانت تروى عن هذا المحل لم تكن من تلك القمص التي تتحدث عن شيء شبابه وملسء بالحيوية؛ هذه القمص كانت من قبيل تلك القمص القديمة التي تروى عن الأيدي التي جرى ترطيبها وراحات الأيدي التي تتلطح بالشحوم. هذه القمص كانت تثير الغضب في الماضي، لم تعد تعرف أين تتجه اعتباراً من الآن. السبب في ذلك أن أبناء الأمة أصبحوا هم المسئولين عن كل شيء. كيف حل الجديد محل القديم؟.

كانت كتلة تلة ينسوا Yensua ترتفع فوق الأرض الواقعة خلف منطقة الشركات. في تلك المنطقة يبدأ شكل تلك التلة في التضائل، الأمر الذي يمكن من رؤية السماء، التي كان الظلام مخيمًا عليها، ولكن ظلمة السماء لم تكن أشد من ظلمة الأرض الموجودة تحت هذه السماء. كان مبنى فندق الهوى والنزوات عديم النفع بلونه الأبيض، وجانبه المسطح متعدد الطوابق، وأضوائه الغامرة يقع على قمة تلك التلة ويتحكم في تلك التلة، كما يتسود المنظر في المنطقة الواقعة أسفل ذلك الفندق. في بعض الأحيان كان ذلك المبنى الضخم يتبدى للرأى وكأنه جرى بناؤه في ذلك المكان من أجل هدف محدد، مثل جر غضب الناس الذين يعانون ويتكبدون الآلام. لكن لو قدر، في تلك الأيام أن يكون البعض منهم غاضبًا وجائعًا، فإن أولئك الغاضبين

والحائقين كانوا يتمثلون، على وجه اليقين، في أولئك الذين كانوا يستشعرون وحدة الحزاني في عيد من أعياد المرح والحبور. ربما يكون الهدف من هذا المبنى، أو إن شئت فقل: ذلك الشيء أبيض اللون، هو أن يجبر على نفسه حب شعب جائع يتطلع إلى مجيء عيد من هذا القبيل. هذا الوميض، في لحظات الأمانة، كانت له قوة تستطيع أن تحدث في داخل الناس نوعاً من الغموض المربك المحير. قد يكون من الأفضل القول: بأن الوميض لم يحدث مطلقاً أي نوع من الجذب. قد يكون من المفيد أن تقول ذلك، ولكن ذلك سيكون أبعد ما يكون عن الحقيقة. وبمرور الوقت كان هناك شيء مخيف يتبلور ويتشكل مع مرور الوقت. أصبحت المسألة أكثر صعوبة ومشقة فيما يتعلق بمسألة إن كان الوميض يفرق أكثر مما يجمع، أو يجمع أكثر مما يفرق، أم أنه كان يفعل الأمرين في آن واحد مولداً بذلك شعوراً مرتباً ارتباكاً مقززاً طوال تلك الأيام.

بعيداً عن المحل الفرنسي، كانت طاولات الطعام المواجهة للمربع السكني، مهجورة، اللهم باستثناء قشر البرتقال بشكله الأبيض من الداخل، وبخاصة إن ذلك القشر كان يظهر بصورة واضحة أثناء الظلام، إذ كان يبدو للرائي وكأنه نوع من أنواع الديدان السمينة حول فتحة الميزاب أمام الطريق؛ كما يستطيع الرائي أن يميز أيضاً قشور القمح التي تجمعت مع بعضها على شكل كرات. وقف الرجل متشككاً عندما وصل إلى البناية الكبيرة المواجهة لطاولات الطعام. هذا هو المربع السكني. هذا هو المربع السكني الذي شاهده من قبل وعرفته من قبل.

ما زال هذا المبنى يثير الكثير من الدهشة بسبب كبر حجمه. لم يخطر بالبال أن ذلك المبنى يمكن أن يكون جميلاً في يوم من الأيام، ومع ذلك كان من الواضح أن إقامة ذلك المبنى حظيت بقدر كبير من الاهتمام وبخاصة تلك الأحجار المستوية التي استخدمت في البناء. كل حجر من تلك الأحجار كان يحمل رسماً لزهرة *hibiscus* وفيما بين إلتقاء كل حجر بالآخر، كان هناك أخدود واضح فيما بين الحجرين، الأمر الذي كان يجعل المبنى يبدو لمن ينظر إليه وكأنه مكون من خطوط رأسية

وأخرى أفقية. ولكن هذا المنظر لم يكن يظهر إلا من زاوية معينة. ومن النقاط الأخرى كانت صور جدران المبنى تعطي انطباعًا مختلفًا وأقل إبهامًا. وعلى امتداد سنوات طويلة كان ذلك المبنى يدهن في فترات غير منتظمة بدهان من دهانات الجدران والسقوف الصفراء الداكنة. وفيما بين الفترات التي كان المبنى يدهن خلالها بذلك الدهان، كانت طبقات الدهان القديم تغطي تمامًا بتراب بني اللون ناعم كان يهب على تلك الجدران قادمًا من الطريق؛ هذا الغبار الناعم كان مخلوطًا أيضًا مع غبار الفحم وغبار الزلط الذي يحيط بمنطقة القضبان الحديدية من الداخل ومن الخلف أيضًا. يضاف إلى ذلك أن أركان الجدران في المناطق التي يعبر الناس منها كانت ملطخة دومًا بشحوم القطارات التي تركتها الآن الأيدي التي تعدت على تلك الجدران. كل طبقة من طبقات هذا الغبار وتلك الشحوم كانت تحدث كما لو كانت تراكمًا حتميًا خلال قصه مستمرة لم يعرف أحد بدايتها، ولا يشغل أي إنسان باله بنهايتها. كانت الفراغات التي ما بين الأحجار ما تزال موجودة، ولكنها كانت تبدو في معظم أجزائها، كما لو كانت ستضيع في شكل من أشكال انصهار الشموع. صور الزهور التي على الأحجار أصبحت تغطيها أيضًا قشور الطلاء والدهان، مما جعل ذلك المبنى في نهاية الأمر، يولد انطباعًا بالحزن والكدر. هذا الانطباع كان يظهر أيضًا وبصورة ملحّة أثناء النهار، بل إن هذا الانطباع كان يتعمق أكثر وأكثر بفعل كآبه الأحرف. والكتابة الاسمنتية التي تقول على واجهة المبنى.

مجمع إدارة السكك الحديدية والموائى

رقم ١٩٢٧

إختفى الرجل خلال الفتحة الضخمة التي في مقدمة المبنى وراح يرتقى السلم الأسمنتى العريض وحاول الاستعانة بالدرابزين، ولكنه سرعان ما سحب يده إلى الخلف بطريقة لا شعورية. عندما لمست أطراف أصابع الرجل نشوءات الدرابزين أحس بشيء عضوى مقلق وغير مريح. كان هناك مصباح ضعيف يتلى فوق السلم

بكامله، وكان ذلك المصباح معلقاً بخيط رفيع غير مرئي. في هذا الضوء الضعيف كان من الصعب رؤية الدرايزين، وكان المنظر يشبه قطعة طويلة من الجلد المريض. هذا الدرايزين كان مصنوعاً من الخشب، وإلى يومنا هذا كانت تظهر في الشقوق الناتجة عن الانتفاخات التي طرأت على ذلك الخشب، قطع من الخشب العتيق بنى اللون. كانت هناك بعض التشققات بالرغم من أن القسم الأكبر من تلك التشققات لم يكن نافذاً إلى الخشب الموجود في الأسفل. لم تكن تلك التشققات حادة، ولكنها أصبحت متدبرة وناعمة الملمس، وقد بدأت تظهر عليها بعض علامات التحلل. في بعض المواقع كان الخشب يبدو كما لو كان مدهوناً، ولكن يبدو أن ذلك كان منذ زمن بعيد. كان الورنيش يستخدم في طلاء الخشب، كانت أنواع الخشب، متباينة وأنواع الطلاء أو الدهان متباينة أيضاً. ويستحيل أن يحصى أى إنسان كمية الورنيش، وعدد الخرق التي شاهدها خشب داريزين السلم. ولكن الواضح أن قدرًا كبيراً من المواد جرى رشه هنا ليعطى المكان رائحة الترابنتينا التي تمحى ذلك الذي جرى هنا، وما جرى هنا أيضاً، وكذلك الذي سيحدث في المستقبل ويستمر إلى ما بعد المستقبل، كان بمثابة نوع من الحرب الدائرة طوال صمت العصور؛ في أتون هذا الصراع، نجد أن عيون السادة المجانين، وأذانهم الصاغية، هي التي تستطيع الإمساك بأنفاس المناضلين الخادعة.

الخشب الموجودة في الأسفل هو الذي سيربح في النهاية. الأمل المشوب بالألم مسأله إلى الإحباط. كان ذلك واضحاً. من الطبيعي أن يتعفن الخشب. صحيح أن الورنيش سوف يصاب بالعفن. ولكن في النهاية سيكون العفن هو الذي احتبس كل شيء في أحضانه. لم يكن مطلوباً من العفن أن يحارب. يكفي فقط أنه موجود وعلى قيد الحياة. في المسار الطبيعي للأشياء قد يجرى الإهتمام بأنواع الورنيش الجديدة على اختلاف أنواعها، أو الإهتمام بقوة التنظيف الكيماوية التي في تلك الأنواع، وقد يتحول كل ذلك إلى نوع من الأقدار في نهاية الأمر، ويحتاج الأمر إلى المزيد من الورنيش في نهاية الأمر. وبذلك لا يكون الخشب وحيداً.

وإذا مانحينا الخشب جانبًا، بطبيعة الحال، نجد هناك الناس أنفسهم، هناك كثير من الأيدي التي عاونت في طلاء ذلك الخشب. هذه هي أصابع اليد اليسرى خلال الرحلة السريعة، التي يقطعها أصحابها وهم يصعدون إلى الأعلى عائدين من المرحاض في الدور الأسفل إلى المكاتب في الدور العلوى. أما أصابع اليد اليمنى فلا تزال مبللة بنقاط البول، بعد إتمام عملية التبول، وهذه رائحة العرق تتبعث من أجسادهم. وهذه راحات أيدي المراسلين والسعاة وقد تلوثت بالمخاط بعد أن نظفوا أنوفهم وراحوا يبحثون عن مكان يلقون فيه بذلك المخاط الذي في قبضة أيديهم. وهذه هي الأيدي في فترة العصر لم ينظفها أصحابها من بقايا الحساء. هكذا نجد أن الخشب هو الذي سيكسب في النهاية.

الفصل الثاني

خفت ضوء الصباح جعل كل الألوان داخل المكتب تبدو غريبة. هذه هي النوافذ الموجودة على الجهة اليمنى وعلى الجهة اليسرى اكتسبت لوناً أصفرًا فاقعًا يشبه الزيت، أدى إلى إخفاء للون الحقيقي لهذه النوافذ. وفي الوسط، حيث توجد الطاولة التي يجلس إليها كتبة الصباح، نرى أن الكراسي كلها جرى وضعها على شكل صفين طويلين، وقد أميلت تلك الكراسي إلى الأمام ناحية حافة الطاولة.

عندما مر الرجل بجوار الطاولة تمسحت يده في ظهر كرسي من الكراسي، ثم انزلت إلى أن وصلت إلى نهاية ظهر الكرسي. كانت على الكرسي بقع، كان لها ملمس مماثل لملمس درابزين السلم، وبحركة لاإرادية وجد ذلك الرجل نفسه يحك الإصبع الذي لامس الكرسي، كما لو كان يتوقع وجود قطعة رطبة من الكرسي أو الدرابزين وقد علقته بإصبعه.

كان الضوء ينبعث من أرضية المكتب خافتًا وضعيفًا وكثيًّا، مثل كرة توقف ارتدادها توقفًا تامًا. وفيما بين الألواح الخشبية تجمعت الأقدار والورنيش على نحو كانت تبدو معه، خلال هذه العتمة والكآبة، أفتح قليلا من لون الألواح الخشبية نفسها. وفي بعض المناطق القليلة كانت تلك الأقدار تتجمع على شكل حواف، تسبب انزلاق الأقدام انزلاقًا خفيفًا.

في مكتب السيطرة والتحكم كان موظف الوردية الليلية لا يزال جالسًا في مقعده، بعد أن غالبه النوم. كان رأسه متكئًا تمامًا على ذراعه الأيمن، الذي حاول أن يجعل منه مخدة مريحة. كانت الذراع اليمنى قد انزلت إلى جانب من الأجناب، الأمر الذي جعل رأس كاتب الوردية يلامس أعلى الطاولة في المساحة التي ابتعدت عنها الذراع. كانت الذراع اليسرى تتدلى، وتتأرجح بين الحين والآخر بشكل غير ملحوظ، بفعل الكرسي المخلع الذي يجلس عليه كاتب الوردية.

مشى الرجل فى سكون وبلاجلية أوضوضاء فى اتجاه الكاتب النائم ولمسه لمسة حانية. لم تحدث استجابة فورية، ولكن الرجل واصل الضغط برفق على كتف الكاتب، واستمر فى ذلك الضغط اللطيف إلى أن استيقظ النائم. استيقظ النائم وقد تملكته نوبة قصيرة وقوية من الفزع. وعندما أفاق النائم من ثباته تغيرت رقة وجهه وبدأ عليه التوتر، أصبح وجهه مثل وجه شخص عقد العزم على فعل شىء مؤلم تمامًا ولكنه ضرورى أيضًا. وإعوج وجهه لعدم سيطرته على نفسه.

نظر الرجل نظرة فاحصة إلى النائم الذى استيقظ تواء من نومه ثم ابتسم. أثارت الابتسامة طمأنينة الكاتب، واختفى الفزع والرعب من وجهه.

قال: 'آه، يا أبو البلديات، أنا تعب وأكڈ.' وبينما كان يتكلم مرر إصبعيه على خديه وعلى فمه بحركة بطيئة توحى بالاستغراق فى التفكير .

تساءل الرجل: 'أكان العمل كثيرًا فى الليلة الماضية؟'

قال الآخر: 'لا' يا أبو البلديات، لم تكن كثرة العمل . ولكن الإنسان عندما يكون وحده أو بمفرده هنا طوال الليل...

قال الرجل وهو يهز رأسه أيضًا: 'أنا أعرف ذلك؛'

قال كاتب الوردية، مواصلاً حديثه، كما لو كان لم يسمع شيئًا: 'أوه، أنت لاتعرف يا أبو البلديات. أنت لاتعرف كم كانت ليلة الأمس سيئة عندي.'

'ما الذى حدث؟'

بقى كاتب الوردية بلا رد أو أجابة فترة طويلة، راح يحملق خلالها فى الرجل، كما لو أن شيئًا فيه قد أثار عنده الكثير من الشك والريبة. بعد ذلك، وبطريقة مفاجئة أدهشت المستمع قال: 'لاشىء .لاشىء، يا أبو البلديات، لاشىء. ولكنى كنت أجلس هنا وحدى، وكننت أتمنى أن يأتينى أحد من الناس، ومضى الليل بطوله، دون أن يجيء أحد. كنت أنا بمفردى وحيدًا.'

كان ذلك من حقائق وردية الليل. هذا يصدق أيضًا على الليالي الطويلة؛ حيث تمر ساعات طوال لا يتخللها سوى أصوات قطارات البضائع، وحيدة وخالية. في بعض الليالي لم تكن تلك الليالي مقصورة على ليالي السبت، وإنما على بعض ليالي الأيام الأخرى غير يوم السبت - كانت تلك الوحدة تزداد مرارة بفعل قرع طبول الفرق الموسيقية التي تنتهي من بعد إلى المسامع قادمة من التلال، وتخلق السعادة لأولئك الذين يستطيعون توفير النقود طوال أيام الشهر، أولئك الذين يقدرون على دفع النقود والحصول على المقابل، هؤلاء هم رواد أتلانتك Atlantic كابيريس Caprice. هذه الوحدة كان يقطعها في بعض الأحيان ذلك الصوت المفاجئ الصادر عن آلة تنبيه سيارة من السيارات، والذي سرعان ما يختفي إلى الأبد، كل صوت من الأصوات كان يختفي في مكان ما على بعد مسافة كبيرة مني. ومن خلف كل هذه الصرخات والصيحات الفردية، هناك الليل نفسه، ذلك الصوت الطويل الذي لا ينتهي داخل الأذن، ويكون شديد الارتفاع أو شديد الانخفاض، بحيث يقلق المستمع الذي يصيح له السمع. يلى ذلك أن دققة آله المورسى Morse (التلغراف) كانت تكسر بين الحين والآخر، رتابة زمن هذه الوحدة المخيفة.

قال كاتب الوردية: 'وددت ذات مرة أن أنهض واقفاً وأخرج من المكتب. كان ذلك حوالي الساعة الثانية صباحاً؛

'إلى أين ذهبت؟'

'أنا لم أذهب إلى أى مكان - عندما فكرت فى الأمر تساءلت، إلى أين يمكن أن أذهب؟'

قال الرجل وهو يضحك ضحكة خفيفة: 'إلى المنزل.'

قال كاتب الوردية وهو يحدث صوتاً يشبه صوت ورقة جافة تتمزق: 'إلى المنزل؟' هل كان كاتب الوردية يريد لما قاله أن يكون إجابة ضاحكة؟ فكرت فى المنزل. 'اختفى البريق من عيني كاتب الوردية، ويبدو أن حدقتا عيني به بدأتا

تتراجعان إلى الداخل، لتزداد عيناه إسودادًا على إسودادهما. توقف كاتب الوردية قليلاً، عاجزاً عن اتخاذ أى قرار فى أى شىء ، ثم أردف قائلاً: 'أنا أفضل البقاء هنا عندما تدور بخلدى فكرة البيت.'

ضحك الرجل ضحكة ناعمةً وسمح لصمته بإبتلاع الكلام. قال الرجل فى نهاية الأمر: 'على أى حال، هل سار كل شىء على مايرام؟'

قال الكاتب: 'لا' لأن تليفون التحكم فى بلدة كوجوكروم Kojokrom تعطل ولم يعد يعمل.'

'هذا أمر معتاد.'

'حقاً، إنه أمر عادى تماماً.'

'وماذا عن التليفونات الأخرى؟'

'خطأ، خطأ ما فى الغالبية العظمى من الخطوط.' وأردف كاتب وردية الليل يقول: 'ولكنه كان يتعطل بين الحين والآخر. والشىء نفسه حدث مع تليفون بلدة إسوازو Esuaso أيضاً.'

تهد الرجل. 'هذه الأشياء القديمة تتعطل دومًا.'

قال كاتب الوردية الليلية: 'بوسعك استعمال جهاز المورس. وهذا الجهاز لا يتعطل.'

قال الرجل: 'أنا لم أنته بعد من تكوين وتسجيل كل شىء. وسوف أقوم بعمل ذلك الآن.'

عاد الكاتب إلى طاولته مرة أخرى، وتناول قلمًا كان مدسوسًا بين الصفحات الوسطى من السجل السميك وبدأ يدون ويكتب.

نظر الرجل إلى لوحة التحكم الموجودة أعلى القمطر الكبير. لم تكن الخطوط المبينة على اللوحة كثيرة العدد، ولم يكن من بين هذه الخطوط سوى خطين أحمرين. هما لقطارات الركاب. كان أحد هذين الخطين يتجه من محطة كانساوورا Kansawora ، عند أسفل اللوحة، ناحية كاماسي Kamasi، في الأعلى، ولا يتوقف طوال هذه المسافة إلا في محطتين فقط. وكان الخط الأحمر الثاني ينزل نحو الأسفل، قاطعًا محطات الخط الأول نفسها، ولا يتوقف إلا في عدد قليل من المحطات. هذان القطاران كانا من القطارات السريعة.

كانت بقية القطارات من قطارات البضائع والقطارات التي تنقل خام المنجنيز. كان كاتب الوردية الليلية قد فضل تعليم قطارات البضائع باللون الأخضر، وليس باللون الرصاصي، وقد أدى ذلك إلى وضوح اللوحة ويشعر بجمالها من ينظر إليها. كانت قطارات البضائع هي وقطارات المنجنيز تضطر إلى التوقف فترات طويلة حتى تمكن القطارات الأخرى من المرور. في بعض الأماكن كان يجري تخزين تلك القطارات حتى تتمكن القطارات السريعة الأخرى من المرور، وفي بعض الأماكن الأخرى كانت تلك القطارات تتوقف بلا أي سبب.

استغرق كاتب الوردية الليلية وقتًا طويلًا في تعبئة خانات السجل. وبعد الانتهاء من عمله، أغلق السجل ونهض واقفاً، متبعدًا عن الكرسي الرئيسي.

بعد أن أدى كاتب وردية الليل التحية وانصرف خارجًا من المكتب، قصد الرجل إلى الكرسي الرئيسي الموضوع أمام اللوحة. ثم أخرج من درج الطاولة الموجود على يساره حفنة من الأقلام، ثم اتجه بعد ذلك إلى مبراة الأقلام المثبتة في جانب الطاولة الأيمن. وبعد أن أدخل قلمًا في المبراة وأدار اليد، دارت المبراة دورات مسرعة وسائبة توحى بعدم اتصال شيء بشيء آخر. توقف الرجل عن المحاولة، ثم عاد بعد ذلك إلى الطاولة، حيث للمقعد الذي كان يجلس فيه. راح الرجل

يفتش داخل الدرج، وعثر على موسى قديم. وراح الرجل يبرى الأقلام، في الوقت الذي راح يقرأ فيه ماسبق أن دونه كاتب الوردية الليلية، وذلك من قبيل المراجعة. نسي كاتب وردية الليل تدوين تاريخ اليوم، ولكن كل شيء غير التاريخ كان مدوناً تدويناً جيداً وبخط جميل:

الوردية، من ١٠ مساءً إلى ٦ صباحاً

تليفونات السيطرة: معطلة في كل من كوجوكروم kojokrom

بنسو Benso

إسوازو Esuaso

الناقل معطل.

المحطات الأخرى بحالة جيدة،

المنجنيز:

أربعة قطارات هذه الليلة

غداً لن تكون هناك قطارات للمنجنيز.

قطارات البضائع الملغاة

القطارات رقم ٣٩ ج القوى معطلة

القطار رقم ٢٩ ج خالي من الحراسة (بسبب وقوع حادث على الطريق)

الرحلات المحددة:

تغادر عربة القضبان محطة كانساورا Kansawra غداً متجهة إلى

إسوازو، راكب العربة، هو مهندس القطاع. تغادر الساعة الثامنة صباحاً.

الحادث: حادث واحد من الفئة ب، فيما بين بنسو وإسوازو

أكونو Ackonu جى. كى

كاتب الوردية الليلية

أضاف الرجل توقيعه بجانب توقيع كاتب وردية الليل ثم فتح السجل بعد ذلك على صفحة جديدة.

عند هذا الحد انفتح الباب ودخل الساعى الأول وهو يبتسم.

قال الساعى متهللاً: 'مرحبًا، بك أيها المراقب.'

'مرحبًا بك أنت أيضًا'

دق جرس تليفون المراقبة، وهنا تكلم الرجل فى سماعه التليفون قائلاً: 'المراقبة، كانساورا Kansawora.'

قال الصوت على الطرف الآخر من الخط: 'آه، أنت موجود. إذن أنت أنجو Angu ناظر المحطة.'

'نعم.'

'يا أنجو القطار رقم ١٥ ج وصل عند الساعة السادسة ودقيقتين صباحًا. وتحرك حسب ما هو

مدون فى السجل عند الساعة السادسة وإحدى عشرة دقيقة.

أرعى الرجل السماعه وقال: 'عظيم.'

وصل الساعى إلى مكتب المراقبة. وكان ما يزال مبتسمًا.

قال له الرجل: 'يبدو أنك سعيد؛'

واصل الساعى ابتسامة، كما لو كان فتاة صغيرة تعترف بحبها.

قال الرجل: 'كسبت شيئًا من اليانصيب.'

تردد الساعى قبل أن يرد ثم قال: وكسبت مائة سيدي Cedis .
ضحك الرجل 'ولكن ذلك ليس مبلغاً كبيراً.'
قال الساعى: 'أنا أعرف ذلك. ولكن عددًا كبيراً من الناس سيتجمعون حولي
لمساعدتى على إنفاق هذا المبلغ.'
'على كل حال، إنهم يهلون جميعاً.'
'لا. لن يعرف أحد بذلك.'
'هل استعملت اسمًا مستعارًا؟'
ابتسم وقال: 'ساعدنى وأعنى يا الله.'
قال الرجل: 'أمل أن تقضى وقتاً لطيفاً.'
قطب الساعى جبينه. 'أنا سعيد، ولكنى خائف.'
ابتسم الرجل وتساءل: 'هل أنت فتشى؟'
قال الساعى: 'لا، أنا لست فتشياً. ولكنك تعرف غانا Ghana
حق المعرفة.'
'هل انت خائف من أنك لن تستطيع الحصول على النقود؟'
'أنا أعرف أناسًا كسبوا أكثر من خمسمائة سيدي Cedis فى العام
الماضى. ولم يحصلوا على ماكسبوه إلى يومنا هذا.'
'هل راجع أولئك الناس مراكز الشرطة؟'
'يراجعونها فى ماذا؟'
'كى تساعدكم فى الحصول على النقود التى كسبوها.'

قال الساعى: 'أنت تهزري. الأمر سوف يكلفك المزيد من النقود إذا ماراجعت الشرطة. وهذا هو كل ما فى الأمر؛

تسأل الرجل: 'إذن، ماذا ستفعل؟'

'أمل أن يأخذ مسئول من المسئولين فى مقر اليانصيب، مبلغاً من المئة "سيدى"، على سبيل الرشوة، ثم يسمح لى بعد ذلك بالحصول على الباقي.'

ماتت ابتسامة الساعى على شفثيه.

ابتسم الرجل وقال: 'سوف تفسد موظفاً عامًا.'

قال الساعى وهو يوشك على الانصراف: 'هذه هى غانا وهذا هو حالها.'
وهنا بدأت آله المورس

تعود إلى الحياة مرة ثانية.

'محطه كوجوكورم Kojokorm.'

'هنا محطة كانساورا Kansawora'

'أعلمنى. متى يصل القطار سى اتش C.H؟'

'القطار يغادر كانساورا عدد الساعة الثامنة صباحًا.'

'أشكرى.'

'عفواً.'

بعد الساعة الثامنة بدأ المكتب يمتلئ بالناس على وجه السرعة، وذلك بمجىء كتبه الفترة الصباحية، بنكاتهم البسيطة وكلامهم عن أيام قبض الأجور، وعن أسابيع العواطف والانفعالات. ثم أنهى العمل اليومى هذا الكلام كله، بل إن أولئك الذين كانت لديهم أعمال بسيطة إلترموا الصمت وتوقفوا عن العمل نظراً لأن ارتفاع درجة الحرارة كان أمراً مقلقاً بحد ذاته.

الفصل الثالث

بعد الساعة الحادية عشرة يبدأ أولئك الذين في داخل المحطة التيقن من طلوع الشمس تمامًا، ووصولها إلى ارتفاع كبير. هذه هي المروحة التي علاها الصدا بدأت تشتغل، ولكنها كانت تدور ببطئ شديد إلى حد أن الضوضاء الصادرة عنها كانت أكثر من الهواء الذي تحركه، الأمر الذي جعل مركز مراقبة حركة المرور متعبًا وغير مريح بشكل كبير. لم يكن السبب الوحيد في ذلك هو الحرارة أو رطوبة المبنى من الداخل ولم يكن سبب ذلك أيضًا هو الأصوات عديمة النفع الصادرة عن المروحة والتي كانت تختلط أيضًا بالصوت الصادر عن آلة المورس Morse الصغيرة. اختلاط كل هذه الأشياء بعضها ببعض هو الذي أدى إلى هذا الارتباك، الذي كان يستحيل إيقافه أوحى الاحتجاج عليه. كانت الرطوبة داخل المكتب ناتجة، إلى حد ما، عن البحر الذي لم يكن يبعد سوى مسافة صغيرة عن المكتب. في بعض الأحيان، كان من السهولة بمكان تذوق طعم الملح الذي كان يساعد على تآكل الجدران هي والدهان الموضوع فوقها، إذا ما وضع الإنسان يده أو أصابعه على تلك الجدران ثم راح يمصها بعد ذلك. كانت الرطوبة ناتجة أيضًا عن الناس، عن أولئك الذين يعملون في المكتب. كل واحد من أولئك العاملين كان يتعرق تعرقًا شديدًا، لا يفعل الجهد الذي يبذلونه في أعمالهم، وإنما يفعل نوع معين من الصراع الداخلي الذي يعتمل دوماً داخل هؤلاء العاملين. وعليه فإن الملح والعرق سوياً ومعهما مروحة السقف هم الذين أوجدوا هذا الجو الذي يعيش فيه ويعمل فيه أولئك النائمين التعبانيين عندما يجيئون للعمل ثم يعودون صامتين إلى تلك البيوت التي سبق لهم أن فروا منها. لم يكن هناك أي شك في أن الحال كان على هذا المنوال في بيوت هؤلاء العاملين، في كل الأتحاء، اللهم باستثناء أولئك الذين أنسوا في أنفسهم صلابة الصعود إلى الأعلى. ولكنه لم يكن واحداً من هؤلاء.

عند الساعة الثانية عشر والنصف خلت الخطوط، كالعادة، تمامًا من القطارات. اللهم باستثناء بعض قطارات البضاعة، التي سوف تمر على تلك الخطوط. والقضبان وليس هناك أى احتمال لاصطدامها بقطارات أخرى. وهذا هو الوقت الذى يبدأ العاملون فيه فى إرسال وتبادل النكات، من خلال جهاز المورس، مع بعضهم البعض، وخاصة عمال السكة الحديد الذين انتقلوا إلى جهة قليلة الحركة يستطيعون الإثراء فيها عن طريق تربية الماشية وعن طريق زراعة المحاصيل. وتستمر فترة الهدوء والسكون هذه إلى الساعة الواحدة وخمسين دقيقة، وهو الموعد المحدد لمرور قطار تاركوا Tarkwa الذى ينقل الذهب وقطار أبو سو Aboso الذى ينقل المنجنيز إلى السفن اليونانية الراسية فى الميناء تنتظر وصول هذين القطارين، وبعدها يسود الهدوء.

أرسل الرجل برقية إلى كل أولئك الموجودين فى مكتب محطة إهسو Ihsu فى ذلك الوقت، 'الوردية إلى الساعة الثانية.'

جاءه فى البداية رد ودى. فى البداية كان ذلك الرد المقتضب بلا معنى، كان مجرد إيقاع موسيقى ليس إلا. وعندما تحدد ذلك الرد بعد ذلك قال: 'نعم، الثانية موعد تناول الغداء.'

ودون أن يفكر فيما يقوله أ برق الرجل يقول: 'لا يوجد طعام.'

ردت عليه محطة إنسو Insu، 'الطعام هنا وفير'

وهنا بدأت المحادثة

'أنت حظيظ.'

'تعال. انتقل. هذا أمر سهل.'

'أنا لا أستطيع ذلك.'

'لماذا؟'

'هذا سر.'

'هل السبب هو الأسرة؟'

'هذا سر.'

تكرر النقر قادمًا أيضًا هذه المرة من محطة إنسو Insu ولكنه لم يكن عديم التوفير، ولم يكن مفرحًا أوحى موسيقيًا، وإنما كان عبارة عن نوع من الإشارات الرقيقة التي توحى بالتعاطف، كما لو كان الطرف الآخر يقول أنه لم يعرف ولكنه بوسعه أن يفهم. ورد الرجل بنقرات قصيرة، ثم نظر إلى مكتبه المورس بفكر متأمل كيف أن الناس، يصلون، في بعض الأحيان، إلى مرحلة يكشفون فيها للآخرين عن أوجاعهم ومتاعبهم، ثم نادى الرجل بعد ذلك على الرجل الذي يعمل على الماكينة الموجودة على اليسار. 'وصلك الرد.'

جاء الرد، كالعادة، ردًا آليًا، كل شيء على مايرام.'

تحرك الرجل ببطء نازلًا السلم، وتجاوز الدرايزين والمصباح المتدلى أسفل بيوت العنكبوت. عند الأسفل، وبعد أن وصل الرجل إلى المدخل، إتجه إلى الشارع الذي غطاه ضوء الشمس، المشوب بالغيبار الذي يثور مع موجات الحرارة. كان الرجل يتصرف بحكم إعتياده على ذلك، وليس بدافع من أي شيء آخر، وقبل أن يقترب ذلك الرجل من المكان الذي يمكن أن تصل إلى أذنيه فيه طلائع ضوضاء البائعين والمشتريين للطعام، استدار الرجل ناحية اليسار ثم سار على الجانب الأيمن من الطريق، وواصل مسيره في إتجاه الميناء.

في مثل هذا الوقت، وعندما يقطع الشهر مسافة طويلة، ويصبح المتبقى من أسبوع العواطف هو مجرد الأثمال، يصبح موعد تناول الغذاء غير منعش للنفس. اللهم، إلا إذا اختار الإنسان، بطبيعة الحال، الانضمام إلى الأعداد المتزايدة التي قررت أنها بلغت من اليأس حدًا جعلهم يحسون أنهم لم يعد لديهم ما يخشون منه أوبخافونه في هذه الحياة. هؤلاء هم الذين وقفوا في النهاية، بل وقفوا في وقت

مبكر، وقت مبكر تمام على شيء في حياتهم الخاصة، وفي حيوات المحيطين بهم، أقنعهم بعدم جدوى جهود تكسير دائرة الدين الشهري الوضيعة التي تتقلب بين الدين والإقتراض، ثم الإقتراض والدين لم يكن هناك أي شيء سوى حتمية الحفر والنزول إلى أعماق أبعدها داخل تلك الحفر والتقوب التي لا يمكن أن يكون فيها أي نوع من أنواع الحياة. وربما وجد الأموات الأحياء عزاء في الفكرة التي مفادها أن هناك كثيرا من الأموات الآخرين في الحياة ينضمون إليهم. هؤلاء كثيرون جدًا، كثيرون بصورة تدعو للدهشة والاستغراب، إلى حد أن الجهود التي يبذلها الإنسان في الإنضمام إليهم أسفرت عن نوع جديد ومحبط من أنواع الموت الحي.

بينما كان ذلك الرجل يتفكر تلك الجولة الطويلة التي تجعل الإنسان ينكمش إلى شيء تافه المعنى أيضًا مثل النمل قصير العمر في فصل الشتاء، راح يتتبع القضبان الحديدية الصلبة وهي تمتد منحنية وخارجة من داخل فناء القاطرات، لتمتد ناحية المناطق الداخلية من البلاد. على الفرشة الزلطية الموجودة أسفل المعدن، يوجد خليط من الرماد المتساقط وقبضات ضالة من الفحم الذي يستخدم في تشغيل الماكينة، فضلاً عن الشحم المحروق؛ هذا الخليط أثار في منطقة ما من حلق الرجل رائحة نفاذة شديدة الحرارة تبعث على اللأس والهزيمة وصادرة من مطبخ يستخدم استخدماً جيداً، والجو العام لهذه الرائحة مكون من أسنة من الدخان المهين الذي كان ينبعث على امتداد أيام طويله. في الأمام، كانت القضبان الحديدية، تمتد مستقيمة على خطين لامعين، وكان الهواء من فوق هذه القضبان الصلبة يهتز ومعه قوة الشمس إلى أن تبدو الأشياء، في فترة العصر، كما لو كانت سائلاً لامعاً في الهواء، بعد أن تختفي عنها صلابتها. هذه المرارة التي راحت تتجمع في حلق هذا الرجل بدأت تضيع من حلقه شيئاً فشيئاً دون إدراك منه لذلك، إلى أن أصبح كل ما يعيه هو تلك الرؤية شديدة الوضوح والمذاق الخاص الذي يصاحب التحدي الصادر عن الجوع. لم تكن مسألة مراقبته لمزارع مهاجري الشمال المحروثة، أمراً يثير الألم في النفس. لم يكن الأمر يتطلب من الرجل سوى جهد

يسير، يسير جدًا، كي يحافظ على خطاه وهو يمشى بجوار شريط السكة الحديد. في الحفرة التي تمتد محاذية للقضيب الأيسر، كانت تتجمع كمية كبيرة من الأقدار والمخلفات في بعض الأماكن، بالرغم من فلاح بعض الماء في التسرب ومواصلة السير في تلك الحفرة. لم يعد هناك ما يحزن هذا الرجل الآن، بل إن إحساسه بالجوع بدأ يختفي عندما بدأ يطالع ذلك المنظر الجديد.

في الأمام كانت قضبان السكة الحديد تمر فوق حافة مرتفعة من الخرسانة والأسمنت ومن تحتها تربة من الطين . عبر الرجل تلك الجسر، ثم استدار في النهاية ليجلس فوق الجانب الأسمنتي الموجود في الجهة اليمنى. يبدو أن الجسر نفسه بنى بناءً متيناً، أما الرصيف نفسه فلربما لم يكن بنفس المتانة. وحينما كان الرجل يجلس على الجانب الأيمن انفصلت كتلة ثقيلة من الأسمنت وهوت إلى المجرى المائي الموجود تحت الجسر ثم تخرجت خارجه من تحت الجسر مشكلة سداً. ومن خلف تلك الكتلة التي شكلت ذلك السد، تجمعت كل الأقدار، إلى حد أن الماء الذي كان يتسرب من خلال الفجوة الناتجة عن السد الصغير والجانب البعيد للحفرة، كان يبدو نظيفاً على نحو لا علاقة له بالمصدر الذي كان ينبعث منه هذا الماء. ومن الارتفاع القليل لذلك السد كان الماء يصطدم بقاع الحفرة على نحو أدى إلى تآكل التربة الطرية إلى أن ظهرت الأرض الصلبة، التي كانت عبارة عن قاع من الرمل المختلط بالحصى، ومن فوقه ماء صاف ورائق. كم دام هذا الصفاء؟ وعلى بعد مسافة كبيرة، في اتجاه مصب ذلك المجرى الصغير وفي اتجاه البحر، شاهد ذلك الرجل الماء مختلطاً بالطين عند البداية. سحب الرجل نظرة مكتفياً بصفاء الجانب الهادئة، التي لا تشبه الضوضاء التي ثارت بداخله بفعل هذا الوميض. والذي لا شك فيه أن هناك شيئاً ما قريب من هذا الوميض، قريب من هذا الصفاء، أو إن شئت فقل: هذا التخلص من الأقدار. بصورة أو بأخرى، كان هناك نوع من النقاء والسلام، شيء لم يفلح الوميض في الإتيان به.

ومن اتجاه حوش أو فناء القاطرات كانت تتبع صافرة قاطرة بخارية قديمة كانت تسير على القضبان ثم اختفت ببطئها المزعج داخله في مسافة بعيدة تقع إلى الخلف منه. صوت القاطرة جلب على ذلك الرجل مذاقاً غريباً لنوع من الأسف والندم تزايد عنده إلى الحد الذي جعله يطرح على نفسه أسئلة لم تكن جديدة عليه، ولكنه كان عاجزاً عن الوصول إلى إجابات عن هذه الأسئلة، هذه الأسئلة كانت تتمركز حول شيء عديم القيمة. لماذا يكون من الضروري، وجود توصيله فيما بين هنا وهناك؟ ما السبب في أن مجرد صافرة القاطرة التي على وشك الاختفاء داخل أعماق الغابة، لا بد أن تتبعثر وتنتشر في الهواء ومعها شيء من الإحساس بالأسف والندم الأزلي؟ أضاف الرجل إلى وضوح رؤيته حزناً شديداً عندما نهض واقفاً استعداداً للعودة. ازداد الجفاف في فتحتى أنف الرجل، وخلقى فمه أيضاً من أى نوع من الترطيب، كما خلت عيناه أيضاً من أى نوع من الرطوبة. تفكير الرجل في الطعام جلب معه صورة تناول الطعام، وصورة تقيؤه، وصورة أيضاً لبدائيات الطعام ونهاياته، الأمر الذي وفر على ذلك الرجل مشقة التحكم في الرغبات التي تمتلكه. نظر الرجل على الطريق الذي قطعه وسيعود منه مرة ثانية، وراح يتفحص كل الأشياء التي سبق أن رآها في طريقه، بنفس الرؤية السابقة، وواصل سيره من جديد في الطريق المترب، وتجاوز مجموعات العمال، الذين تركوا أعمالهم في فترة استراحته مابعد الظهر (العصر)، ولم يداهم الظلام إلا بعد أن دخل مبنى المكتب وبدأ يرتقى السلم داخلاً إلى مكتب المراقبة.

مع صعود الأفكار التي ربما كانت تثير عنده اليأس في أيام أخرى. هذا الرجل الكبير يغلى الآن من داخله، وطالما بدأ عمله، فإنه يتعين عليه بذل أقصى جهد ثم يرتاح أو يسترخى بعد ذلك، طالما أن ذلك أمراً ممكناً. وعليه، فهو عندما فتح الباب، ودخل مكتب المراقبة لم يذهب مباشرة إلى المكان المخصص له على الطاولة (المنضدة) التي علق أمامها الكروكيات الخطية، وبدلاً من أن يقصد الرجل إلى الطاولة، إتجه إلى نهاية المكتب ووقف منتظراً أمام الطاولة في الوقت

الذى استطاع فيه الرجل الصغير الواقف خلف الطاولة قراءة اللوحة، ثم أعاد قراءتها وهو مقطب الجبين، عابس الوجه. وعندما وجد ذلك الرجل الصغير أن لاطائل من وراء تبرمه هذا، حول نظرة ناحية ذلك الرجل الذى كان يطيل الإنتظار. كانت فتحنا أنف ذلك الرجل تتحركان، كل بضع ثوان، من الجانب إلى ذاك مما أضفى شيئاً من الهزل على المحاولات التى كان يبذلها إثباتاً لأهميته، وبذلك أصبح شأن هذا الرجل شأن ذلك الرجل الغانى Ghanaian الذى يحاول التحدث مثل رجل إنجليزى، وعندها يصبح مثل هذا الرجل منفراً ومسيئاً إلى من يتعاملون معه.

'هل أنا مدين لك بشيء من النقود؟' كان الرجل يحس فى داخله بفرح كبير ورضاً عن نفسه بعد حديث رائع، وراح يهز أنفه.

'الوقت يمضى' ترى ما هذا الذى يحيرنى ويضايقنى؟

'هل تعنى إيصالات الوقت الإضافى؟' كان الأمر يبدو وكأنه يعنى أنواعاً أخرى من الإيصالات. هذا التوتر اللهجى ينتج عنه إزدواج فى المعنى؛ وبعد ذلك يبدو على وجه الرجل تعبير ينم عن الاسترخاء.

'نعم' أعنى إيصالات الأجر الإضافى.

هنا بدأ الرجل صغير الجسم يتصنع ابتسامة تدل على الحميمية والألفة. وفتح درجاً فى الناحية اليمنى ليخرج ذلك الرجل دفترًا يحتوى على كعوب الإيصالات. يتساعل الرجل، 'هل هى نكتة؟' هنا بدأ الرجل يعرب عن شكره وتقديره إلى حد أنه بدأ يتكلم بلهجة تتم عن الاسترخاء، وأنه عاد إلى وضعه الطبيعى، ومع ذلك لم يرد بكلمة واحدة. وبينما كان الرجل يملأ الإيصالات ويوقع عليها قال الرجل الصغير من تلقاء نفسه: 'يالهِ من خنزير نقود!' وهنا لم يرد عليه الرجل. وهنا ينسحب ذلك الرجل الصغير ويعود منتحلاً وضعه الرسمى. 'نراك فى التاسعة.'

‘سوف أجيء فى السابعة.’

يلقى الرجل الصغير نظرة على الإيصال فيها شىء من الإثارة
ويقول: ‘يا أنت. نراك فى السابعة صباحًا، لقد فهمت ما تقول.’

راح الرجل يلاحظ ذلك الرجل صغير الجسم وهو يضع الإيصال مع
الإيصالات الأخرى، ثم مشى بعد ذلك عائداً إلى مقعده الموجود أمام طاولة
المراقبة الطويلة. لم يكن مطلوبًا من الرجل الموجود على يسار هذا الرجل أن
يقول أى شىء أو إن ينبس بكلمة واحدة. ولم يحدث بعد ذلك أى شىء.

جلس الرجل على كرسيه أمام الخارطة الكبيرة بكل خطوطها وكل الأسماء
التي عليها، وبخاصة أسماء محطات القطارات البطيئة الموجودة على امتداد تلك
الخطوط الحديدية. لم يحدث أى شىء حتى الآن. ومن المتوقع ألا يحدث شىء .
كانت حركة القطارات فى المساء تسير على الوتيرة المعتادة، أى أنها كانت حركة
شديدة البطئ ومتباعدة التوقيات. ربما يجئ من محطة جانيه بالقرب من منجم من
المناجم قطار يجر عربات مفتوحة مشروخة العوارض وممسوكة إلى بعضها
ببعض الألواح ومسامير البرشام، ويمر من فوق القضبان إلى محطة مهجورة،
أو إن شئت فقل: إلى مكان مهجور، ليبقى فى ذلك المكان ليعود بعدها من جديد
لاستئناف رحلته فى إتجاه البحر. وبعد برهة من الوقت بدأ الرجل يستشعر
الضوضاء الناتجة عن المروحة التي فى المكتب . كان جهاز المورس Morse
ينقر نقرات طويلة تثير الكثير من شكوك وأفكار الناس الموجودين على الطرف
الأخر من الخط التلغرافى. وقد يكون الشريط يحمل أيضًا الضوضاء الشهيرة
لأناس يستعدون للموت. وإن هى إلا برهة قصيرة، وعندما أصبح من الصعب
تجاهل نقرات جهاز المورس، قام الرجل بالنقر على جهاز المورس برقية مفادها
‘يرجى الصمت والسكوت.’

جاء الرد سريعاً من خلال جهاز المورس وفيه شيء من التحدى. لقد اشتط المجنون الموجود على الطرف الآخر من الخط، غضباً وغيظاً ثم تلت ذلك نقرة أخرى. ثم فترة صمت قصيرة. ثم يتساءل الرجل من خلال جهاز المورسى، 'من تكون أنت؟'

جاء بعد ذلك، رد طويل وبلا معنى. ولكن ذلك الرد كان يحمل التوقيع 'أبواسى' Obuasi .

هذا الذى ورد بعد شيئاً ما فى أضعف الأحوال ويستحق الرد

أمسك الرجل بمقبض آلة المورس بمهارة ورد قائلاً: 'مرحباً'

وبسرعة مذهشة جاءه الرد، ولكنه جاء مترابطاً ومتماسكاً هذه المرة . 'ويمكن فك شفرته ومعرفة معناه بسهولة.' لماذا تتفق على المضى قدماً أو لاستمرار على هذا النحو؟' ثم بدأت نقرات جهاز المورس من جديد.

تكرر ذلك السؤال مرات عدة، وتبعته نقرات طويلة على جهاز المورس ولكن تلك النقرات لم تكن تحمل أى نوع من الإجابات. ومنعاً لنفسه من الرد وغضباً على جهاز المورس تحولّ مبتعداً عن الجهاز وراح يطيل النظر إلى مروحة المكتب، هاهى ريشة من ريش المروحة تدور متناقلة وبطيئة، فضلاً عن أن أنصال المروحة على وشك ان تدور على شكل قوس. لم تتوقف تلك الضوضاء إلا بعد ذلك بساعة، هذا يعنى أن تلك الضوضاء توقفت عند الساعة الرابعة والنصف صباحاً.

وبسرعة تكاد تكون فطرية وبعد تلك السنوات الطويلة من العمل والإحباط، وبعد أن عرفوا الكثير من العيب والفوضى، يسارع الكتبة إلى التخلص من تلك الأشياء التى يسمونها عملاً، ويسارعون متجهين إلى الأبواب سعياً إلى مغادرة المكان. ترى، مالذى كانوا يسارعون إلى الوصول إليه؟ بل ربما يتحتم علينا هنا

القول بأن هؤلاء الكتبة لم يكن لديهم في تلك اللحظة ما يجعلهم أو يستحق منهم هذا الاندفاع. كل ما كان يدور في أذهانهم أنهم كانوا يهربون من المكان ليس إلا.

‘مسّاك الله بالخير‘

‘مسّاك الله بالنور؛‘

‘إلى اللقاء.‘

‘مع السلامة‘

كانت حقيقة مرة، كان جو المكتب خانقاً، ولكنه لم يكن كذلك مع أولئك الذين غادروا المكتب. كان الجو لا يزال خانقاً، ولكن تلك الوجوه وتلك الأجسام التي كانت تؤكد وجود ذلك الجو الخانق، لم تعد موجودة في المكتب، كان من السهل التفكير في هذا الجو الخانق، وإعمال العقل فيه وكأنه سوف يمكن التغلب عليه في يوم من الأيام. هذه هي الدنيا لم يعد لها وجود هنا في هذا المكان، الدنيا بكل قربها المخيف ليس لها وجود هنا، ولكن الموجود هنا شيء من خارج هذه الدنيا. ترى لماذا يسيطر علينا فكر قديم قوى مفاده أن الوحدة لا تتطوى إلا على الألم؟

بدأ المورس ينقر حاملاً تفاصيل القطارات القادمة، ثم جاءت بعد ذلك رسالة عبر الخط التليفوني قادمة من محطة كوننجو Konongo .

‘قطار فيرجسون Ferguson ، الساعة ٥:٢١ متأخر عن مواعده تسع دقائق ومنتجه إلى ساورا.‘

‘الوضع الحالي، من فضلك؟‘

‘قطار نسوتا Nsuta بـ B سيصل في البداية.‘

‘شكراً لك.‘

‘لاشكر على واجب.‘

هذه هي الوحدة المريحة تخيم على المكان من جديد. نقل الرجل أعلام الطريق الصغيرة الخضراء إلى الخطوط الحديدية على الخارطة الحائطية الكبيرة.
'قطار فيرجسون الذي مواعده الساعة الخامسة وواحد وعشرين دقيقة تأخر عن مواعده ثلاثة عشر دقيقة.'
'..... تأخر دقائق.'

دخل من الباب رجل بكرش يلبس ثوب الكنتي Kente . كانت القدمان هما اللتان تحملان هذا الكرشن الذي كان يتحرك على شكل أقواس من فوقها، وتغطيه أطراف الثوب. كان ذلك الرجل يرتدى نعلة مصنوعة من الجلد السميك، الذي تغطيه شراريب لالزوم لها، ولكن يبدو أن فخر وتباهي مرتدى هذه النعلة له علاقة بتلك الشراريب. نظر الزائر من حوله، ولم يجد أحدًا سوى الرجل.

صاح الزائر وهو يتحرك متقدمًا إلى الأمام، 'مساء الخير'

'مساء النور'

كان فم الزائر يشبه فم الذئب. وعندما بدأ يتحدث ظهر السبب جليًا وواضحًا. الأطفال يطلقون على الأسنان التي من هذا القبيل اسمًا معينًا. الأطفال يطلقون على تلك الأسنان اسم أبناء الأخ أو الأخت . هذه الأسنان تنمو على شكل صفوف: صف ثانى وأحيانًا صفا ثالثًا يزحم الصف الأول. وهنا مال الرجل ناحية اليمين وفتح النور الموجود فوق رأسه مباشرة، وراح ينظر إلى الزائر مستغربًا .

قال الزائر: 'أنا أبحث عن كاتب الحجز.' وفتح فمه الذي يشبه فم الذئب، بحركة ربما كان يقصد بها الابتسام، وهذا بحد ذاته لم يكن أمرًا مطلوبًا أو ضروريًا، بل إنه كان عملاً منفردًا ويثير الضيق.

'أى كاتب تريد؟'

تقول: أى كاتب أريد؟ وهنا أتى الزائر حركة يقفل بها خطمة أو فنطيسته. ولكن شفته بالرغم من كبرها، لم تكن كافية لستر تلك الأجيال من الأسنان، بل إنها عجزت عن سترها أو التذلى فوقها. لدينا اثنان من الكتبة. واحد منهما للتوقيعات، والآخر لحجز الأماكن فى العربات.

‘أها، لقد فهمت الآن.’ وييسم الزائر للمرة الثانية. ‘العربات. لقد جئت إلى هنا للتحدث عن العربات.’ ‘تود حجز مكان. يجب أن تحضر هنا فى ساعة مبكرة أثناء النهار. لأن كتبة هذا المكتب ينصرفون عند الساعة الرابعة والنصف.’

قال أبو الأسنان: ‘أوه، أعرف ذلك، ولكن خطر ببالي أن الكاتب الذى أريده يتأخر إلى مابعد ساعات الدوام.’
‘هل حددت معه موعدًا؟’

‘أنا لم أفعل ذلك فى حقيقة الأمر. ولكن شخصًا ما أبلغنى أن هذا هو الوقت المناسب للعثور على هذا الكاتب والإتيان إلى هنا.’
تسأل الرجل، ‘تأتى هنا من أجل ماذا؟’

تراجع خطم ذلك الرجل الذئب ليكشف عن أسنانه، وهنا بدا على الزائر شيء من التردد، إذ راح يفكر فى الطريقة الصحيحة التى يمكن أن يعبر بها عن ذلك الذى يدور بخاطره.

قال فى نهاية الأمر: ‘واقع الأمر، واقع الأمر أن الموضوع شخصى إلى حد ما.’ راحت عيناه تتجولان فى الخارطة الموجودة خلف الرجل. ثم جمع الرجل أطراف ثوبه الكنتى Kente ليضعها فى زاوية نراعه الأيمن ثم وضع الكومة كلها على كتفه. وراحت شفنا للرجل تتحركان إلى الأمام وإلى الخلف، وتكرر ذلك الأمر مرتين. وهنا بدا عليه أنه اتخذ قرارًا بشأن ذلك الذى كان يدور بخلده ويقلقه.

قال أبو الأسنان: 'يا أخى يا أخى أنت أيضاً بوسعك أن تساعدنى .'

لم يكن الرجل يتوقع مثل هذا الرد: 'تقول أنا يمكن أن أساعدك؟'

قال الزائر: 'نعم، يا أخى.' وأنا سوف أجعلك تتأكد من أنك ساعدتني بالفعل. 'كان من عادة شفتى ذلك الرجل أن تتطلق من بينهما فقايع اللعاب وخيوط لعابية أيضا صفراء اللون.

قال الرجل: 'أنا لست كاتب الحجز. لقد انصرف كاتب الحجر وعاد إلى منزله.'

توقف الزائر عن النظر إلى الخارطة الموجودة خلف الرجل وقال: 'أنا أعرف ماتقول، أعرفه جيداً وراح الزائر يحملق فى عيني الرجل. وكان وجهه يحمل تعبيراً ناتجاً عن رغبته فى اختراق غباء الرجل، عن طريق تعبير الوجه بحد ذاته.'

'سوف يحضر كاتب الحجز صباح باكر.'

تتحنح الزائر تعبيراً عن الاستياء. وتساءل، 'يا أخى، لماذا تصعب على الأمور كلها؟'

أخذت نوبة الغضب الرجل على حين غرة، ترتب عليها خروج ذلك الذى كان يود قوله بطريقة تلقائية. شاهد الرجل الزائر وهو يقترب منه وهنا قال له: 'ما الذى فعلته لك؟'

قال الزائر: 'المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال . مفروض إن أسألكم يامن أنتم فى هذا المكتب عن ذلك الذى فعلته أنا فيكم. لماذا تعاملونى بهذه الطريقة؟' وهنا راح الرجل يحملق ويطيل النظر، وغرق الرجل فى اندهاشه من كلام الزائر وإعجابه وانجذابه إلى أسنان ذلك الزائر. كان الاستماع إلى الكلام يتطلب جهداً

حقيقتًا عند هذا الحد. قال أبو الأسنان على سبيل الهجوم: 'أنت تعرفنى . أنت تعرف اسمى.'

قال الرجل فى هدوء: 'أنا أعرف اسمك .'. بدأ الزائر كما لو كان على وشك أن يقول شيئًا أو آخر، ولكنه تملكه الخرس والبكم. وهنا أطال الزائر النظر إلى الرجل بعينين محمقتين وابتسم ابتسامة توحى بالمرارة الناتجة عن انعدام الثقة والشك.

قال الزائر فى النهاية: 'أنا أمانكوا Amankwa. إنهم يطلقون على هذا الإسم. أنا أقطع الأخشاب. أنا مقاول.'

'لو تستطيع الحضور غدًا...'. كان الرجل يقول هذه العبارة. ولكن الابتسامة التى كانت على وجه الزائر اختفت وحل محلها تعبير يدل على الإستياء والإحساس بالغش والخديعة.

قال: 'يا صديقى، دع كل هذا الهزر جانبا. وتعال معى إلى داخل الغابه وسوف أريك شيئًا يستثير فيك البكاء. ألتعلم إنى أقطع الأخشاب منذ زمن طويل. وأن تلك الأخشاب ماتزال موجوده داخل الغابه. إن نصف هذه الأخشاب سوف يتعفن خلال فترة وجيزة. فلماذا تعاملنى هذه المعاملة؟ ما الذى تريده منى؟

أجابه الرجل، 'أنا آسف ، ولكنى لاصلة أو علاقه لى بعملية الحجز.'

'يا صديقى' أنا لست طفلاً. إذا كنت تعمل فى المكتب نفسه فأنت تأكل من الطبق نفسه. ما الذى تود أن تقوله لى؟'

'أنا لى عملى الذى أقوم به، وكاتب الحجز له عمله الخاص به أيضًا .'. وأنا لا أتدخل فى عمله.'

'لماذا لا تتدخل فى عمله؟ لم لا؟' تكلم الزائر بلهجة شديدة وانفعال شديد. هل تظن أن خشبى سوف يتعفن فى الغابه؟ انتبه إنهم يقولون لى فى كل مرة :

لا توجد عربات، ولا يوجد فراغ في العربات. ولكنى فى أحيان كثيرة أشاهد عربات القطار عند قدومها إلى هنا وهى لاتحمل سوى الأحجار. وقد تكون فارغة فى بعض الأحيان، فارغة بإصديقى الطيب. أهذا هو حال تصريف الأمور هنا؟

‘إذا كنت تود الكلام إلى من هو أعلى منى....’

قال الزائر: ‘إصديقى لاداعى للاستظراف معى. أنا لابد أن أتكلم معك.’

‘وأنا أقول لك: إنى لاعلاقة لى بالحجز.’

‘ألا تستطيع إحضار ذلك الكاتب لى هنا .’ وراح الزائر ينظر نظرة شك فى إتجاه باب المكتب، ثم وضع الزائر يده بين طيات ثوبه الكنتى Kente . وعندما مد الزائر يده كانت تحمل حافظة نقود كبيرة سوداء اللون. لم تكن تلك الحافظة محشوة. نظر الرجل إلى الزائر وأطال النظر إليه . كانت عينا الزائر مثبتتان على الحافظة، فى الوقت الذى راحت أصابعه المتينه تعبث بالحافظة من الداخل. ثم أخرجت أصابع الرجل فى النهاية ورقتين ماليتين من فئة العشر سيدات.Cedis. كانت الورقتان خضروائتان. لم يقل الرجل شيئاً. وضع الزائر الورقتين أسفل قطعة من الحجر تستعمل فى الضغط على الأوراق ومنعها من التطاير. وضع الزائر الورقتين على الطاولة الواقعة خلف الكاتب. ثم سحب الزائر يديه عن الورقتين وعن الطاولة وراح يطيل النظر إلى الرجل الموجود أمامه. ولكن الرجل لم يقل شيئاً.

قال الزائر: ‘خذ الورقتين: واحدة لك والثانية له.’

‘ولماذا يتعين على أن آخذ هاتين الورقتين؟’

أوضحت نظرات الزائر أن الرجل العاقل لايمكن أن يجيب على سؤال من هذا القبيل. ولكن سرعان ماتغير التعبير الذى على وجه الزائر، وراح يضحك بصوت عال، ضحكاً يشبه ضحك النساء والأطفال.

قال: 'أنت رجل ظريف، أنت يأيها الرجل. هل تظن أنى أحقق وأعطيك عشرة سيدات Cedis؟' ثم انطلقت الضحكة من جديد. 'هذا المبلغ شيء تافه. أنا أعرف أن عشرة سيدات شيء تافه. وعليه، ماذا تود أن تشرب؟' نظر الرجل إلى الزائر نظرة فيها شيء من الإعتدال. وأجابه على سؤاله قائلاً: 'أشرب ماء؛'

وهنا انحنى الزائر إلى الأمام أكثر وأكثر وازدادت ضحكته استعاراً، ثم تراجع بضع خطوات إلى الخلف كما لو كان بطنه سينفجر من شدة الضحك. ثم انتصبت قامة الرجل واقترب من الكاتب وهو تعلق وجهه مسحة من الجد والصرامة، وكانت تلك النظرة توحى بشيء من الألم.

قال الزائر: 'أرجوك أن توقف الهزر الآن. الناس ينتظرونى وأنا يتحتم على أن أعود إليهم. الرجل لا بد أن يكون رجلاً بمعنى هذه الكلمة. أنا أقول لك ذلك الذى سوف أفعله. خذ هذه الورقة المالية لك وأعط الثانية لزميلك. وأنا بنفسى سوف أحضر لك مشروباً لطيفاً. خذ الورقة. خذها يا صديقى.'

نظر الرجل فى الوجه الذى أمامه، وهو يتوسل إليه بلغة الملايين من الناس وبلغة الملايين من الأصوات، واعتراه إحساس بالوحدة والوحشة، ذلك الإحساس الذى يعتمل داخل أولئك الذين تدينهم الأشياء المحيطة بهم. وقال بهدوء كامل على وجه التقريب: 'أنا لن آخذ هذه الورقة.'

لم يلمس الزائر الورقة المالية. بل إنه حتى لم ينظر إليها. واكتفى بالقول: 'انتبه، أنا أعنى ما أقول، سوف أعطيك ثلاثة أضعاف هذه الورقة. وهذا مبلغ طيب.'

'أنا أعرف ذلك.'

'إنن، خذ النقود.'

هز الرجل رأسه بطريقة لطيفة كان فيها نهاية قاطعة لم يخطؤها الزائر
وقال: 'لن آخذ الورقة'

'هل ترفض أخذ الورقة المالية؟'

'نعم'

تمكنت التكشيرة التي علت وجه الزائر الرجل من الوقوف على حقيقه
الأمر: إن كان ينطوى على الاحتقار أم الإشفاق. وهنا راحت يدها تلمسان النقود
الموضوعة على الطاولة، ثم ثبتت فوق النقود.

صاح 'قل لي لماذا؟ لماذا تعاملني بهذه الطريقة؟ ما الذي ارتكبته في حقك؟
قل لي، ماذا فعلت أنا لك؟'

لم يكن لدى الرجل مايقوله في ذلك الحين. وراح الرجل يراقب في صمت
الزائر وهو يأخذ الورقتين النقديتين ويعيدهما إلى حافظته.

تساءل الزائر، 'ماذا يحدث؟'

'تسألني ماذا يحدث؟'

'نعم، يا صديقي. لماذا تتصرف على هذا النحو؟'

قال الرجل: 'أنا لا أعرف.'

'أقول لك. إن خشبي يتعفن في الغابة. وأنت لاتصدقني.'

'حسب أنى أصدقك.'

'إنن، ما هذا؟، قالها الزائر وهو غاضب، على نحو يفصح عن الغضب الذي
ينتاب شخص عندما يقف منتصب القامة. راح الزائر يفتش في طيات ثوبه الكنتي
Kente ، ثم أعاد حافظه النقود إلى جيب من الجيوب الخفية في الثوب. ولم ينطق
بكلمه وداع واحده وهو ينصرف مبتعدًا عن الكاتب، وراح الرجل يعدو في اتجاه

الباب، وفتحته وهو يشتط غضبًا ثم اختفى خلف الباب. بقى الكاتب وحيدًا مع أفكاره، عن ذلك المنزلق، وعن ذلك الذى ينشغل الناس من حوله بأخذه وعطائه: شىء غير طبيعى، شىء فى غاية القسوة، شىء هو من قبيل الإجرام، فمن هو الذى يمكن أن يراوده إحساس من هذا القبيل غير المجرم الأثيم؟

سمع الرجل وهو يفتح الباب ثانية ولكنه لم ينظر إلى الأعلى. فى تلك الأثناء يأتى كناس المساء للقيام بعمله المعتاد. وهنا أحس الرجل بيد قد وضعت فوق كتفه فى شىء من النقه، واستشعر الرجل هنا الثوب الكنتى الفاره. استدار الرجل.

قال الزائر مرة ثانية وهو يبتسم ابتسامة مريضة: 'أست متضايقًا منى؟'

'وهل ينبغى أن أتضايق منك؟'

'لا.' ضحك الزائر ضحكة خفيفة توحى بالاسترخاء. 'ما الذى ستقوله غدًا

للكاتب الآخر؟'

'لاشىء.'

'أرجوك ألا تغضب.' وهنا رفع الزائر طيات ثوبه الكنتى عن كتف الرجل بعد أن انزلت من فوقه. 'لعلك ترى، أنى لا أود الاتيان بشىء غير طيب. ولكنى أود أن أعرف ذلك الذى يريد هذا الكاتب. أود فقط معرفة ذلك الذى يريد هذا الرجل. وأنا قادر على إعطائه ذلك الذى يريد.'

'إن أردت الحجز فما عليك سوى أن تأتى إلى هنا أثناء ساعات الدوام.'

قال الزائر:، وهو كذلك، سأت أثناء ساعات الدوام. ولكنك تعرف أيضًا إن كل

إنسان ينتعش من العمل الذى يقوم به.'

'صباح الغد.'

'إنن، فأنت لن تقول أى شىء؟ أرجوك، لا تغضب. أنا لم أكن أود استئثارك

أو مضايقتك.'

انفتح الباب واستدار الزائر بسرعة لينظر إلى ذلك المتطفل أو المعتدى. ولكن بقي الباب مفتوحًا ولم يدخل منه أحد. لم يستطع الزائر إبعاد عينيه عن الباب. وظهر من الباب دلو، ومن خلفه رجل صغير الجسم يمسك في يده فرشاة وممسحة طولها أطول من قامته هو.

'ما هذا' طرح الزائر هذا السؤال، قبل أن يتمالك نفسه، وابتسم الكاتب لذلك المنظر.

'إنه الكناس.' الذي ينظف هذا المكان.'

نظر الزائر إلى الكناس نظرة غضب وراح يتحنح قال: 'لابد أن أنصرف الآن. إنهم ينتظروني.' ثم تجاوز الزائر الكناس ومضى لحال سبيله.

سحب الكناس أشياءه عبر أرضيه المكتب. كانت مشيته بطيئة ومترaxية، كما كان الرجل متعبًا في بداية ليلته. كانت تلك الليلة نهاية يوم طويل من عمليين متصلين ببعضهما، كما أن عمل التنظيف أثناء الليل هو العمل رقم ثلاثة. وعليه مع بداية الليل كان الكناس متعبًا بل إنه يكاد يمشى وهو نائم.

قال ذلك الرجل الماشى النائم وهو تعلقو شفثيه ابتسامه مثل ابتسامه الموتى: 'مساء الخير يا صاح Sah.'

'مساء النور، يا عطية Atia.'

ولكن الكناس الماشى النائم كان قد أحنى رأسه إلى الأسفل بالفعل وبدأ يسحب فرشاته على الحائط الطويل من طرف إلى الآخر، ولم يسمع تحية المساء. هذا أمر لا يهم. رجل ضائع من بلاد بعيدة أمسكوا به وألقوا القبض عليه وهو يرقص رقصة غربية على السلم السفلى. شخص ماساعت حالته تمامًا. بحق المسيح! شخص ساء حاله تمامًا.

بعد فترة بدأ صوت المسحة يحل محل صوت الفرشاة. كما ظهر صوت المسحة واضحًا عندما كانت تصطدم بالأركاب. في الخلف كان الصوت الناتج عن المروحة يتواصل ويتباطأ، كما بدأ الضوء يضعف متحولاً إلى اللون الأصفر، ثم تحول الضوء بعد ذلك إلى الإبيضاض على شكل تموجات زمنية طويلة وبطيئة. وقبل دقائق قليلة من الساعة السابعة وصلت إلى المكتب نجدة الليل. كانت تلك النجدة الليلية عبارة عن رجل تخرج لتوه من المدرسة الثانوية، وكان يتمتع بشباب دافق، وكان يصفر بطريقته المرححة كي يسهل عليه تقوية تلك الليلة المخيفة. والذي لاشك فيه أن هذا الشاب كان جديدًا تمامًا على العمل، كان ذلك الشاب يتخيل أنه سوف يمضي هنا فترة وجيزة ثم يطير بعدها عائداً إلى شيء قريب من روحه. كل الذي كان يود ذلك الشاب معرفته : هو أن هذا الحلم ليس حكرًا عليه هو وحده، وأن كل من سبقوه ساروا على الدرب نفسه، إذا كانوا يحلمون، بعد أن توقفوا عن الحبو، وأنهم كانوا على استعداد للجري إذا ما أرادوا ذلك، وكانوا على استعداد أيضًا للطيران إذا ما تحركت أرواحهم ونفوسهم في ذلك الإتجاه. ولكن الأيام الصغيرة المعتادة تمر بطيئة ومتناقلة في الشوارع، على أولئك القادرين على تعرف وجوه المخلوقات المعتادة التي تحركت بفعل الروح ولكنهم غير قادرين على السير في ذلك الإتجاه الذي تشير إليه تلك الروح. هذه الحرية غير المسئولة هي وإدراك ذلك الشاب أنه قد حان موعد انصرافه، ملأت ذهن ذلك الشاب بالتخوف غير المحدود من كثير من الأشياء التي لم تحدث بعد. حيا ذلك الشاب الكاتب الجالس إلى الطاولة.

رد الكاتب: 'مساك الله بالخير.' ثم نهض الكاتب واقفاً. 'أنت تعرف، بطبيعة الحال، ذلك الذي سنفعله. استعمل الهاتف (التليفون).'

'وهو كذلك.'

'ليس لديك عملاً كثيرًا هذه الليلة. وقت استرخاء على طول الخط. القطارات الليلة مسجلة ومدونة.' وراح الرجل يتجه صوب الباب.

صاح الشاب عقب انصراف الرجل، طاب مساؤك.

عمت مساء أنت أيضاً.

عند الباب، كان الكناس، أو ابن شئت فقل : الماشى النائم ، على وشك مغادرة المكان . ولكنه أنزل أشياءه وفتح الباب ليخرج منه الكاتب، وراح يبتسم له ويحييه للمرة الأخيرة . بدأ الكاتب يهبط درجات السلم . وفي ظل تعبته وإرهاقه لم يكن تهمة إن كان إبهامه وأطراف أصابعه قد اتسخت بفعل التراكمات الموجودة على درابزين السلم (الدرج) . وعندما وصل الرجل إلى نهاية السلم برز له ظل وراح يتقنم نحوه للقاته ، كان ذلك الظل هو ظل الكاتب نفسه .

الفصل الرابع

خارج المكتب أثار منظر الشارع نفسه في ذهن الرجل (الكاتب) تكريات التوبيخ الذى أصابه من محبيه، وجاء ذلك التوبيخ واللوم والتأنيب على شكل أصوات صامتة كانت تدور في ذهنه على شكل دوائر حلزونية، وظلت تلك الأفكار تدور فى الذهن على شكل دوائر محكمة، لاتفارق ذهنه مطلقاً. لم يكن هناك داع للعجلة أو التسرع. على الجانب الآخر من الشارع، أو بالأحرى عند نهايته، كان هناك المنزل وحده، هذا المنزل هو أرض المحبين، وفى هذا المكان كان هناك أيضاً أبطال الوميض الذين لم يستشعروا أنهم كانوا غرباء. يضاف إلى ذلك أن الرجل لم يكن لديه ذلك النوع من العسر الذى يحتاجه البرق والوميض. هذا الرجل الذى كان يمشى ببطء أولئك الذين لاتعرف رغباتهم إلى أين تتجه، راح يمشى فى إتجاه بداية الشارع، أو إن شئت فقل: بداية الطريق، وخطى صفوف الناس الواقفين فى أضواء المصابيح الضعيفة ويبيعون البرتقال الأصفر والبرتقال الأخضر، كما يبيعون أيضاً أرغفة الخبز لامعة السطح بسبب دهانها بالزيت، كما يبيعون أيضاً علب صغيرة ولفافات صغيرة من أشياء ليس الإنسان بحاجة ماسة إلى شرائها على وجه السرعة. وتحت مصباح متضائل الضوء كان هناك طفل يعانى من سعال طويل كان يصدر من مكان ما فى داخل جسم ذلك الطفل. وبعد انتهاء نوبة السعال تضع أمه فمها فى هدوء على فتحتى أنف الطفل المبتلين وتروح تمصهما لتخلصهما مما فيهما من المخاط. ثم تلقى بهدوء ذلك الذى فى فمها على الأرض وتكوسه بعد ذلك بقدمها لتخفيه فى الأرض. وعند بدايه الشارع تجيء حافلة وتستدير استعداداً للقيام برحلة جديدة، رحلة العودة. لم يسارع الرجل إلى ركوب الحافلة. دع هذه الحافلة تفوتك. على الجانب الآخر من الطريق يتناهى إلى مسامع الرجل فحيح غير واضح المعالم صادر عن جائلة من جائلات الليل التى تعانى هى الأخرى جراء أسبوع العواطف. فى بعض الأحيان قد يكون ذلك الفحيح موجه إلى الأبطال وحدهم، ولكن هذا الفحيح بدأ يتضح الآن وفى

المسافة ما بين المصابيح الضعيفة على الجانبين يستطيع الرائي أن يتبين بعض أشياء الزينة على تلك الجائلة من جائلات الليل. هناك الكثيرين من الموتى الجائلين، بل إن هناك من هم أسوأ حالاً من أولئك الموتى الجائلين. هذا هو الضوء يخبر ثم يجيء مرة ثانية، يقترب أكثر، إلى مكان قريب من منتصف الطريق. هذا أمر غير معقول لا يصدق عقل. وإن هي إلا لحظة حتى تشيع في الهواء رائحة طيبة صادرة عن المسحوق الذي يضعه الناس تحت إبطهم؛ هذه الرائحة محبوسة بين ثنيات البشرة المرهقة. وعلى بعد مسافات قريبة هذه هي الأبخرة الصادرة عن طواقى الشعر المستعار. هل هذا شعر خيل أم شعر إنسان؟ هل هذا شعر ميت أم إنسان ما يزال على قيد الحياة؟ وإن كان ميتاً فمتى رحل عنا؟

'هس.' هذا الفحيح ليس موجهاً لأحد غير الرجل. المستحيل يتحقق في بعض الأحيان وبخاصة في مثل الظرف الحالى. ينفرا الرجل إلى الأسفل فيرى كتلة من شعر مستعار ومن تحتها حلق أوقرط من أقراط الأذن. أثر الرجل، أفضّل أن لا ينظر إليه، أوحى إلى ابتسامته الفاترة.

'خمس، هذا ليس صوتاً من الأصوات المعتادة. هذا الصوت شبيه بصوت طفل يشعر بالخجل. يهز الرجل رأسه. كيف لمثل هذه الجائلة أن توجد هنا في مثل هذا الوقت؟

'ثلاثة' انخفاض مفاجئ. الاحتياجات الماسة كثيرة جداً.

'أختاه، ليس لدى شيء على الإطلاق.' لا إجابته. هذا هو الضوء ينعكس من القرط، حلق الأذن. يعود ذلك الرجل الماشى إلى تلك الخيال الموجود بين الأضواء، ويروح ينتظر تلك الوجوه الغريبة في الظلام. هؤلاء هم بائعون يقفون تحت الأضواء الخابية ويبيعون المزيد من الأشياء التي ليس للناس بحاجة ماسة إليها. ومن ذلك المرتفع الذي في الأمام يتقدم جسم أوشىء فيه طاقة ومن خلال الظلام ويندفع منه ضوء لامع على شكل نهر متحرك، ويقف ذلك الشيء أمام بائع

شبه نائم، يقف بالقرب من الرجل ومن داخل المركبة ينبعث صوت أنثى، هذا الصوت أعلى من صوت الماكينة، هذا الصوت رفيع جدًا مثل سلك طويل يطعن العينين المفتوحتين.

‘بيتاع السائق بعضًا من البرتقال.’

‘مامقدار هذا البرتقال ، ياعمناه؟’

‘أوه، دزينتان.’

يبتعد السائق عن المكان ويغلق باب السيارة بعد أن يدخل فيها وهو سعيد بمسحة الجدة التي تبدو على السيارة. يبدو أن الصوت الرفيع الموجود في الداخل قد بدأ يولول أكثر فأكثر، ومن المقعد الخلفي من السيارة الليموزين يخرج رجل مرتديًا بدلة سوداء ويتجه مباشرة إلى صندوق صغير مغطى فيه شيء من الخبز. وهنا سارعت الفتاة الصغيرة الموجودة خلف الصندوق، إلى فتحه وأخرجت منه رغيفًا كبيرًا ملفوفًا. يتناول. الرجل الرغيف ويقول: ‘رغيف آخر من فضلك.’

تخرج الفتاة رغيفًا آخرًا. هذا هو وميض قطعة من النقود من فئة الخمسين بيسو Pesewa. يستدير الرجل، ويمشى واتقا متجهًا نحو السيارة. وتجرى الفتاة خلفه ومعها الفكة. ولكنه لا يود تلك الفكة وتعود الفتاة مرة ثانية إلى صندوق الخبز. وإلى جوار هذه الفتاة، كانت هناك بائعة أخرى تكبرها سنًا، استيقظت على ضياع تلك الفرصة منها وراحت تتأدى من جديد وتقول: ‘يامحترم، أنا أبيع خبزًا طيبًا.’

‘لقد اشتريت شيئًا من الخبز بالفعل؛ كان صوت ذلك الرجل الذي يرتدى بدلة فيه شيء غير عادي، صوت يشبه صوت صياد من صيادى السمك؛ هذا الصوت المحمل بالرمال والملح يجبر صاحبه على الإتيان بقوافى إنجليزيه غير مألوفة.’

'ياسيدى، ينبعث صوت البائعة من جديد' ياسيدى المحترم، هذا الخبز حقيقى بمعنى الكلمة.'

من داخل السيارة يصدر صوت الأنتى الحاد، لينتشر فى أرجاء المنطقة، وهى تشكو من أن الثلجات ليس فيها متسع لمزيد من الأشياء، وتشكو أيضاً من وجود كمية من الخبز فى المنزل. هذه هى البائعة الموجودة خارج السيارة نحاول أن نجعل نغمات صوتها أكثر عذوبة.

'ياسيدى، ياعمى، يارجلى الأبيض، أوه، هيا تعال. تعال واشترى منى خبزاً. إنه خبزك، يارجلى الأبيض، إنه كله لك؛

ينفتح باب السيارة ويخرج منها ذلك الرجل الذى يرتدى بدلة، ويمشى ببطئ متجها صوب البائعة التى تتادى على خبزها. وينبعث الصوت الحاد من داخل السيارة مرة أخرى وهو يعبر عن الضيق والقلق والتبرم. ثم ينحسر الصوت بعد ذلك ويروح ينتظر. تقف البدلة أمام البائعة، وهذا هو الصوت الذى ينبعث من تلك البدلة، صوت لعوب

'ياماما أنا لا أستطيع أن آكل كل هذا الخبز.'

قالت البائعة وهى تشير إلى السيارة: 'إنن اشترى لزوجتك.'

'زوجتى لديها مايكفيها من الخبز.'

'لعشيقاتك- أليس لديك فتيات جميلات شابات؟'

'أنا ليس لدى عشيقات.'

'هو يارجلى الأبيض، لاتجعلنى أضحك مما تقول. هل صادفت فى حياتك رجلا كبيراً بلا بنات؟ بما فى ذلك كبار السن.' وتضحك بائعة الخبز ثم تقول: 'بما فى ذلك الرجال كبار السن.'

'ياماما، أنا رجل مختلف.' يدفع الرجل مرتدى البدلة ثمن الخبز للبائعة.
تتناول النقود ثم تمسك بيد الرجل، وتطيل النظر إلى وجهه.
تقول البائعة فى النهاية: 'أنت واحد من أهل السياسة. أنت واحد من
الكبار.'

'من قال لك ذلك؟'

تتساءل البائعة، 'هل هذا صحيح؟ لقد شاهدت صوتك فى مكان ما.'
'لقد فهمت.' وينظر الرجل مرتدى البدلة حوله . وكانت ابتسامته واضحة
فى ذلك الضوء الخافت. هذه الابتسامة تشكل نمطاً غريباً من أنماط الضوء الخافت
مع القماش المصنوع منه القميص. هذا القميص كان مصمماً ليلاصق المسافة ما بين
الوركين.

تقول الابتسامة للرجل الذى لا يرى منه سوى ظله أوخياله: 'مرحباً، ماذا
تفعل هنا. أنا لم أراك مطلقاً.'

وأنا عائد من العمل إلى المنزل. أنا لم أكن متأكداً فى بداية الأمر.'
ينظر مرتدى البدلة إلى ساعته ويروح يغغم لنفسه بصوت خفيض جداً. ثم
يقول: 'على فكرة، سوف نحضر لزيارتك حالاً: استى Estie وأنا.'
'إحم، إحم.'

'لا. أنا أعنى ما أقول هذه المرة. فلننتظر. اليوم يوافق الأربعاء. ولعل ذلك
يكون يوم السبت... لا، سيكون ذلك مساء الأحد.'
'ماموعد حضوركما؟'

'أعتقد أنى سأكون جاهزاً عند الساعة التاسعة.'

تمزق آلة التنبيه فى الهواء بذلك الصوت الجديد، وهاهو الرجل مرتدى البدلة يدور حول نفسه بالسيارة ثم يعتدل مرة ثانية ويقول: 'إستى Estie فى السيارة، تعال وسلم عليها.'

يسير الرجل خلف لابس البدلة إلى أن يصل إلى السيارة. وهنا يبدأ الصوت القادم من داخل السيارة فى اللوم والتعنيف بلهجه شديده. ولكن مرتدى البدلة يوقف ذلك اللوم والتعنيف فجأة عندما يقول: 'إستى Estie لقد عثرت على غريب.'

وهنا يبدأ صوت المرأة للحاد فى التغير شيئاً ما وتقول: 'ياه، يانت، أنا لم أر أحداً.' وتمد المرأة يدها خارج نافذ السيارة، وفيها شيء يلمع فى أضواء الليل. يمسك الرجل بتلك اليد. تلك اليد البضة الناعمة مثل اللحم المختلط بالشحم. وسرعان ما انسحبت اليد كما لوكان التلامس كارثة من الكوارث أومصيبة من المصائب، وظهر واضحاً أن المرأة الموجودة داخل السيارة قد نسيت كل شيء عن الرجل الموجود خارجها. وهذا صوت آخر صادر عن إغلاق باب من أبواب السيارة برفق. 'حسن، إذن الأحد عند الساعة التاسعة.'

'عظيم'

وهنا ينبعث صوت من داخل السيارة، كما لوكان صاحبه قد تذكر شيئاً، ويرتفع صوت محرك السيارة. 'أوه، على فكرة، نحن لسنا ذاهبين إلى المنزل. نحن ذاهبان إلى أتلانتك Atlantic كابريس Caprice ، وقد تأخرنا. وإلا...'

يقول الرجل فى إثر انصراف السيارة: ،لا تشغل بالك. لا تشغل بالك.' ويروح يكرر الكلام همساً فيما بينه وبين نفسه، ثم يسحب بصره عن البريق الموجود أعلى التل.

وقت الانتظار يعد فترة من الفراغ المريح، وبخاصة فيما يتعلق بالأفكار التى لاعلاقه لها بمرض اليأس لأن تلك الأفكار تجيء وتروح دون أن تخلف وراءها أى أثر. ترى، كم عدد الأيدي التى لامست العارضة الطويلة فى هذا المقعد

الموجود في موقف الحافلات منذ أن وضعوه في ذلك المكان أول مرة؟ ماذا تعنى النوافذ الثلاثة المضاءة في مكتب البريد أثناء الليل؟ ما الذي كان يفعله أولئك الذين ينتظرون هنا؟ وهنا تعلو ضوضاء الحافلة التي توقفت في المحطة ولايبعد باب الدخول إليها سوى ياردة واحدة عن فتحة المحطة. وهنا يندفع المنتظرون ناحية الحافلة، أما المحصل فينزل إلى الطريق. وخلال لحظات يسمع المنتظرون صوت بول ذلك المحصل وهو يصطدم بصندوق القمامة المكتوب عليه حافظ على نظافة المدينة. لابد أن المحصل كان يوجة بوله ناحية الأعلى. الكل يسترخي هنا. الفقراء يكونون أثرياء أثناء الصبر. وهذا هو سائق الحافلة يقفز هو الآخر ويلحق بالمحصل عند التل. ولكن صوت بوله أضعف من صوت بول المحصل. ويقف الاثنان وقتاً طويلاً عند التل وهما يضحكان ويتكلمان. كانا ينكتان متسائلين عن كل مايدور حولهما؟ ويقارنان هذا بذاك؟ ويعود السائق، ويصعد إلى الحافلة ثم ينام على عجلة القيادة. وهذا هو المحصل يسير في إتجاه الباعة. هذه قلة قليلة من الركاب، تعبت من الانتظار، يصعدون إلى داخل الحافلة ويتكثون برؤسهم على البقية الباقية من ألواح الزجاج التي في نوافذ الحافلة. هذا واحد من الناس يسعل، ولكن سعاله يفضى إلى سكون مفاجئ. وهؤلاء الذين مازالوا ينتظرون يسندون أجسامهم على القضبان الطويلة الموجودة في محطة الحافلة، والسيارات المارة، تقع أنوارها على هؤلاء الناس لتضفي عليهم أشكالاً غريبة أثناء الليل. كان المحصل، أثناء عوبته، يأكل رغيفاً في يده، ويقضمه من الداخل بحركة دائرية؛ وهذا المنظر، يبدو بين الحين والآخر، شيئاً مكروهاً في ظلمة الليل، إذ يبدو شكل الرغيف وكأنه كائن حي. وينادى المحصل وفمه مملوء بالطعام، يعنف أولئك الذين صعدوا إلى الحافلة؛ وتقلت لقمه من فكي المحصل لتسقط على شكل قوس بجوار الحافلة. أنزلوا! هل دفعتم الأجرة، ورحتم تنتظرون داخل الحافلة؟

ونظرًا لأن الناس كانوا يتوقعون شيئاً من هذا القبيل، فقد راحوا ينزلون من الحافلة وهم صاغرون وراحوا يقنمون الأجرة للمحصل. وبلغ المحصل من

الغضب مبلغاً جعله يرفض قبول الأجرة، ويعيدهم مرة أخرى إلى نهاية الصف. هذا ليس بالأمر الخطير. فالصف ليس طويلاً. وهنا يروح المحصل يوجه الشتائم واللعنات بشكل عام دون أن يوجهها إلى شخص بعينه وهو ينزع التذاكر من أماكنها. لأحد من الركاب بحاجة إلى الفكة ولذلك تمضى الأمور على نحو سريع، اللهم إلا عندما يتوقف المحصل لكي يكيل إلى الناس السباب واللعنات.

يدخل الرجل الحافلة ويختار مقعداً بجوار النافذة. ويتضح أن النافذة ليس فيها لوح زجاجي. هذا لا يهم. الليلة من الليالي شديدة البرودة. عندما تبدأ الحافلة في التحرك يدخل الهواء القادم من النافذة على شكل موجة ناعمة من موجات الماء الدافئ. يضطجع الرجل على مقعده وأصابعه ملفوفة من حول رأسه. الرجل لا ينظر إلى الخلف. بالإمكان بعد أن يقطع الراكب مسافة في الأجزاء المرتفعة والأجزاء المنخفضة من ذلك الطريق، أن يغلق عينيه ويرفع رأسه إلى الخلف، ثم يعرف بعد ذلك وعلى وجه الدقة المكان الذي يكون فيه وذلك من خلال الروائح التي يحملها الهواء من تلك الأماكن إلى أنوف الركاب. وحتى أثناء الليل تكون الريح محملة بالتراب وساخنة بسبب مرورها على الورشة التي يجري فيها تخزين وصيانته القطارات، ومن هنا يثور في الذهن خليط من صور الرجال القصار المتينين الذين يرتدون بدل الشغل الملطخه بالزيوت التي تبقى فيها ولا تنتهي حتى بعملية التنظيف؛ وصور قطع الحديد الخردة المختلطة بالرمل؛ وصور الماء الراكد الذي تلوث بفعل اختلاطه مع الزيت المتحلل المتخلف عن الغلايات المكسرة؛ كما تفوح أيضاً رائحة مصابيح الكارباید Carbide، ورائحة القواطع الكهربائية. بعد تجاوز ورشه السكه الحديد يبدأ الهواء القادم من البحر، ذلك الهواء المنعش بصفة خاصة والذي يحمل معه بعض الروائح العضوية لبعض المخلوقات الحية من بدايتها إلى منتهاها. وعندما تكون فوق الجسر تتحرك القافلة ببطئ. وهنا تفوح روائح السوق الذي يهجره الناس ويتركونه ليل من ناحية وللمشردين من ناحيته أخرى، ومعهم الغبار، والطين والوحل الذي تغطيه الطماطم المهموكة

والخضروات المتعفنه، والروائح الكريهة المنبئة من سوق السمك والقشور المتخلفة عن عملية التنظيف، ومن فوق كل ذلك أسراب الذباب. وهناك فرع آخر من الطريق يتجة ناحية البحر. وبعد ان قطعنا أكثر من نصف الطريق، نكون قد دخلنا إلى مركز اكوام القمامة والمخلفات، وهنا تصطمم الروائح بالأنوف كما لو كانت جدارًا قويًا، وهنا يصبح أمام الأعين ما يمكن أن تسجله. هذه المخلفات بلغت من القدم حدًا لم تعد معه مجرد قمامة، وذلك هو السبب في هذه الروائح. لقد امتزجت تلك القمامة وذابت في الارض الموجوده تحتها. وفي موضع أو موضعين تستطيع الأعين أن ترى حطام الدراجات المحطمة وحطام الهراسات التي كانت موجودة هنا قبل الحرب وهذه هي الأصوات ترتفع وتعلو لتجيب الروائح كلها عندما تقترب الحافلة من البلدة. وخلف منطقة المراحيض العامة تنشب الروائح الكريهة مخالباها في حلوق الغادين والرائحين. في بعض الأحيان، قد يكون من المعروف أن الناس هنا يتفلون كثيرًا وذلك عندما تداهمم روائح الأشياء المتحللة وتختلط بأجسادهم. وفي أحيان أخرى قد يتقل الناس كثيرًا هنا طلبًا لتقية الذات على حساب زيادة المرض خارج الذات. وهذه هي رائحة الغائط المتحلل بفعل حرارة الشمس تفوح على الناس في فترة العصر، وهي الآن ماتزال تتبخر بفعل الندى، فتحتا الأنف تتحدان بطريقة ما وتتفذ من خلالهما تلك الروائح إلى أن تصل إلى النهاية. في الجزيرة الموجودة في البحر المواجه لنا، هذا رجل كبير السن نائم وفمه مفتوح يتلقى الهواء المنذفع أثناء الليل، وهل يعرف أحد عدد الجسيمات التي يحملها مثل هذا الهواء؟ إذن، لماذا يلعب ذلك للرجل دور الغيبى ويكتم نفسه؟ هذه هي الأصوات الصادرة عن قلى السمك في زيت قديم بالقرب من المراحيض العامة. من السهل جدًا أن يالف الناس هنا التعود على كل ماهو مريع ومخيف. شىء مختلف؛ هذا هو الحمام العام، أقاموة لنوع من النظافة غير المؤثرة. داخل هذا الحمام لا ترى غير بقايا قطع الصابون المختلطة بالأقذار الناتجة عن سوء استعمال البشر للحمام؛ هذه الأشياء تذكر من يدخل الحمام بشعر الإبط عندما تتساقط منه حبات العرق في الأماكن العامة. وهنا تصل الحافلة إلى مكان في أعلى التل وبعدها

تنتهى الرحلة. وهنا تبدأ أمواج من روائح التوابل التى تتبعث من أوانى المنازل الشهيرة، هذه التوابل تضاف لكى تغطى على الرائحة القوية التى تصدر عن اللحوم؟

ينزل الرجل من الحافلة وتشق يده طريقها إلى داخل جيبه. هذا هو الهواء الذى يلفح عموده الفقرى عند أسفل العنق، على درجة عالية من البرودة. هذه هى الحفرة الموجودة عند نهاية الميزاب تتسع على نحو يتطلب جهدًا كبيرًا للقفز من فوقها. وتلك عملية متعبة تمامًا، عندما يصعد الإنسان الدرجات الأربع الصغيرة، من درجات السلم وصولاً إلى الشرفة. هذا هو نور المطبخ ما يزال مفتوحًا، ولكن كل ما عدا ذلك فهو هادئ تمامًا. ترى، هل هذا شيء غريب فى هذه الساعة من الليل؟ هذا أمر لا يهم، فى واقع الأمر. لماذا لا يخيم الصمت على المكان، أو لا وقبل كل شيء لماذا لا يخيم الصمت على المكان؟

صمت. لأصوات، لا أصوات فى الليل، مجرد صمت وسكون ليس إلا. يدخل الرجل إلى الصالة، ويلتقى بعينى زوجته التى تنتظره. هاتان العينان مستقرتان، هما عينا شخص اتخذ قراراً بالأقول شيئاً؛ هما عينان راضيتان على نحو مفاده أن الأمور التى لا طائل من ورائها ولا نفع منها يجب ألا تكون محلاً للتساؤل أوحتى القبول. وطالما أن هاتين العينين موجودتان هنا سيكون الجو مشحوناً بالإتهام؛ وبالرغم من أن الرجل يستشعر الإمتنان المتعب الضعيف؛ إلا أنه يحس بالرضا لأن الجو خلو من الكلمات التى تعكر صفو ذلك الصمت. وهنا يبدأ الأطفال فى الخروج من الغرفة الداخلية. هؤلاء الأطفال لم يناموا بعد، بما فى ذلك الطفل الثالث الصغير. يبدو أن عيون هؤلاء الأطفال بدأت تتعلم تلك النظرة المسطحة التى هى بمثابة دفاع عن الأمل، كما لو كانت رسالة أهم بحاجة إلى دعمهم وتأبيدهم لها. ويأتى ذلك الدعم والتأييد على أحسن وجه. يجىء هذا التأييد والدعم على نحو تمتلئ الصالة معه بضغط لا يطاق يتحتم معه كسر ذلك الصمت مهما كان الثمن. هذه هى المائدة ومن فوقها الطعام. هذا هو الرجل يتحرك ناحية

المائدة ويجلس إليها ويعطى ظهره لخطئه، وهو عاقد العزم على كسر ذلك الصمت.

يقول الرجل: ' لقد التقيت كومسون Koomson وأنا فى طريقى إلى المنزل.' وتتباطأ الزوجة فى إظهار اهتمامها بالأمر.

وتتساءل الزوجة بعد ذلك، 'هل كانت أستيلا Esteila معه، بطبيعة الحال؟'

ويومئ الرجل برأسه، وهو يدير وجهه إليها ولكن عينيه تقعان على أطفاله. أيها الأحباء، أنقذوا أبيكم من الألم الصامت فى عيونكم. ثم يقول لزوجته: ' هذا صحيح.'

'إم م م؛ هذا الصوت الذى صدر عن الزوجة لابد أن يدل على الموافقة أو القبول فى أضعف الأحوال، ولكن الأمر لم يكن كذلك. كان الصوت عبارة عن صرخة ضعيفة عامرة بالإستياء وخيبة الأمل. إذن ' فقد تزوجت بالفعل....' تمنى الرجل لو أنه قد تعلم تحمل ثقل الصمت السابق، ولكن العودة إلى الواء أصبحت عملاً مستحيلًا.

رفع الرجل الملعقة إلى فمه، وبينما هو على هذا الوضع أحس ببقايا رائحة العطر فى يده وهو يقول: ' لقد كانا ذاهبين إلى أتلانتك Atlantic كابريس Cabrice . لقد صاقت زوجته، وأنا ما زلت أشم رائحة عطرها. لقد كانت يدها مبللة بالعطر.'

'إم م م؛ هذا الصوت الطويل يصدر من جديد . ' لقد علمتها الحياة الكثير من الأشياء؛

' يقول كومسون Koomson إنه يود أن يأتى إلينا لزيارتنا عند الساعة التاسعة يوم الأحد.'

'إيم م م م'

'ربما كان يعنى أمك بهذه الزيارة ولايعنينا نحن. ونحن يتعين علينا إبلاغها بذلك عندما تأتي.'

صممت المرأة قبل أن ترد. 'إن كوموسون لن يأتي لزيارة أمي وحدها.'
تساءل الرجل، وسقطت منه ملعقته ولكنه تجاهلها وقال: 'ماذا تعنين بكلامك هذا؟'

'أعنى أن الأمور إذا ماسارت على مايرام فإن ذلك سيكون فى صالحنا جميعًا.'

ينظر الرجل إلى زوجته نظرة مشوبة بالحرص. وهى تشعر بالغضب والاستياء، هل تعتقدين ذلك؟'

' لماذا تحاول إبعاد نفسك عن كل ما يهمنى جميعًا؟'

يرد الرجل ردًا بطيئًا، 'أنا لأعرف سببًا لذلك. أنا لأعرف أنى سبق لى أن وافقت على الانضمام أو المشاركة فى أى شىء؛'

'لكن'أست تأكل من الطعام عندما ينضج؟' حاولت المرأة بابتسامتها الدفاعية الصغيرة، ولكنها لم تفلح، فى القضاء على حدة السؤال. وهنا ينهض الرجل من أمام المائدة ويتجه صوب زوجته. وها هى الزوجة تحاول الابتعاد عنه، ولكنه يبتسم لها ابتسامة حزينة وهنا تحس الزوجة بشىء من الاسترخاء.

يتساءل الرجل، 'من أين لكومسون بتلك النقود التى يستخدمها فى تسيير قاربه؟'

ترد الزوجة، 'إنه يحصل عليها.'

يقول الرجل: 'وهو كذلك. دعينا نقول إننى لست طرفاً فى ذلك.'

تحملق المرأة في وجه زوجها وهي لاتصدق ذلك الذي يقوله، ثم تهمس قائلة: ' شكشك دودو، بمعنى 'الجن أو العفاريت.'

طرق على الباب. والمرأة ترد على الطارق، وتتدخل امرأة عجوز وصدرها شبه عارٍ إذ لا يستره سوى القماش الذي تلبسه، وتحمل بأطراف إصابعها فنجالاً صغيراً مطلياً بالميناء.

تقول: ' مساء الخير أنا جئت إليكم مرة أخرى. إنه السكر. هل ترضين بإقراضى قليلا من السكر؟ أنا أحتاجه للأطفال.'

ترد الزوجة ' لقد نفذ ماتبقى لدينا من السكر منذ وقت قليل.'

تظهر على وجه المرأة العجوز ابتسامة هي خليط من الشك واليقين الأكيد. وعندما تختفي المرأة عند عتبه الباب تنظر إلى الزوج والزوجة وتقول: 'أه، من هذه الحياة!'

ينظر الرجل إلى زوجته ويكتشف أن عينيها مثبتتان على وجهه ويسألها: 'ماذا كنت تقولين؟'

تقول: ' لاشيء.' ويزداد صمت الرجل.

يقول الرجل بعد شيء من الصمت: ' لقد عرض على شخص ما رشوة فى هذا اليوم.'

'إم م م م. رشوة من أجل ماذا؟'

'كى أحجز له مكانا فى عربة من العربات.'

'وبالتالى رفضت أنت تلك الرشوة وكأنك جندى مسيحي مستقيم؟'

يأخذ عنف السؤال ومفاجأة الرجل على غرة، ويجعله يتساءل. 'تقولين مثل

ماذا؟'

'أقول مثل جندي مسيحي مستقيم م!

يمشى كما لو كان ذاهبًا إلى الحرب

ومعه صليب المسيح

يسبقه فى المقدمة

أطال الرجل النظر إلى وجه زوجته. ثم قال: 'لم تكن تلك الرشوة ضرورية
أو حتمية.'

تساءلت الزوجة، 'ما الذى خفت منه عندئذ؟'

'لكن ما الذى يحتم على أخذها؟'

'لماذا لم تأخذها؟ أنت عندما صافحت يد إستلا Esstell كوموسون
Koomson، ألم يكن العطر الذى بقى أثره على يدك شيئًا جميلًا؟ ربما تكون
معجبًا بالحبو الذى نحن فيه، ولكنى سئمت هذا الحبو. أود أن يكون معى إنسان
يوصلنى بالسيارة إلى حيث أشاء.'

'تودين أن تكونى مثل إستلا كومسون Koomson؟'

'نعم، مثل إستلاكومسون. ولم لا؟ هل هى؟'

قال الرجل: 'نحن لانعرف الطريقة التى حصلت بها على مالديها.'

'نحن لايعنينا ذلك أو يهمنى.' وهنا فقد صوت هذه المرأة الانفعال والإثارة،
وعاد ثانية إلى تسطحه. وبإشارة صامتة أعادت الأطفال إلى الغرفة الداخلية. نحن
لايهمنى أى شىء. لماذا لانتظاره؟ كل إنسان يسبح فى الإتجاه الذى يبتغيه. ومن
يبقى على الشاطئ إنما يطلب المستحيل. 'كيف... كيف... كيف؟'

سأل الرجل زوجته، 'أهذه هى طريقتك فى النظر إلى الأمور؟'

'هل اكتشفت أنت طريقة غير هذه الطريقة؟'

‘لا’

‘هل يمكن أن ترفض سيارة كوموسون Koomson إذا ما أعطيت لك مجاناً؟’

‘لا’ أنا سوف أعتمد على’

‘هل هناك من خطأ فى الاستمتاع بين الحين والآخر؟’

‘بالطبع لا.’

تساءلت، ‘إنن لماذا رفضت؟’

تساءل، ‘ولماذا لا أرفض؟’

فتحت المرأة فمها ولكنها أغلقتة مرة ثانية. ثم قالت: ‘هذا شيء لطيف. إن الحياة التى تحياها إستلا Estella حياة نظيفة.’

هز الزوج كتفيه. ثم تكلم بعد ذلك، وكان كلامه مفعماً بالتراخي المتعمد والمقصود. ‘شيء’ من هذا النوع من النظافة فيه الكثير من العفن والتعفن، على نحو يفوق العفن الذى يكمن عند قاع مقلب النفايات والمخلفات.’

‘أم م م م م....’ وكادت أن تتخل المرأة فى نوبة من نوبات الغناء. وربما أخذ الصوت على إنه علامة من علامات الرضا والافتتاح ‘أنت الجن والعفاريت نفسها.’

‘مالذى تعنيه بذلك الكلام الذى تقولينه؟ لم يكن صوت الرجل محملاً بالغضب وهو يقول هذا الكلام، ولكنه كان قد استدرج إلى مؤامرة وبهدوء شديد راحت المرأة ترد عليه.

‘ياأنت؛ أنت تعرف أن ما أسميه الجن أو العفاريت Chicidodo هو اسم لطائر. وهذا الطائر يكره الغائط كراهية شديدة. ولكن هذا الطائر يتغذى على

يرقات بعض الديدان، وأنت تعلم أيضا أن تلك اليرقات تنمو وتزدهر داخل
المرحاض. هذا هو طائر (الشيشي دودو).
كانت المرأة تبتسم.

الفصل الخامس

عتاب المحبين يكون حائياً ولطيفاً عندما يكون على شكل صمت. وعندما يكون ذلك الصمت مفعماً بالوعي الناجم عن الأسى والاستياء، يكون هناك دوماً أمل فى تفهم أولئك المحبين للرغبات الصغيرة الغامضة التى يتعين فهمها، كما لوكان الإنسان يحاول دوماً المحافظة على الزعم أو الإدعاء الذى مفاده أن الفارق بين الفاشلين والأبطال الجادين فى أى حلم من الأحلام لايعنو أن يكون مسألة وقت ليس إلا. الزمن الذى يستغرقه الإنسان فى القفز عبر ياردات مكونة من أطين الناتج عن سقوط المطر طوال بضعة أيام؛ القفز على ميازيب واسعة ليس فيها سوى قطر من البول القابل للجفاف عند القاع مع الكثير من أعقاب السجائر المبتلة التى ألقى بها أصحابها فى الأماكن التى تخلصت منها شفاهم عندها، بعد أن امتصوا دخانها. الزمن اللازم للإبحار بنعومة جميلة فى إتجاه الوميض الجميل، ونحن نحمل بقوه يسيرة كل واحد من أولئك المحبوبين والأعزاء؛ الزمن هو تغيير لعنات الاستياء الصامتة الصادرة عن المحبين والمحبوبين، والزمن أيضاً هو الاسئلة الصامتة التى تصدر عن أولئك الذين استطاع الالم هو وخيبة الامل أن يقتل فيهم الانفعالات والعواطف الأخرى، الزمن هو تغير كل ذلك وتحويله إلى ضحك غير مفتعل عند أولئك المسافرين المتعبين الذين يصلون إلى بيوتهم فى نهاية الأمر. ولكن عندما يتحول عتاب المحبوبين إلى صوت وإلى ألم يلقى وجه ذلك الذى تسبب فيه، هنا النظر إلى الزمن بشيء من الأمل يكون أمراً مستحيلاً.

انتقل الرجل من أمام المائدة ليضطجع على السرير الموجود فى الركن البعيد من الصالة، ثم يغلق الرجل عينيه ولكن فشله لم يجعله يهنأ بالراحة . هذه هى المجادلات والاتهامات المضادة التى دارت مرات عدة تحت السطح داخل ذهنه، هاهى تتكالب على ذهنه من جديد ثم تختفى مرة ثانية وراء ارتباك وحيرته بعد أن زادت تلك المجادلات والاتهامات المضادة من حدة ذلك الإرتباك. والرجل، حتى

عندما يتعثر مرة واحدة، يتعين عليه أن يكون قادرًا على النهوض من جديد ويجرى في إثر أولئك الذين سبقوه، الرجل يجب أن يكون قادرًا على فعل ذلك، حتى وإن كان ذلك من أجل خاطر وعيون المحبوبين والأحياء. والرجل الذي تضغط عليه في عثرته أثقال ليست خاصة به يتعين عليه هو الآخر أن يسرع. وحكم المحبوبين الأحياء لا يختلف عن حكم الناس الآخرين، بالرغم من أن الأحياء في الذهن المنعزل قد يبدو كما لو كانوا عذراء قويًا يساق في حالة الفشل أو السقوط. ماهو المغزى من توجيه كثير من الآلام في إتجاه الأحياء والمحبوبين، وماهو المغزى من وراء رد المحبوب للألم أيضًا؟ ماهو المغزى، عندما لا يكون هناك داع للملاحقة، أو عندما لا يكون هناك داع إطلاقًا لتبديد دقائق الحياة، وبخاصة عندما تكون تلك الأيام خارج منطقه الوميض الذي تسبب في جعل المحبوبين والأحياء يعانون الكثير بسبب القلق؟

لم يكن لدى الرجل مايقوله لزوجته، التي لم يبدو عليها أنها كانت تنتظر أن يقال لها أى شيء عن ذلك الذي كانت تعرف أنه يقين وصادق من منظورها هى. ولكن القلق والعجز داخل الرجل تورمًا وتحولاً إلى شيء كان يبحث لنفسه عن مخرج من سجنه الإنفرادى؛ وينهض الرجل؛ واقفا في هذا الجو من القلق وعدم الارتياح ويخرج بهدوء شديد من خلال الباب في حين بقيت زوجته في مكانها ولم تكلف نفسها مشقة النظر إليه أو الحملقة فيه، ولم تسأله عن مقصده أو موعد عودته أثناء الليل، بل إنها لم تكلف نفسها مشقة سؤاله إن كان سيعود أو لايعود إلى المنزل.

خارج المنزل، كان الليل نفقًا طويلًا إلى حد أن الرجل لم يكن يرى لذلك النفق نهاية من فوقه أو من أمامه، وكان واضحًا لذلك الرجل الذى كان يسير في ذلك النفق أن الأنوار التي كانت هنا وهناك لم تكن أى شيء غير قوة هذا الليل الذى كان ينادى نداءً سهلاً وخفيفاً على كل أولئك النائمين في جوفه. وعندما نظر الرجل حوله وجد أنه هو الشيء الوحيد الذى لا يعرف كيف يجيب على نداء الليل هذا. كانت عيناه تؤلمانه بسبب يقظتهما، وبخاصة في هذا الهواء الليلي الذى كان رطبًا بفعل ماء وملح البحر القريب من المكان؛ أحس الرجل بجفاف شديد ومريع في أنفه، وفي فمه كله

وحتى بالقرب من حلقه، يضاف إلى ذلك أن رأسه بدأ يدور بفعل هذا الاستخفاف الشديد ومن حوله مصباح من مصابيح الشارع الذي يعلوه زفت الفحم، راحت حشرات الليل تنز وهي تتراقص تراقصًا مجنونًا، هذه الحشرات لم يجذبها الليل بصورة مباشرة من داخله، وإنما الذي جذبها هي النار الناتجة عن المصابيح التي في هذا الليل. هذه هي الطريقة الخاصة التي تلتقى بها هذه الحشرات ذلك الليل، والجميع سواسية في نهاية الأمر. أليس هناك شيء ما حول هذا المكان وحول الزمن، بل وحول كل شيء في واقع الأمر، وأن ذلك الشيء كان يسعى جاهدًا لتوضيح أن هناك شئوًا كبيرًا في أي رجل من أولئك الذين يتخيلون أنهم قادرون على الهرب من التحلل الحتمي للحياة ويرفض التسليم بالتحلل والفناء في نهاية المطاف؟ في مواجهة هذا الشئو، أليمكن لتلك الصراعات أن تكون أي شيء آخر، غير مجادلات مستمية من جانب أولئك المعاندين اليائسين، لإطالة شبابهم في مواجهة عفن العمر الذي لا يعرف لنا أو هوادة؟ هوادة؟ هذا هو رفيق يستعيد ذكرياته عن راما Rama كرشنا Krishna . هذا الرجل غاني، أي من غانا، ولكنه انتحل لنفسه هذا الاسم البعيد بعد أن تناسخت روحه على إثر هروب طويل حافل بالعذاب والقهر، من كل الأشياء القديمة ومن كل الأشياء المعروفة، نظرًا لأن كل ما حول هذا الرجل كان يثبت ويؤكد له التهديد المريع لذلك التحلل. هذه هي الروح تلتهم الأفكار الناتجة عن الأشياء دائمة الخضرة وعن نوع من السرمدية أو الخلود الذي كان يحاول تفهمه بصورة دائمة، في ظل كل ذلك ينغمس هذا الصديق بكل جسده في اليوجا التي ينظر الآخرون إليها باعتبارها مجرد عون على هذه الحياة. هذه الحياة عامرة بالتدريبات التأملية، وبالحميات الغذائية الخاصة التي تعتمد على العسل وعلى الخل، والرفض الحاسم والقاطع لقتل أي شيء حي من أجل الطعام أو الغذاء. كان ذلك الصديق يوافق كل من يسأله قائلًا: 'نعم' إنه من الحكمة أيضًا أن تكون النباتات الصامتة، — ومن يرى — أكثر حياة من الأرواح المحطمة، ومنا نحن الذين نستهلك هذه الأرواح، وبعد ذلك وفي هدوء، شأنه في ذلك شأن رجل يعاني كربًا نفسيًا شديدًا، يتجه تلك

الرجل إلى كتاب آخر، هو لشخص غريب آخر، كان يسميه نبيا في بعض الأحيان،
ويسميه جبران Gibran في أحيان أخرى، ويقرأ في هذا الكتاب مايلي:

ليتك تستطيع العيش على الأرض ،

ويعولك الضوء مثل نبات من نباتات الهواء.

ولكن طالما تعين عليك القتل كي تأكل ،

وتسرق من الوليد لبن أمه لتطفي به ظمأك،

فليصبح ذلك عملا من أعمال العبادة

ومع ذلك تستطيع القول : إن تلك الكلمات التي كان القصد منها إضفاء نوع
من الهدوء على روح ذلك الرجل المتسائل لم نستطع أن نضيف على روح هذا
الصديق الحزينة أى شيء من الراحة أو الاطمئنان .وبالقرب من النهاية اكتشف ذلك
الرجل الطريق الأوحده: ألا وهو ألا يدنس نفسه أو يفسدها بلمس أية امرأة من النساء،
ولكنه اخبر منيه كي يعيد الحيوية إلى ذهنه عندما يقف على رأسه بضع دقائق كل
ليلة ومع طلوع الفجر فى كل يوم. فى كل يوم كانت تتطبع على محيا ذلك الرجل
نظرة بعيدة رمزية دائمة الخضرة، توحى بأن ذلك الرجل دائم التفكير فى الهرب من
كل من الفساد والسرمدية. لقد مات الرجل بسبب مرض السل، مات وهو فى سن
صغيرة، ولكنه جسمه الداخلى كان قد اعتراه نوع من التحلل أكبر بكثير من التحلل
الذى يمكن أن يعترى أى كائن من الكائنات الحية الأخرى، بغض النظر عن شيخوخة
مثل هذا الجسم أو اقترابه من الوفاة. سرى همس - كيف يمكن معرفة مثل هذه
الأشياء فى واقع الأمر؟ - مفاده أن المرض قد أتى على المادة الهشة فى الرئتين، وأن
ذلك الذى ينبغى أن يكون القلب فيه أصبح مجرد عدد كبير من الديدان الحية تجمعت
إلى بعضها البعض على شكل قلب. وعليه فإن ذلك الذى لم يتعفن داخل الصديق لا
علاقة له بالخوف من ذلك الذى كان يتحلل خارج ذاته؟ وكم يساوى ذلك الهروب غير
الطبيعى فى نهاية الأمر؟ وراح الرجل يتعجب من تلك الصرخة التى تصدر عن

طائر الشيشي دودو Chichidodo، هذا الطائر يتحرق شوقاً إلى يرقاته ولكنه يهرب من الأرياح Feces التي وهبت الحياة لتلك اليرقات.

بعد أن عبر الرجل الطريق متجهاً صوب طريق الوصل الرئيسي بالقرب من البحر، قطع المسافة كلها سيراً على قدميه إلى أن وصل إلى منطقة إيسى Essie ليقف خلف حاجز الأمواج الذي يباعد بين البحر وبين إتلاف الطريق. وبين الحين والآخر كانت تتجه نحوه الأضواء المبهرة في سيارة من السيارات وتمنعه من رؤية الأشياء، ثم يجيء الظلام بعد تلك الأنوار المبهرة، ذلك الظلام الدامس والحاك أكثر من ذي قبل إلى حد أن قليلاً من الإحساس الضائع المريح الذي كان يعتدل داخل الرجل وحده في العالم الخارجي، والذي يختلف عن الوحدة التي يكابدها المحبوبون الذين يحيط بهم المحبوبون الذين يكابدون الأحزان، كل ذلك بدأ ينهال على الرجل على شكل أمال حلوة ومحببة تبذرت قبل أن يستطيع الإمساك بها. ومع ذلك، فقد اختمرت الفكرة واثرت في ركن ما من أركان عقله: الفكرة التي مفادها أن البريء 'بحق ينبغي أن لا يهزم بهذه الطريقة بفعل الإتهامات التي يوجهها إليه أولئك القريبين منه... ولكن هذه الفكرة لم تخرج إلى خارج حيز نطاق عقله، وراحت تغوص إلى عمق أكبر من ذي قبل، مخلفة وراءها السخط وعدم الرضا. عند الجسر (الكوبري) كانت تقع تلك البحيرة الموجودة على الجانب الأيسر، وكانت ظلمة تلك البحيرة أحلك من الظلام الذي يطوقها ويحيط بها. وكانت الأضواء التي على سطح تلك البحيرة والتي كانت صادرة عن صيادي السمك الذين يعملون في الليل، تمتد على شكل ومضات خفيفة طويلة ورفيعة جدًا على نحو يفاجئ العين. وبالقرب من سوق إيسى Essie كان هناك صف طويل من النوافذ الصغيرة التي تطل منها البغايا والمومسات، هذه النوافذ كان جمالها من نوع غريب، ومن نافذة من تلك النوافذ تناهت إلى مسامع ذلك الرجل ضحكة صادرة من واحدة من الغرف، وانتهت تلك الضحكة على نحو يفيد أن تلك المرأة الشابه التي ضحكت تلك الضحكة الطويلة قد أصابها الإرهاق والتعب على إثر المجهود الذي بذلته.

منذ وقت مضى - منذ متى؟ قال الناس إن سوق إيسى هو والمنطقة المحيطة به كان عبارة عن بحيرة. وإلى يومنا هذا، وبعد يوم من المطر الغزير، ترى ذلك السوق يتحول إلى نهر سريع، الأمر الذي يجعل السوق يتحول إلى بحيرة ضحلة ويستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يتسرب الماء خلال الأرض أو ينصرف ناحية النهر أو يتحول إلى بخار في الهواء من جديد. وحتى بعد كل ذلك تظل أرض السوق محتفظة بطراوتها، التي تعطي صمًا غير عادي لوقع أقدام كل من يمشى فوقها. وفي أنحاء هذا السوق تنتشر جماعات غير منظمة من رجال الفرازة Frafra ومن رجال الهورا وهم يبيعون أرغفة من الخبز بواقع بنس واحد لكل رغيف كما يبيعون أيضًا شايًا في علب الألبان المستعملة، وذلك بالرغم من عدم وجود مشترين حول هؤلاء الباعة في ذلك القسم من الليل. هذه هي الجدران المصنوعة من الصّاج المضلع تمر سريعة من أمام الرجل بفعل موجات الضوء التي تظهر وتخبو في ذلك الظلام. كانت تترأى للرجل بين الحين والآخر بعض الجدران المبنية من الطين والأسمنت ومن فوقها تقفيسة من الحديد تحول دون دخول الضوء إلى الداخل. كان الماء الكسول، فوق الأرض، يبحث دون جدوى عن ميازيب كي يستطيع المرور خلالها، ليشكل في النهاية رغوة تترأى للناظر إليها أثناء الليل.

كان شجن الموسيقى الكونغولية الحلو ينساب من خلال نافذة قريبة من نهاية صف المنازل الصغيرة، وتوقف الرجل بالقرب من تلك النافذة. وأمسك الرجل بقضبان النافذة المستقيمة، وراح ينظر داخل الحجرة. في داخل الغرفة، كان هناك رجل راقدًا على سرير صغير موضوع بجوار الجدار البعيد وبالقرب من باب الغرفة، كان الرجل يقرأ في كتاب. وقف الرجل الموجود خارج الغرفة فترة طويلة بجوار النافذة، وهو ممسك بالقضبان الحديدية وراح يطيل النظر إلى ذلك الرجل العارى داخل الغرفة. ثم تحرك الرجل ليعبر فناء صغير، وطرق باب غرفة ذلك الرجل العارى. انفتح الباب في صمت ودخل الرجل الغرفة. لم ينهض الرجل العارى من فوق السرير. رفع الرجل عينيه عن الكتاب بصوره مؤقتة، ثم عاد إلى مواصلة

القرائة وهو يبتسم ابتسامة خفيفة. لم يتسبب الرجل فى إزعاج العارى. كان صوت اثنين من المذيعين ينبعث من جهاز الراديو: صوت مذييع وصوت مذيعة، كان المذيعان يقرآن قائمة طويلة من الأسماء التى بدت للوهلة الأولى بعيدة جدًا وشديده الأفرقة، ثم انساب بعد تلك لحن حزين من تلك الجهاز الصغير. انتقل الرجل إلى الجانب المقابل من الغرفة ليجلس فوق المكتب الموضوع بجوار الجدار ويريح قدميه على الكرسي القريب من المكتب.

توقفت الموسيقى على نغمة طويلة جاءت بعد أن قال الصوتان ذلك الذى يجب أن يكون توديعًا للمستمعين غير المرئيين، وضاعت تلك النغمة فى لحن الإشارة الذى انساب من المذياع. مد الرجل العارى يده اليسرى إلى مفتاح المحطات وراح يديره. كانت الموجات المتسارعة تصطدم بالموجات العائدة، وكانت تتخلل تلك الموجات أصوات عالية، وحادة وقصيرة جدًا. وهنا عبر صوت أغنية سريعة ثم عاد مرة ثانية. كان استقبال الجهاز ممتازًا، ولكنه ازداد وضوحًا على وضوحه. هذه هى أقرب المحطات، الإذاعة الغانية. كانت الأغنية من الأغاني العادية جدًا عن ' الحياة المرفهة'، ولكن قبل أن تتمكن يد الرجل من إدارة مفتاح المحطات، كانت تلك الأغنية قد انتهت وأعقبها أغنية لحنها أبطأ من لحن الأغنية السابقة وأكثر عذوبة منها. سحب الرجل النائم على السرير يده من على مفتاح المحطات، ثم أغلق الكتاب الذى كان يقرأ فيه، وراح يستمع إلى المعجزة. كانت المعجزة عبارة عن لحن بطيء جدًا، بالرغم من أن كل ثقب فى تلك الأغنية كان مليئًا بالأصوات التى كانت تحكى، وبحزن بالغ، الكثير للأذان الصاغية، وعندما بدأت الكلمات تتساب من أفواه المغنين، الذين استشعروا تلك الكلمات وأحسوا بها كانوا قد أضافوا شيئًا إلى ما نقوله تلك الأغنيات شأنهم فى ذلك شأن المطر عندما يسقط بعد نهار طويل عامرًا بالحرارة والبلل.

هؤلاء الذين باركتهم القوة

وسرعة تحليق النسر

وطاروا في المقدمة،

دعهم يذهبون.

سوف أنتقل أنا ببطيء،

وسوف أصل أيضاً.

من الواضح أن الأغنية عمقت من صمت الرجل المسترخى على السرير. ولكن فيما يتعلق بالرجل الجالس على المكتب المقابل للسرير، فقد أثار ذلك الحزن عنده أفكاره الشخصية الوحيدة المنعزلة، عندما تكتشف أن مسألة تبرير أمانتها إنما تعد أمراً بالغ الصعوبة. كيف يستطيع تبرير أمانته في الوقت الذي لايسأم العالم المحيط به ترديد القول بأن هناك صنفين فقط من الرجال هما اللذان يلجآن إلى الأمانة- الجبناء والأغنياء؟ هذا الرجل، يكون في أحيان كثيرة من أيامنا هذه محملاً بشعور ملأه اليأس والعجز، ومفاده أنه ليس مجرد واحد من هؤلاء، ولكنه خليط بائس وبائس من الاثنين معاً. هذا الرجل الذي يعاني من الوحدة والمحصور في الحانة تحركت فيه الأفكار والصور الذهنية؛ هذا الرجل لايسكر ولايشرب ولكنه يحس بالارتباك أكثر من السكارى الضالعين في الشراب، وعندما قاربت تلك الصور الذهنية على الإختلاط بذاته، تحول إلى ذلك الرجل المريض الذي يرفض المقامرة بحياته، وترتب على ذلك أن بدأ يستشعر اللوم الحاد والعنيف الذي يلقيه عليه أقرب أقاربه. وطوال كل ذلك الوقت، كانت تلك العيون التي لايمكن تحاشيها أو تجنبها لاتفعل شيئاً سوى أن تطيل النظر إلى ذلك الرجل وتحملق فيه، وتهىء له بوضوح مرعب ومخيف، أن الأمانة، في هذه الأيام، ليست سوى رذيلة من الرذائل الإجتماعية، عند أولئك الذين يؤثرون أن يغمسوا في هذه الرذيلة شكلاً شديداً العداة من أشكال الأثرة والأنانية وحب الذات، أو إن شئت فقل: شكل من أشكال الأنانية شديدة الإنحراف،

بعد أن يعجلوا بالتسلق

دعهم يذهبوا.

سوف أتجول ببطء،

ولكنى أيضا سوف أصل

لا بد أن شخصا ما استشعر أو أحس إحساسا عميقا بأمر من الأمور مما استنفر فيه أصوات اليأس الطويلة التي ترفض الموت. كم عدد هؤلاء البشر الذين وصلت بهم الحياة إلى مثل هذا الفهم دون أن يدروا عن ذلك أو يعرفوه؟ ومامدى صمود ذلك الفهم فى مواجهة قوة الوميض الموشره والحث المخيف من جانب الجوع عديم الحيلة الذى ينشب أظفاره فى الأحياء والمحبوبين؟ هذه النغمات البطيئة المعلقة التى بدأت تتماوت مع اقتراب نهايتها، اختفت فجأة اختفاء تاما مخلفة وراءها داخل هذا الرجل نوعا من الإحباط يشبه الجوع الحقيقى إلى حد بعيد. وخلال الصمت الذى أعقب ذلك، راح الرجل العارى المسترخى على السرير، يتهدد، ويمد يده من جديد ناحية مفتاح المحطات فى المذياع بحثا عن محطة أخرى، ولكن بحثه لم يسفر عن شىء سوى الأصوات اللاسلكية الخشنة، مما جعله يطفى المذياع فى نهاية الأمر. كان الرجل الجالس على المكتب يراقب كل ما يحدث، وعندما وجد أن الرجل العارى لم يعد إلى الكتاب مرة ثانية، راح يتحدث إليه قائلا:

'أنا لم أعرف شيئا عن تلك الأغنية؛

'لا. وأنا لم أسمعها للمرة الأولى إلا فى هذا الصباح.'

قال الرجل: 'وأنا أعجب من ذلك الذى أبدعها.'

رد عليه الرفيق 'أنت على حق، أنا أود أن أعرف ذلك الذى أبدع هذه الأغنية. قلة قليلة من الناس هم الذين يرون الأشياء ثم يقولونها. أود أن أعرف مؤلف هذه الأغنية.'

'يقولون إن الفرق هى التى تؤلف أغانيها.'

‘شعراء فشلوا.’

‘لماذا؟’

‘واقع الأمر، أنى لم يكن من حقى قول ذلك. كان المفروض أن أقول عكس ذلك الذى قلته تمامًا.’

‘ماذا عنا نحن أنفسنا؟’

يذهب السؤال أدراج الرياح عندما يهب الرجل العارى واقفاً ويترك السرير، ثم يتناول قلمًا من أقلام الرصاص الموضوعه فوق رف الكتب القريب من السرير ويضعه داخل الكتاب فوق رف الكتب ثم يعود إلى الجلوس فى السرير من جديد، ويسند ظهره على شباك السرير ثم يسحب ركبته إلى الأعلى.

ويتساءل الرجل الجالس على المكتب، وهو يشير إلى الكتاب، ‘ما هذا الكتاب؟’

‘لقد رأيتَه بالأمس. كان ذلك هو العنوان الذى استهوانى. عنوان الكتاب: ذلك، الذى ينبغى أن يموت. مؤلف الكتاب يونانى.’

‘هل هو كتاب جيد؟’

‘إيه جيد جدًا. هناك أشياء كثيرة طيبة لانتهايا لنا فرصة مشاهدتها أورويتها. إذ يتعين ترجمة تلك الأشياء فى بدايه الأمر. وحتى بعد ذلك...’

صمت الرجل الجالس على المكتب فترة قصيرة لم يقل خلالها أى شىء، ثم قال: ‘الناس يمكن أن يرونك على هذا الحال من خلال نافذتك.’

قال الرجل الجالس على المكتب: ‘هذا إذا ما اهتموا بالوقوف وإطالة النظر إلى الأشياء. وهذا لا يضايقتنى أويشغلنى.’

تكلم الرجل الجالس فى السرير وقال كلاما لا هو بالخبر أو السؤال إذ قال: ‘وعليه.’

قال الرجل: 'أردت الدخول والالتقاء بك.'

هز المستمع رأسه مؤكداً: 'أنت هارب من الهدوء العائلي مرة ثانية.'

'الأمر خطير في هذه المرة.'

'إنه خطير في المرات كلها.'

قال الرجل: 'من حقك أن تضحك.'

تساءل الرجل العادي، 'هل تعتقد ذلك؟ هل تظن حقيقة أن بوسعي أن أضحك؟' كان الرجل لا يزال يبتسم.

قال الرجل: 'حسن، أنت لم ترتكب أفعذ الأخطاء وأخطرها.'

ضحك الرجل العادي بصوت عالٍ. 'أنت لست بحاجة إلى حياتي، وهذا ما أصارحك به.'

'أيها المدرس Teacher، أنت تحول الأشياء إلى نكات.'

'أنا آسف. أنا لأقصد ذلك.' كانت هناك نبرة حزينة في صوت الرجل، وراح الرجل الجالس على المكتب ينظر إلى الأرض المصنوعة من الأسمنت تحت قدميه.

قال: 'لقد عيرتني أويو Oyo بانعدام جدواي هذه الليلة.'

'ماذا حدث؟'

لقد نعنتني بأني مثل طائر الشيشي دودو CHichidodo

'آه إنه مثل، أظن أنه ليس مثلاً؟ هذا الطائر يأكل الغائط، ويكره

الديدان؟' Teacher

'نعم' العكس هو الصحيح، أيها المدرس.

‘لماذا قالت أويوهذا الكلام؟’

‘حكيت لها ماحدث لى فى العمل اليوم. و عرض على رجل رشوة؟’

‘تحولت أنت إلى قاتل، وتخليت أنت عن تلك الرشوة؟’

قال الرجل: ‘تخليت عنها.’

‘تنتظر الصفح والعفو من أسرتك بعد ذلك.’

قال الرجل: ‘أنا أفهم ما تقول جيداً. أنا أفهمك بعقلى عندما تتكلم بهذه الطريقة

الباردة عن مثل هذا الشيء. ولكن الناس يريدون الكثير.’

‘الناس يتطلعون إلى الحصول على ما يتمتع به الآخرون، هذا هو كل مافى

الأمر.’

‘وهم لا يهتمهم الوسيلة التى يمكن الحصول بها على ذلك؟’

‘هذا أمر لا يهتمهم بطبيعة الحال. هناك طرق عديدة للحصول على ذلك. وأنت،

بصفتك زوج يتعين عليك اكتشاف تلك الطرق. هذا أمر فى غاية البساطة أليس

كذلك؟’

قال الرجل: ‘أنت تعرف جيداً، أنه ليس هناك سوى طريق واحد فى نهاية

المطاف. طريق واحد لأمثالنا من الناس.’

‘حسن، وماذا بعد.’

‘ماذا تعنى بكلامك حسناً، وماذا بعد أيها المدرس Teacher؟’

، هل أنت مندهش عندما يغضب أهلك معك لأنك لم تسلك أوتمشى فى ذلك

الطريق الوحيد المفتوح أمامهم؟’

‘آه، من ذلك الطريق الأوحدا!’

قال الرجل العارى، ' هذا كلام دقيق. ذلك الطريق الأوحده هو المسار الذى تريد أنت أن تتحاشاه. ما الذى سيفعله أهلك إذا ما تحاشيت ذلك الطريق؟ هل سيتظاهرون بأنهم لم تعد لديهم رغائب أو نزوات'
'إنهم سيدمرونى ويحطمونى أيها المعلم.'

'أوقد يجعلونك رجلاً عظيماً. واحداً من هذين الاثنين اللذان يعرفان؟'
أغمض الرجل عينيه وترك قدميه يترنحان من تحته. أخطأت القدمان الأرض.

قال. 'الذى لأفهمه هو إحساسى الخاص حول هذا الأمر. أنا أعلم أنى لم أقترب أى خطأ من الأخطاء. وأنا بوسعى أن أختلف مع أويو Oyo حول هذا الأمر. ومع ذلك، ومع كل ذلك، فأنا هو ذلك الشخص الذى يشعر بالغرابة والغرابه.'
'أنت الرجل المدان.'

'نعم. أحس كما لو كنت مجرماً. أنا أجد نفسى فى أغلب الأحيان، هذه الأيام وكأنى أفكر فى شىء مفاجئ بوسعى أن أفعله كى استعيد نفسى فى عيون أهلى. ثم أجلس بعد ذلك وأروح أسائل نفسى عن الخطأ الذى أرتكبته، وأجدنى لا أصل إلى شىء.'

قال الرجل العارى: ' أنت لم تفعل ذلك الذى يفعله الآخرون؛ وهذا يعد جريمة فى العالم الذى تعيش فيه. وأنت على علم بذلك بصورة دائمة ومستمرة.'

أوقف الرجل الجالس على المكتب عمليه مرجحة رجليه، ثم راح ينظر إلى صديقه. وقال: ' إذا كانت تكرهنى إلى هذا الحد، فما الذى يضطرها إلى البقاء معى؟'

تساءل الرجل العارى " إلى أين تذهب أو تروح؟ يضاف إلى ذلك أنك تبالغ فى الأشياء. أو لا وقبل كل شىء، فإن مثل طائر الشيشى دودو Chichidododo من حيث أنه أهانه لشخص متزوج، يعد شيئاً بسيطاً جداً.'

'أيها المعلم، أنت من عانيتك أن يكون كلامك مفعماً بالود والحنان.'

'أنا أسف عما قلته.'

بقى الرجل الجالس على المكتب مطرقاً ونظره متجه إلى قدميه الممددتين. حول الرجل العارى وجهه ناحية الرجل الجالس على المكتب وراح ينتظر بداية الحديث.

وعند ما يحين الوقت يسخر ذلك المعلم Teacher من آلامى، فإلى أين سوف أذهب بعد ذلك؟'

قال الرجل العارى: 'أنا لم أكن أسخر منك. ولكنى كنت أفكر فى زوجتك. زوجتك هذه، امرأة مؤدبة جداً.' قال الرجل هذا الكلام وجاءت الضحكة التى أعقبت ذلك الكلام طويلة وجافة. 'أنا أحس وكأنها قالت لى هذه الكلمات أيضاً. أنا أرى أننا كلنا صنو واحد.'

'كلنا ماذا؟'

'كلنا طيور شيشى دودو، أقصد هؤلاء الذين لا تقوى معاؤهم على اللعبة الوطنية.'

قال الرجل: 'أنا لم أسمعك مطلقاً تتكلم عن تلك اللعبة الوطنية.'

هذه ليست طبيعتى، وأنا صادق فيما أقول. لقد أمضيت وقتاً طويلاً وأنا أحاول الهرب من تلك اللعبة.'

'ظننت أنك واحد من أولئك الأشخاص المتحررين تماماً من كل ذلك.'

'لا. لقد حاولت التحرر من ذلك، ولكنى لست حراً، ولن أتحرر من ذلك مطلقاً.' انقلب الرجل العارى على جنبه ورفع جسمه متكئاً على كوعه الأيمن ليصبح مواجهاً للرجل الجالس على المكتب. 'كل شىء كان طيباً تماماً، الشباب وماء الحياة النقية الأمانة ينساب إلى الأرض الظمآنة، أليس كذلك؟ ولكن ماذا يحدث عندما تخرج

ونجد أن الأرض بحاجة إليك، وأنت لست أميناً أحياناً، وإنما شبيه تماماً بذات هذه الأرض الميتة؟ ألا يخطر ببالك أنى أيضاً كنت أعجب وأندعش لهذا الأمر؟
قال الرجل: 'أنا أعرف أنك الشخص الوحيد الأكثر تحرراً من بين كل أولئك الذين أعرفهم.'

'إذن، فكل أولئك الذين تعرفهم هم من العبيد.'

'حسب كلامك، يبدو أنك هربت من نداء الأحياء والمحبوبين.'

'نعم، ولكنى لست حرّاً. فأنا لم أتوقف رغبتى فى لقاء أولئك المحبوبين، وفى لمسى لهم، ولكنك تعلم أن المحبوبين يصبحون ميّتين حتى عندما يمشون حول الأرض مثل الأحياء، وأنت تعرف أن كل مايريده أولئك المحبوبين هو أن تخلص ذهنك وعقلك من ذلك الشيء الذى يجعلك تظن أنك مازلت حياً، وأن أحضانهم ستكون ترحاباً بك فى الموت.'

'من هنا يهرب المعلم.' Teacher

'من هنا، أنا أهرب بالفعل. أنا أعرف أنى لاشيء ولكن لن أكون أى شيء مطلقاً بغير هؤلاء المحبوبين والأحياء، وعندما تتملكنى رغبة التوقف عن ألا أكون شيئاً، عندئذ تتملكنى من جديد رغبة العودة إلى أولئك الذين هربت منهم. ويستمر ذلك إلى أن أرى تلك الأنزع المحبة وهى مفروده، لكى تهدى إلى الموت. وعندها أتوقف واستدير حولى وأعود إلى هنا، لكى أعيش حياة العزلة.'

يرد الرجل، 'ولكنك أنت الذى اخترت ذلك بنفسك، أليس هذا أفضل بكثير عما كنت فيه؟'

'تقول؟ أفضل؟ أتسكع... لاشيء... هذا يعتمد على أمور كثيرة. ولكنك تعلم أن ذلك ليس خياراً بين الحياة والموت، ولكن مانوع الموت الذى يمكن أن نتحملة، فى نهاية المطاف. ألم تتبين أن الخلاص غير موجود فى أى مكان من الأماكن؟'

’ زوجتى تظن أن الخلاص موجود.‘

قال الرجل العارى :’ هناك خلاص من نوع ما، بطبيعة الحال ؛ ولكن ذلك الخلاص يكون فى إطار إدانتنا ذاتها.‘

’أيها المعلم، أنت تتحدث مثل واحد من أولئك المؤمنين الجدد.‘

’المؤمنون هم أصحاب الكلام الواضح تمامًا.‘

’لقد رأت زوجتى الخلاص الحقيقى.‘

’كيف عرفت ذلك؟‘

’هى تتحدث عن ذلك، أيها المعلم. الخلاص الحقيقى هو الوميض المبهر فى المنازل الصغيرة الجديدة، الخلاص الحقيقى هو البريق الساطع للسيارات المرسيديس الجديدة القوية، وهو أيضًا عبيق العطور الغالية، وطواقى الشعر المستعار.‘

’الخلاص هو النقود، فى نظرك.‘

قال الرجل نعم’ أيها المعلم، الخلاص هو النقود، ولكنه ليس النقود وحدها، وإنما القوة أيضًا. والخلاص يتجمع فى أيامنا هذه فى شخص كومسون *Koomson*.‘

’احترس، يارجل. الأسماء الكبيرة يجب أن لا تتطق مجردة. سعادته جوزيف كومسون، الوزير المفوض، عضو لجنة الرئاسة، بطل حزب العمل الإشتراكي. هل هذه هى مظاهر الاحترام التى تشير إليها وتقصدها؟‘

’زوجتى، هى وأمها تعتقدان أنه على وشك أن يجعلهما أثرياء.،‘

’حسنًا، قد يستطيع ذلك.‘

تتحدثان عن القوارب. الطريقة التي تحكى بها والدة أويو Oyo ، تفيد أن كومسون على وشك أن يشتري عددًا كبيرًا من قوارب الصيد ثم يقدمها لوالدة أويو.

'هذا شيء ممتاز أقول إنه شيء ممتاز يارجل. لا تتسأني عندما تأتي الأسماك.'

'إن كومسون سيخذلها ويخدعها.'

'أنت لا تعرف ما يدور، أيها الرجل. كل مافى الأمر أن تغمض عينك وتروح تراقب ما يدور.'

صاح الرجل، 'لكنى أعرف ذلك!'

'إنن، أنا موافق على ما تقول. اذهب وقل ذلك الذى تعرفه . وسوف تكرهك زوجتك إذا ما فعلت ذلك، كما أن أمها سوف تتكلم معك عن الحسد.'

'لكنى، أيها المعلم. لا يمكن أن أجلس وأرى بعيني أن أويو Oyo هي وأمها يجرى استغلالهما بواسطة كومسون. هل يمكن أن أفعل ذلك؟'

'لم لا؟ أنا أنصحك بأن تفعل ذلك بكل دقة. اتركهم يفعلون ما يريدون. ربما استطاعوا تحقيق الثراء. أنت لا تعرف كيف تحقق لهم الثراء، إنن اتركهم يجربوا ذلك هم بأنفسهم.'

'يارجل، إنس كل ما يتعلق بإحساسك حول هذا الموضوع. وأنت إذا ما منعت زوجتك وأمها من الحصول على قوارب الصيد، سيكون لك عدوان يظلم على مقربة منك طوال الجزء المتبقى من حياتك؛'

نزل الرجل من فوق المكتب. وبدأ يمشى على غيرهدى داخل الغرفة، وكان يقف أمام الجدار كى يفرد طوله عليه.

قال: 'أيها المعلم، إنهم يلجأون إلى موضوع القوارب هذا كوسيلة لغاية، هم يستعملون ذلك الموضوع كي يضربوني به على رأسي مع بداية كل يوم من الأيام المرعبة والمخيفة، يلجأون إلى هذا الموضوع كي يجعلوني أحس بانعدام قيمتي. وأسوأ ما في الأمر أني أعلم أنهم نجحوا فيما يخططون له. وأنا أسأل نفسي دومًا عما بي من أخطاء. وهل أنا ينقصني عضو من أعضاء جسمي؟ أيها المعلم، هذا الكومسون كان زميلًا لي في الدراسة. أقول أيها المعلم، إنه كان معي في فصل دراسي واحد. إذن، خبرني، وقل لي: ماذا ينقصني؟ وما هو العيب الذي في؟'

'ربما أنك لا تعرف كيف تكذب بطريقة جيدة، فضلاً عن خوفك من السرقة. هذا هو العيب الذي فيك. هل لديك أية صراعات أخرى؟'

قال الرجل: 'كنت أتبين ذلك في بعض الأحيان. ولكني أقول لنفسي، في هذه الأيام، إن تلك أعمال صبيانية. كنت أستمد من ذلك شيئًا من القوة في بعض الأحيان.'

'تري ما الذي حدث حتى يجعلك تغير نظراتك إلى الأشياء؟'

'إنها أويو Oyo.'

'لماذا، هل هي تنتظر طفلاً آخر؟'

'ليس هذا هو السبب، ليس هذا هو السبب على الإطلاق.'

'حكيت لي عن أسلوبها في النظر إلى هذه الأمور. وبدء من ذلك اليوم بدأت تخفي مني تلك الطاقة التي كنت أستلهمها كي أستعين بها؛ وهنا تحرك الرجل مبتعدًا عن الجدار ثم وقف أمام المكتبة، كما لو كان يبحث فيها عن عنوان محدد. ولكنه لم يتوقف عن الكلام.'

'في يوم من الأيام شرحت أويو Oyo لي كل شيء. وأظن أن ذلك تم عندما تطرقنا أولاً لموضوع القوارب هذا، وتكلمت بقدر كبير من التفاخر مؤكدة

أن الوزير سوف يفعل وينفذ ذلك الذي تكلم عنه. وكنت قبل ذلك قد سألت والدة أويو عن سيدفع ثمن تلك القوارب. أى وزير تعنين؟ هو كومسون بطبيعة الحال. كانت هى الوحيدة التى تدعوه الأخ Joe؛ عجباً، الآخ! آه قلت: أنا أعرف أنى كومسون. ليس لديه من المال مايمكنه من دفع ثمن هذه القوارب، بل وحتى قارب واحد منها. هذا الشيء يكلف آلافاً مؤلفه من السيّدات Cedis. وهنا سألتى حماتى فى شيء من الصبر والتأنى عما إذا كنت أعرف أن كومسون صاحب نفوذ أم لا. أسمته نفوذاً. كنت قد تناولت قصاصة من الورق ورحت أحسب فيها صافى راتب كومسون اعتباراً من تاريخ انضمامه إلى الحزب. وهنا ألقيت بقصاصة الورق على الأرض وقلت: "أوه لقد فهمت." وهنا تساءلت حماتى بنفس الصبر، عن ذلك الذى فهمته فى نهاية الأمر. وهنا ازداد غضبى مما جعلنى أقول لها: إننى فهمت أن هناك فساداً هناك سرقة عامة.

'لقد أسأت التصرف. لقد كنت غير وطنى فى واقع الأمر.'

خرجت حماتى من منزلى.'

'حسناً. فلننسى العناصر المخربة التى تهاجم نسيج الأمة'

'كنت أحسب أن أويو سوف توافق على ما أقول بصورة أو بأخرى. ولكنى كنت مخطئاً فيما ذهبت إليه. وبعد أن غادرت أمها منزلنا راحت أويو تتحدث معى عن حياتها، وخطر ببالى أنها توصلت إلى أساليب جديدة تضىء على زواجنا مزيداً من البهجة. كما هو الحال فى الفلسفة.'

'كان مفروضاً أن تكون قساً. فأنت لديك الكثير من الأفكار المشوبة بالعطف والحنان.'

'أيها المعلم، لقد أوضحت زوجتى لى خطوة بخطوة، أن الحياة شبيهة بعدد من الطرق. طرق طويلة، وطرق قصيرة، وطرق وسيعة وأخرى ضيقة، وطرق منحدره وطرق مستوية، كل أنواع الطرق. ثم طلبت منى أن أعرف أن المخلوقات البشرية

يشبهون أناسا كثيرين ممن يقودون سياراتهم على هذه الطرق كلها. وكانت تلك هى النقطة التى أخبرتنى عندها أن أولئك الذين يودون الوصول إلى مسافات بعيدة يتعين عليهم تعلم القيادة السريعة. ثم طلبت منى بعد ذلك أن أطلق اسما على أولئك الذين يخافون من القيادة السريعة، وأولئك الذين يخشون من القيادة بشكل عام. لم يكن عندى إسم كى أعطيه إياها، ولكنها لم تكن قد أنهت كلامها. قالت لى: الحوادث يمكن أن تقع ، ولكن الخوف من الحوادث لن يمنع الناس من ممارسة القيادة، وجو JOE كومسون سبق له أن تعلم القيادة.

'اسمح لى أيها الصديق، أن أخبرك بطالعك. أنت مع زوجة من هذا النوع لن تكون غنياً وحسب. بل ستكون عظيماً فى وقت قريب.'

'سوف أتذكرك أيها المعلم. ولكن ألاتستطيع أن تتبين صدق ذلك الذى تقوله هذه الزوجة؟'

ضحك الرجل العارى وقال: 'أنا أستطيع تبين ذلك. لقد رأيت ذلك بوضوح تام مما جعلنى أنفق وقتاً طويلاً فى الجرى هرباً من صدق هذا الكلام.'

'لقد كانت محقة، ولم يكن الأمر من قبيل الفلسفة. لقد كانت تتكلم عن غانا.'

'الحوادث فقط هى التى يجرى الإمساك بها.'

قال الرجل: 'هذا صحيح، أيها المعلم؛ أضف إلى ذلك أن السائق هو أنا.'

'إن السائق هو أنت.'

'اعتباراً من ذلك اليوم لم أستطع أن أباعد بينى وبين الاندهاش من أنى لم أكن أعرف ذلك الإرتباك الذى أصابنى، وأين أصابنى. لقد كان كومسون رفيقاً لى أثناء الدراسة.'

'أنت تقول ذلك كما لو كنت تردد إيتهاً.'

راح الرجل يقطع الغرفة جيئة وذهابًا، 'إنه لم يكن نكيًا تمامًا. الغريب، أنه كان غيبًا بحق.'

'ربما يكون قد حصل على عقل جديد.'

قال الرجل: 'العقل الجديد هو قنمى. ولكن هذا هو ما لا يراه أهلى. كومسون يحقق نجاحًا كبيرًا فيما يتعلق بنفسه... وأى رجل، يكون لديه مخ جديد، فى هذه الأيام يستطيع أن يحقق النجاح... أمثال هؤلاء الناس يجعلونى أحس وكأنى مجرم.'

'بوسعك أن تتكلم على هذه الشاكلة. أنت حظيظ.'

'أنت لاتعرف مدى الرعب الذى يمكن أن تتطوى عليه الوحدة والعزلة.'

'أيها المعلم، لقد اخترت أن تكون وحيدًا.'

'السبب فى ذلك أننى لأستطيع القيادة.'

'لديك كل حريتك.'

'هذا يجعلنى مجرمًا أكثر مما أنت عليه. أنت ترانى بالنهار وتظن أنى حر. وربما تتخيل أنى سعيد أيضًا. وعليه، داوم على ظنك هذا. ولعل ذلك يولد لديك شيئًا يجعلك تتعلق بالأمل. ولكنى أقول لك: إن هؤلاء الذين هربت منهم يزورونى فى أحلامى. هناك أمى. وهامى، فى أضعف الأحوال، تتركنى وحيدًا، ولكنها قبل ليلتين كانت معى فى الحلم، وكان ذلك الحلم مليئًا بالذنوب والآثام والخوف والوحدة. لقد وصلت إلى مكان يشبه إلى حد بعيد المنطقة المحيطة بمبنى المحكمة فى المنطقة المجاورة لبلدة باكانو Bakano فى إقليم ساحل الرأس Cape يوجد بالقرب من مبنى المدرسة الحكومية القديمة منزل كبير، هذا المنزل كان يشبه القلعة، وكان مدهونًا بلون ناعم أبيض، وهذا البياض مشوب بمسحة قليلة من اللون البنى. هذه القلعة، التى رأيتها فى الحلم، كانت مملوكة لأمى. كنت قد وصلت مع رفيقى الذى شاركنى كل رغباتى الروحية، إلى هذا المنزل، قادمين من مسافة بعيدة، ونحن نبحث

لأنفسنا عن ملجأ في بيت أمي. كان المنزل كبيراً جداً. كان في المنزل عدد كبير من الغرف، ولكني عندما تحدثت مع أمي بدأت لي ممزقة من داخلها بفعل قرار من القرارات المستحيلة. ولكنها عقدت العزم في نهاية المطاف، وخرج من قمها سيل من الكلام، وكانت كل قطرة من قطرات ذلك الكلام مليئة بالاستياء والكراهية التي ترتبت على الإحباط الذي أصابها وخيبه الأمل التي ألمت بها جراء تصرفاتي. "نعم، أتيت جئت هنا لتناول قسط من الراحة، أنت يامن لم يصنع أى شيء هنا على الإطلاق، وعليه ما الذي أعطيتني إياه على امتداد حياتك إلى الآن، وما هو العون والمساعدة التي قدمتها لي؟ وما أنت قادم إلى هنا، إلى هذا المكان." وعندما بلغ غضب أمي أقصى مداه طردتني من البيت إلى عرض الشارع. سرت مسافة قصيرة سرعان ما وجدت نفسي في مكان فيه منازل أكبر حجماً وأكثر إظلاماً بين البيوت الأخرى التي سبق لي أن شاهدتها، كما كانت الشوارع أوسع ومخلخلة السكان أكثر من الشوارع الأخرى، كما شاهدت أيضاً أناساً لم يخطر ببالهم أنهم يمكن أن يعيشوا ويحيوا في هذا العالم. إلا تزال تعتقد أنني رجل سعيد؟

قال الرجل : 'كلنا لنا أحلامنا.'

'ولنا متاعبنا أيضاً. كيف لي أن أظن أنني أفعل الصواب عندما أكون وحيداً وأن هناك الكثيرين الذين هربت أنا منهم؟ من هو المصيب بحق؟ أنا أعلم أنني اخترت شيئاً، ولكنه ليس ذلك الشيء الذي كان يمكن أن أختاره لو أنني كانت لدي القوة التي تمكنني من الاختيار الصحيح. أنا مجرد شخص جالس هناك، وأنت إن كنت تظن أنني أسعد منك يامن تقود السيارة هناك، فأنت لاتعرف ذلك الذي أحسه في داخلي. كان لدى الكثير من الآمال قبل الآن.... كان لدي آمالاً كثيرة وكبيرة....'

قال الرجل: 'أنا لست على يقين من أنني كان لدي مثل هذا الأمل.'

'آه، أن تتناسى الأشياء التي وقعت لك أثناء تعاستك.'

'أنت على حق فيما قلت. كل ما أتذكره بصورة واضحة هذه الأيام هو أنني أسير في مسارات اختارها الغير لي قبل أن أتخذ أنا قراري، وهذا هو الذي يجعلني أحس كما لو كنت واحدًا من الرجال العاجزين أو المعاقين. وأنت أيضًا بوسعك أن تقول لي: إنك تكابد الإحساس نفسه. أنت أيها المعلم، لديك مثل هذه الحرية ومثل هذا الخيار أيضًا. أنت لديك حريتك الخاصة بك.'

'هذا لا يشكل أمامي أية عقبة من العقبات. ونحن إذا لم نستطع أن نضحى بأنفسنا من أجل شيء نؤمن به، تصبح الحرية بلا معنى على الإطلاق. أنت تعلم، أنني حر في فعل ما أشاء، ولكن هناك أشياء تقع أود أنا المشاركة فيها. كان هناك شيء ما، وأنت تعرف ذلك الذي أعنيه وأقصده.'

صمت الرجل لحظة ثم قال: 'أنا أعرف ذلك.' قالها كما لو كان قد توصل إلى شيء مختلف تمامًا. 'أنت ما زلت تراودك الآمال، أيها المعلم؟'

'آية آمال تقصد؟'

'أى شيء. نهاية لهذا..... بداية لشيء آخر، ألا تأمل في الحصول على أي شيء من الأشياء؟'

'لا. أنا لا أمل في الحصول على أكثر مما لدي. أنا لا أمل بأي حال من الأحوال. أنا لم أعد أستشعر أي أمل في داخلي. أنا قادر على رؤية الأشياء، ولكنني لست كثير الإحساس. والإنسان عندما يستطيع رؤية نهاية الأشياء حتى وهي في بداياتها، يصبح الأمل معدومًا، اللهم إلا إذا كان الإنسان يريد التظاهر والإدعاء، أو النسيان، أو يسكر أو أى شيء من هذا القبيل لا أنا أيضًا واحد من أولئك البشر الأموات، الموتى الذين يمشون. أنا مجرد شبح. لقد مت منذ زمن بعيد. لقد مت منذ أزل بعيد إلى حد أن سلب الدم الحي القديم لن يجعلني أحيًا من جديد.'

تقلب الرجل العارى في سريره. وأدار المفتاح الأيسر من المذياع إلى أن توقف المفتاح عن الحركة، ثم ضغط الرجل على مفتاح المحطات إلى الداخل مما

جعل الخط الاحمر يعبر الواجهة الزجاجيه كلها. وعندما توقف الخط الاحمر انبعث خلال الهواء صوت رجل، مصاحبًا لصوت آخر الأمر الذي ترتب عليه بقاء صدى ذلك الصوت مدة طويلة، هذه كلها نذببات، فى حين كانت أصوات الموسيقى العالية أكثر من اللازم تغمر الغرفة قادمة إليها من وراء المحيط، أو إن شئت فقل: عبر البحار. وهنا أطفأ الرجل العارى المذباح ومعه ذلك الصوت أيضا، ثم تمدد على ظهره، وكان نراعه يرتفعان وينثيان حتى يتمكن من إسناد رأسه بين كفيه، ويسترخى بصورة مريحة، وكان نظره مثبتًا على سقف الحجرة.

وفى الجهة العكسية، قصد الرجل عائداً مرة ثانية إلى المكتب ليجلس فوقه من جديد، ولكنه فى هذه المرة كان كله ، تفكيراً، وإصغاءً وإمعاناً فى النظر.

الفصل السادس

لماذا نبدد الكثير من الوقت فى أسفنا ورثائنا على أنفسنا؟ صحيح أننا أصبحنا رجال، ولكن قبل

وقت ليس بطويل كنا مجرد خلائط من لحم طرى والعظم غير المشكل، وأن تلك الخلائط تتضاغط خلال تقوب متفجرة، وتلازم الروث وكذلك الدم الفاسد. لم يكن بوسعنا عندئذ أن نسأل عن الأسباب التى حتمت النمو علينا أيضًا. إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتعين علينا أن نروح نهز رؤسنا ونتعجب تعجبًا شديدًا من الأسباب التى تجمع الأطفال مع كبار السن، وعن أسباب عدم توقف الزمن عندما نكون قد وصلنا إلى المحطات التى نود عندها الحصول على قسط من الراحة؟ الأمر هنا يشبه حال الطفل، عندما توقف الحركة كلها.

ومع ذلك فإن الرعب الذى يبعث على الدهشة والعجب ويهز الانسان من أعماقه كما يثير الغثيان، لا يكون مصدره المرض الداخلى الذى يصيب روح الفرد. وفى هذا الاتجاه مرت علينا حركة قادرة على إصابة المعدة السليمة بالمرض. الذى يؤلم العقل المفكر ليس هو الحركة بحد ذاتها، وإنما السرعة التى تتطوى عليها مثل هذه الحركة والتى تبعث على النعاس والنوم. هذه السرعة هى التى تتطوى على هذا الرعب والفرع. لو كنت قد توقفت عند مجرد السؤال والتساؤل لقلت إن ذلك أمر شاذ وغير طبيعى، ولكنه شاذ لأى نوع من أنواع الطبيعة؟ كل حركة، وكل نمو، بل وكل شىء يحمل فى طياته طبيعته الخاصة كيما يحبط حكمنا المستقبلى. وأنا الآن، عندما أكون قادرًا على النظر إلى ما وراء الجمال، وبخاصة جمال الأيام الأولى، أعنى أيام الميلاد، أستطيع تبين النمو. وهنا أقول لنفسى إن ذلك هو ماينبغى أن يكون الحال عليه. ليس هناك من بين الأشياء مايحتم إبعاد القلب بحركة مضطرده، عن جمال الأيام الأولى. وأنا أرى أن النمو، هو كل ما يمكن فى ذهنى وفى عقلى. ، أنا عندما أتبين، عندما لا يكون هناك ما أحسه واستشعره أجدنى غير مضطرب. ولكن هذه

المشاعر غير المرغوب فيها تطبق على في نهاية الأمر. وتصيب الذهن المتعب بالإضطرابات جراء تلك الافكار التي لا تنتهي ولا تبعد عنى. إن الأمور تتسارع بشكل مريع ومخيف، من تلك الأيام التي كان الرجال فيها لا يخلجون من الحديث عن الأرواح وعن المعاناة، وعن الأمل، إلى أن تصل هذه الأيام المتدنية التي تتطوى على الإبتسامات التي لن تتورع مطلقاً عن المسارعة إلى إخفاء معرفة الغدر والخيانة والخديعة . هذا التحلل السريع ينطوى على شكل من أشكال الرعب التي لا يمكن مقاومتها.

عندما كنت في المدرسة، وبالتحديد عندما كنت في المستوى الخامس، وجد واحد منا، صبي من الصبية، متعة خاصة في أن يثبت لنا جوانب صادقة، ولكن غير متوقعة في العالم الذي نعيش فيه، جاء هذا الصبي وعرض علينا شيئاً، أنا على يقين، أن أحداً منا لم ينسأه. أطلقنا على ذلك الصبي أى أبوليجا Aboliga الضفدعة Frog. كانت عينا هذا الصبي تشبه عيني الضفدعة. أحضرنا أبوليجا هذا ذات يوم كتاباً عن الأهواء والنزوات والغرائب وعرض علينا أشياءه المفضلة من بين أشياء ذلك العالم. عرض الصبي علينا صورة في تعليق أو تذييل يقول: أن ذلك الرجل الطفل Manchild القديم. وأن ذلك الرجل الطفل ولد وله كل خصائص الطفل البشرية، ولكن هذا المخلوق أكمل خلال سبع سنوات الدائرة من الطفولة إلى الصبا ثم الشباب، ثم النضوج ومنه إلى الشيخوخة، كما مات ذلك المخلوق في عامة السابعة مئة طبيعية. صورة أبوليجا الضفدعة هذا كانت لرجل طفل في مرحلة الكهولة، كان الرجل كهلاً في كل شيء فيما عدا صغر حجمه، وهذا الشيء بحد ذاته أدى إلى تعميق ذلك الشذوذ. هذا الرجل الطفل كان يبدو عليه العجز تماماً، كان يبدو عليه التحلل أيضاً، وذلك على العكس من الرجال المعتادين الآخرين. ولكن هذا المخلوق، كانت له بطبيعة الحال، طبيعة خاصة به هو، إلى حد أن أولئك الذين اكتشفوا أرضاً صلبة، هم وحدهم الذين يمكن أن يدعوا أن الطبيعي سيكون من حقه أن يقول: إن ذلك غير طبيعي. ولكن أين أرضى الصلبة في هذه الأيام؟ ولعلنا نقول:

إن الدائرة بدءاً من المولد إلى الممات (التحلل) كانت قصيرة. قصيرة، ومختصرة أيضاً. ولكنها لم تكن شاذة أو غير عادية على الإطلاق. وحتى في التحلل النهائي هناك أشياء تذكر العقل الفضولي بالبدايات القديمة، وتتطلع إلى وعود بأشياء جديدة، أشياء من قبيل يأس الإنسان. لقد سمعت ذلك الألم من قبل، في ذلك الوقت تضاعف الألم مرات ومرات، ولكن ربما حدث ذلك من قبل، في ذلك الوقت تضاعف الألم مرات ومرات، ولكن ربما حدث ذلك لأنى لم أكن وحيداً في ذلك الوقت، ولم أكن منعزلاً عن الباقي. قد تكون هناك أصوات وحيدة أخرى ومنعزلة تكابد اليأس وتعانيه في الوقت الراهن. وأنا لن أسمع لذلك الصوت أن يظهرنى أو يدخلنى إلى خشبة المسرح، حتى وإن تضخم ذلك الصوت، مثلما فعل في الأيام التى كانت مفعمه بالأمل. لن أسمع لذلك الصوت بإظهارى، طالما رأيت بنفسى تحطيم الوعود التى قطعها ذلك الصوت على نفسه. ولكنى أقوم ذلك الصوت. لأنه سيصبح شبيهاً بالفليضة.

أليس من المدهش أن تكتسب أحداث الماضى السيئة حلاوة فى الذاكرة. الكروب القديمة هى مجرد صورة ومذاقات لا يترتب عليها أى نوع من الأذى، شأنها فى ذلك شأن الشامات التى يمكن أن تكون حالياً مصدرًا من مصادر اللذة. الأمر يبدو غريباً لأنى عندما أتمعن الأمر، دون إقحام أية مباحج على الماضى السحيق، أجد أن الأشياء كانت مؤلمة لى فى ذلك الوقت.

بعد أن انتهت الحرب عاد الجنود إلى منازلهم محطمين فى غيابهم، بل إنهم عادوا ومعهم القتل فى دواخلهم وفى قلوبهم، ونقلوا ذلك القتل إلى أقرب أقاربهم. لقد رأيت ذلك، ولكن على نحو غير واضح تماماً، لأنى لم تكن لدى الوسيلة التى تمكنى من فهم ذلك، ولكن ذلك أخافنى. لقد قمنا بمسيرات طلباً للنصر وأنا لا أعتقد أن أحداً منا بلغ من الوضاعة الروحية مبلغاً جعله يتساءل إن كنا نعرف ذلك الذى نحتفل به. انتصار من؟. أهو انتصارنا؟ هذا الأمر لم يكن يهم. مضينا فى الطريق، والغيبى الدنىء وحده هو الذى كان يعود إلى صباه ويقول: إنه كان يعرف فى ذلك

الوقت أن الأمر لا ينطوي على أى معنى من المعانى. الأمر طريف حقًا الآن، عندما نتذكر أننا جميعًا كنا نرحب بمقدم الانتصار. وقد يكون الأمر خاليا من الطرافة، وأن النصر يمكن أن يكون توأمًا للهزيمة والانتكاسار.

فى بداية الأمر، كان هناك العنف. وهذا إن لم يكن شيئًا جديدًا على الإطلاق فإن تكرار مثل هذا الشيء وجدته كان بمثابة أشياء جديدة. لم يسبق لأحد من قبل أن حدثنى عن أناس كثيرين ذهبوا للحرب وعادوا منها بالدم والمال الذى ينهش أذهانهم. وفيما بعد، فإن أولئك الذين أجابوا على تساؤلاتى التى سبق لى أن طرحتها عليهم، لم يلقوا لى بالا ولم يهتموا بى، إذ كانوا جميعا مشغولين بالإندهاش من الأسباب الداعية إلى كل ذلك، والوقت الذى يمكن أن ينتهى فيه، وهل سينتهى أم لا. لم تكن هناك ردود على تلك التساؤلات. ولن تكون هناك ردود. وما الذى يمكن أن يفعله الإنسان عندما يستدعى ليقضى فترة رجولته فى القتال فى بلاد غريبة. مخلفًا وراءه نساءه ومعهن أصحاب العاهات وكبار السن والأطفال والنساء الأخريات؟ ما الذى يمكن أن يفعله أى رجل من الرجال سوى أن يظن أن نساءه سيبقين له، حتى عندما لا يكون بينهن؟ وما الذى يمكن أن تفعله امرأة لرجال غائبين يرسلون المال لىس للإنفاق وإنما للإحتفاظ به لأجال غير محددة على أمل العودة، هذا إن عادوا على الإطلاق؟ ما الشيء الجديد الذى يمكن أن يكونه المال إذا لم ينفقه صاحبه؟ وعليه، كان هناك رجال، لم يموتوا فى أراضى أجنبية وإنما عادوا شجعانًا، وذلك على العكس من الرغبات البشرية لدى بعض النسوة اللاتى تزوجهن أولئك الرجال وهم فى مرحلة الشباب، عاد أولئك الرجال مثل لصوص مخمورين فى مساءات دافئة وليالى باردة، وكانوا يعلمون مسبقًا أنهم كانوا مخدوعين. انصب غضب هؤلاء على المقربين إليهم، هؤلاء الرجال الذين ذهبوا بلا غضب لقتال الأعداء لم يعرفوا ذلك؛ لقد وجدوا الغضب والقتل فى انتظارهم، وجنوهما فى صدور النساء اللاتى خلفوهم ورائهم. كل ذلك الذى كانت العين الشابية تراه فى ذلك الوقت، كان هو الحقيقة؛ التى مفادها أن الأرض أصبحت مكانا يعج بالأرواح المحطمة والأجساد الضائعة التى تتطلع إلى

شيء يمكن أن يحمل عنها ألمها؛ هذه الأرواح المحطية والأجساد الضائعة لم تعثر على أي شيء سوى أولئك الناس الذين كانت آلامهم هي الآلام نفسها التي يعانونها هم أنفسهم؛ وأنهم تعلموا القتال حفاظاً منهم على حمايتهم لأنفسهم، إن قدر لهم أن يوجدوا لذلك سبباً. كانت الموضة السائدة في تلك الأيام، هي موضة السكاكين الطويلة، والحركة السريعة المتهورة وقصيرة الأجل للطراف الحديدية المدببة التي تطعم الأشباح الحية الجائله بذلك الذي تريده، ألا وهو الدم الذي يمكن أن يضع حدًا لعنائهم ومعاناتهم الداخلية.

اكتشف عدد كبير من الناس استحالة النجاة من عالم الدمار الذي حملوه معهم في رؤسهم الراحلة، ولذلك أصابهم الجنون في سهولة ويسر، شأنهم شأن هوم Home بوي BOY، الذي ظل يردد ويكرر بلا انقطاع وإلى ما لا نهاية، ذلك الكلام القاسي غير المفهوم الذي كان على شكل أوامر لم يسبق له أن فهمها ولكنه تعلم إطاعتها في بلدان أناس آخرين، إذ كان يمشي أثناء النهار في مكان ويدخل نفسه في إرهاب المخبول، وهو يكرر كل ذلك التدريب العسكري الذي تلقاه، وذلك بمصاحبة صافرة كشافة بصوتها المعنى اللامع. بعض آخر من الناس دخلوا في هدوء إلى مرحلة من الصمت لا يتطلع أحد إلى اختراقها، لأن ذلك الشيء بلغ من العمق حدًا ابتلع تماما كل أولئك الذين كانوا من قبل أقوياء: كل ما في الأمر أن هؤلاء الناس انغمسوا في ذلك الصمت السحيق ثم ماتوا. أما أولئك القادرين فقد التقطوا بقايا العوالم والأنفس المهلهلة، كما ابتلعوا معرفة الخيانة، وساروا معنا على أرصفة الموانئ بحثًا عن عمل وضيع يمكن أن يضيف شيئًا من المعنى على توالي تلك الأيام الكريهة إلى النفس؛ حوالي مائة من الرجال كانوا ينتظرون في حين زاغت عيونهم وأبصارهم في الماضي أو المستقبل، كانت عيونهم وأبصارهم زائغة دومًا في مكان بعيد وفي زمن بعيد أيضًا، أي مكان بعيد وأي زمان بعيد، شريطة ألا يكون ذلك المكان هو الحاضر المريع والمكان الحالي المريع أيضًا، مائة

من الناس ينتظرون في صمت بلغ من الهدوء حدًا عجزوا معه عن إيجاد أماكن تتسع لسبعة أشخاص.

كان كوفي Kofi بلي Billy واحدًا من أولئك المحظوظين، الذين جرى انتقاؤهم للقيام بعمل بلغ من القسوة حدًا تعذر معه على الأيدي البيضاء القيام به أو إنجازها. كوفي بلي هذا أنجز عمله على خير وجه. وفي نهاية يوم من الأيام كان الرجل يشعر دومًا بالتعب والإرهاق، ولكنه كان قد عثر على شيء من السعادة في كل مايقوم به، وهذا كان شيئًا ثمينًا عند ذلك الرجل في واقع الأمر. كان كوفي بلي، في يوم من الأيام، ينقل الأحمال مستخدمًا في ذلك يديه العملاقتين، لينقل تلك الأحمال من مكان إلى آخر في الوقت الذي كان يجلس فيه رجل أنجليزى شاب فوق ماكينة أخرى تشكل ضغطًا على الحبال المصنوعة من الصلب على ظهر المركب، في حين انقطع واحد آخر من تلك الحبال. هذا هو واحد من تلك الحبال المصنوعة من الصلب ينقلت مندفعًا بكل قوته خلال الهواء ولم يفعل أي شيء سوى أنه تتسع رجل كوفي بلي اليمنى من تحت الركبة. قال كوفي بلي إنه لم يحس أو يستشعر أي شيء على امتداد فترة زمنية ثم بعد ذلك بدأ يحس كل ذلك الذي يمكن أن يحسه أو يستشعره أي إنسان من البشر، كما اختفت الدنيا من أمام عينيه. قال الإنجليزي: إن كوفي بلي يستحق ذلك الذي جرى له: إذ كان يلعب أثناء أداء عمله. لو كان قد تحرك بسرعة، لما كان في ذلك المكان عندما انقطع السلك. لم أعرف من قبل كوفي أن بلي كانت له رجل من الخشب مثل هذه الرجل، بل إن كوفي بلي نفسه لم يكن لديه الاستعداد للحديث عن تلك الرجل. كل ما في الأمر أن كوفي بلي جلس ينظر إلى الفضاء الذي لا يمكن أن يملؤه تلك الطرف المصنوع من الصوف والمعدن، ولم ينبس كوفي بلي ببنت شفه. هذه هي الأخت معنان , Maanan وجدت لنفسها ملاذًا في قوارير الإطالة، وها هو الأجنبي العابد أعطاها النقود، كما كان يعطيها الحب في بعض الأحيان. هذه هي خطاطيف نقل البضاعة حولت الناس إلى صقور ونسور، كما حولتهم أيضا إلى نادلين لإشباع الشهايا الأجنبية، وإلى بحارة

للأجانب الجائعين الذين يبحثون عن اللحم البشري. كانت هناك، بطبيعة الحال، معارك بين الإنسان والإنسان، هذه المعارك والمشاجرات لم تكن بسبب النساء، وإنما بشأن أولئك الرجال البيض الذين يودون إقتيادهم إلى النساء، كما كانت هناك أيضا الأفلام التي جلبت للأذهان الذكية موضوعات جديدة في كل من الملابس والقتل والأغتيال. كان هناك ما هو أكثر إثارة، أي المعارك والمشاجرات الكاملة بين جماعات كبيرة من الرجال العنيفين، عندما يقوم الجنود لأسباب تافهة بالاشتباك مع رجال الشرطة، أو عندما يقف رجال الكرو KROO العنيدون ويقاومون المحاربين العائدين، تلك كلها كانت من أعمال العنف الموجه إلى الخارج. وأنا لأصدق أن ذلك كان يشكل نصف الرعب الذي كنا نحسه ونستشعره جميعًا. كنت أعرف أن صديقي يحس ما أحسه. والذي كنت أحسه داخلي هو اقتراب شيء شبيه بالموت ذاته. والشيء الذي كان يمكن أن يقتلنا جميعًا هو أنه لم يكن هناك ما يفسر لنا ذلك الذي يحدث، لم يكن هناك أي شيء خارج أنفسنا وخارج أولئك القريبين منا وحتى أولئك الأضعف منا والذين نستطيع الهجوم عليهم. لم يكن هناك مخرج واضح مما نحن فيه، وبعيدًا فوق التلال كنا نرى كبائن البشر البيض على بعد مسافة كبيرة منا؛ كانت الكبائن تبدو بعيدة على نحو يجعل الوصول إليها أمرًا صعبًا، الأمر الذي جعل الناس لا يلتقون لها بالاحتى أثناء الضيم والمعاناة. وحتى أولئك الذين فكروا في تلك الكبائن، حكوا حكايات عن رجال بيض كانت معهم كلاب ضخمة، كانت تأكل من اللحم، في اليوم الواحد، كمية أكبر من الكمية التي تأكلها عائلة كاملة من العائلات البشرية في ساحل الذهب طوال شهر بكامله، كانت تلك الكلاب تطيع أصوات أصحابها مثل الجنود في ساحة الحرب، ولم تكن تلك الكلاب تعرف الحب مع أصحاب البشر السوداء، شأنها في ذلك شأن أصحابها.

العقل الصاغي تقلقه وترعجه نكريات الماضي. فقد انقضى وقت طويل وما زال المكان هنا بلا حلاوة. هذا هو الطريق العام المؤدى إلى المدرسة، وهذه هي صفوف طويلة من الأشجار التي تحمل حبات صغيرة من المانجو، مستفزة بذلك

الأسنان المتحفزة بفعل مذاقها الحمضى. ومع ذلك كان الانتظار على هذه الثمار أمراً مستحيلاً فقد تجمع حول هذه الأشجار أطفال كثيرون متباينى الجوع والرغبات وهذه هى الأحجار تقذف نحو الأعلى ثم تهوى على الأرض دون أن تجلب معها الثمرة المطلوبة، وإنما عناقيد كاملة من ثمار المانجو غير الناضجة. الإحساس بضوء الشمس بعد صباح قصير، ومطر لطيف على غير العادة، وهذا هو ماء المطر لم يجف بعد من فوق العشب الأخضر الجميل، الذى ينمو على الجوانب الطويلة لتلال الرجال البيض. هنا وهناك ترى نعومة جبال الرمل التى لا يصدقها العقل، وتلك هى الأشياء التى يلهو بها البيض وقد وضعوها فى ملاعب الجولف. ومن حين لآخر يندفع ضوء الشمس مثل سهم قائم من الداخل ليصطدم بكرات الماء الصغيرة القابعة فوق عيدان الحشائش والنباتات الخضراء ثم يرتد ذلك الضوء متجهاً نحو الخارج ليقع على الأعين ثم يختفى مرة ثانية. هؤلاء هم ثلاثة من الصبية يرتدون ملابس من الكاكي ويتسابقون جرياً عبر التل وفى اتجاه قمته، وهذه هى الأجزاء العليا من لباسهم تتدلى على أكتافهم الصغيرة. وهذه بعض قنيات الماء تتساب صافية إلى قيعان الميازيب الناعمة مخترقه التل لتخلط الطين بالماء. وكان الماء المنبعث من التلال نظيفاً دوماً، مثل الماء غير المستعمل، أو الماء الذى استعملته الأشباح التى ليس لها لحماً أو دماً. بلغ ذلك الماء من الصفاء حدًا جعل كل المصابين بالجرب يستعملونه فى غسل ملابسهم وفى غسل ثورماتهم والتهاباتهم، مستغلين نقاء ذلك الماء قبل أن يصل إلى الطين. من حول الكبائن البيضاء المقامة فوق التلال لم يلق هؤلاء الأطفال الجوعانين الأحجار، وهذه هى حبات المانجو التى كان مفترضاً لها أن تختفى منذ زمن طويل، تتدلى ثقيلة وجميلة وناضجة، هؤلاء هم السكان البيض الموجودين فى تلك الكبائن لم يفكروا حتى فى أكل هذه الثمار الناضجة. الإحساس بضوء الشمس على الجزء العارى من العنق من فوق للياقة المصنوعة من القماش الكاكي، والخفيف القصير الصادر عن الحشائش المبتلة التى تدوسها الأقدام هما اللذان يميزان الصعود فى إتجاه الكبائن البيضاء اللامعة. هذه هى الأسوار والسيجات النباتية. هذه هى أسوار بيضاء طويلة مصنوعة من عوارض خشبية مدببة من طرفها العلوى تتلألاً

فى ضوء الشمس، وهذه أيضا أجمات كثيفة الأشجار، وعالية الأشجار أيضا مع أن خضرة هذه الأشجار لاتغطى أشواكها. هؤلاء الصبية يبحثون عن اللوز، اللوز الذى هو بمثابة حبات الفول السودانى عند الرجل الأبيض. حبات اللوز هنا كبيرة ومثل حبات المانجو، والبعض منها نضج فقد تحول لونها إلى اللون الأحمر. وهذه ثمار المانجو تتدلى كبيرة وذهبية اللون، وفى الخارج عيون تنظر وتتوثر وتتظر وتتشوق. هذا هو الصبى الثالث عثر على ثقب على الأرض أسفل السياج الشجرى. ثقب صغير، ثلاثة أولاد، وثلاثة أزياء من الكاكي. أتلفتها الأقدار والأشواك. يبدو أن الرجال البيض هم أنفسهم أشباح على قيد الحياة. هذا المكان الذى يعيش الناس فيه لا يصدر منه أى صوت على الإطلاق. ولكن يستحيل رؤية الكابينة من الداخل، خلف الشبكات المركبة على نوافذ تلك الكبائن لا يوجد شىء شبيه بالعمود الطويل حول تلك الكبائن. هؤلاء الصبية لا يقذفون الأحجار مطلقا حول كابينة أى رجل من هؤلاء الرجال البيض. وعليه فقد أدار الصبية الثلاثة ظهورهم إلى كابينة الرجل الأبيض وبدأون فى قطف حبات المانجو الناضجة ومعها أيضا الحبات غير الناضجة التى تساقطت على الأرض من قبل. ومن باب الحفاظ على الهدوء فإن الرجل الأبيض، عندما يكون موجودا داخل الكابينة، يتحتم عدم إزعاجه أو أيقاظه. وهنا تنتهى إلى الأسماع أصوات وقع أقدام مفاجئة قادمة من الداخل، ومنتجة إلى الخارج. هذه الكمية الكبيرة من ثمار المانجو، وهذه الحبات الكبيرة من ثمار اللوز يتعين تركها والتخلى عنها، والثقب صغير جدا والأشواك حادة بشكل موجه، وتخرق القماش الكاكي لتصل إلى اللحم وتؤخذه. النظر إلى الخلف يثير الفزع على شكل إحضار اثنين من الكلاب، وهذان الكلبان يبدوان أكبر من أى أب من الآباء. يستطيع الإنسان أن يجرى بسرعة إذا كان التل منحدرًا، ولكن الجرى لن يكون على مايرام، نظرًا لأن الكلاب أسرع من الإنسان. هذه السرعة الكبيرة تغلب الراكض على أمره، فى منتصف كل شىء من الأشياء، هناك قناعة مفادها أن الصبى بوسعه أن يجرى بسرعة فى بعض الأحيان. والحشائش يمكن أن تكون مؤلمة عندما يحتك فيها وجه من يجرى خلالها، وبعدها تنطوى تلك الحشائش نازلة إلى الأرض. هل يعرض الكلب بحق وحقيقة، أم أنه

لا يشده الشكل الذى سقط على الأرض، أم أن الكلب يستطيع أيضاً لف طفل من الأطفال ويتركه منهزماً ومغلوباً؟ من خلف الكلاب جاء رجال كانوا يلبسون قمصاناً بلا أكمام، ويمسك كل واحد منهم سوطاً مطويّاً فى يده. السود غاضبون بحق، الواقع أنهم أكثر غضباً من الكلاب. ترى هل كان يكفى مجرد تخويف الصبيان الثلاثة لإبعادهم عن المكان؟ لم يكن ذلك هو بيت الصيد. راح الرجال السود يطرقعون بالسياط كما لو كانوا فى صراع من أجل البقاء على قيد الحياة. ومن خلف الرجال السود جاء الرجل الأبيض ومعه صبي أبيض صغير وراح يراقب، من فوق النل ذلك الذى كان يجرى ويدور أمامه. كانت الشمس لاتزال مشرقةً إشراقاً جميلاً إلى أن اختفت الجدران البيضاء التى خلف الرجل الأبيض، وهنا تجمع الصبية الثلاثة وراحوا يتشاورون حول العودة إلى ماكانوا ذاهبين إليه أو العودة إلى بيوتهم.

تبدى الغضب من جديد، ولكنه فى هذه المرة كان غضب الضحية التى تعين عليها أن تجد لنفسها ضحية أضعف منها، ولم ينصرف ذلك الغضب، إذ كان يضيف إلى نفسه دوماً المزيد من العار والخجل. الواقع أنه من السهل على أى صديق أن يبدأ معاملته لصديقة معاملة المجرم الذى يتعين الخوف منه والتحسب له. ومن الصعوبة بمكان أن يجلس الإنسان ويرى صديقاً له معه شيء هو بحاجة ماسة إليه، ولكنه لا يستطيع الحصول عليه، صعب تماماً أن يجلس إنسان ويروح يراقب صديقاً يحتفظ بذلك الشيء إلى أن يحين موعداً احتياجه لذلك الشيء. لم يكن أمامنا مانفعله، بعد أن سطونا على أولئك الذين أحسنوا إلينا، لم يكن أمامنا سوى أن نجلس أرضاً ونحن نكابد إحساساً مفاده أن الأمور لم تكن على مايرام. كان الأمر يشبه الانتدفاع فى قيعان عامرة بالطحالب وفيها ميازيب عميقة قائمة من الللال وليس فيها مايقفنا أو يعترض طريقنا. كل ما فى الأمر هذه المرة أن الميازيب لاتنهاية لها، وأن تلك الميازيب قد أصبحت ، منذ زمن بعيد، أمراً لاطاقه لنا به ولانقوى على تحمله.

كان بالإمكان اللجوء إلى الشراب ونحن نفتش فى ظلام الذاكرة المريح. كان ذلك أمراً ممكناً فى تلك الأيام التى كان مايزال فيها أشياء يمكن أن نسرقها من صديق

غائب. ولكنه جاء الوقت الذى لم يعد فيه حولنا أشياء من هذا القبيل. وراح التفكير العميق ينصب على إنفاق ذلك الموجود بالفعل. أنا أرى أن الإنسان كان يمكن أن ينهار ويصاب بالجنون عند ذلك الحد، ولكن كان ذلك هو الوقت الذى اكتشفنا فيه أشياء كثيرة عن عشب 'الوى Wee .

حدث فى إحدى الأمسيات أن جاءت لنا الأخت معنان Maanan لتقول لنا أن ذلك الصمت مكنها من النظر إلى قارورة من الشنابس SCHNAPS ثم تقول لنفسها إن تلك القارورة ليست سوى مجرد قارورة أخرى من قوارير السم والألم. ومع ذلك لم تكن الأخت معنان تقوم بدور الواعظة، وإنما كانت تقدم لنا ذلك الشيء الذى أحسنا جميعاً بأنه كان ينبغي أن يكون لدينا من قبل. الطريقة التى كانت الأخت معنان تحصل بها على ذلك الشيء، مع إنه لم يكن من الأشياء التى تتطلب الكثير من النقود، وبدلاً من ان يعمى عيوننا مثلما تفعل الارواح، نقلنا ذلك الشيء إلى سنوات عدة فيما وراء نواتنا القديمة، ومكنا من الرؤية على بعد أميال كثيرة فيما وراء تلك النقاط القديمة. كان من عادة ذلك الشيء أن يستثير فى الدهشة والعجب فى فترات لاحقة، إذ كنت أرى كثيراً من الكذب المشين يتناثر من حولنا. كان من عادة ذلك الشيء أن يستثير فى دهشتى إلى أن كبرت تماماً وفهمت أنه من الطبيعى جداً أن يجلس القضاة طوال فترات مابعد الظهيرة وهم يتعرقون تحت طواقى الشعر المستعار، ويحسون بالضيق والقلق عندما يطرح لقيط مسكين داخل المحكمة لأنه حاول الذهاب إلى ماوراء ألم اللحظة وأنه يدخن عشب Wee. هؤلاء الذين يستطيعون القراءة من بين القضاة يعرفون أن الغضب المقدس، مؤقت ونقى وبسيط تحت أى ظرف من الظروف. هم يعرفون أن الأطباء، فى كل مكان، عندما طلب إليهم إمام القضاة التخلص من أنفاسهم السيئة، قالوا الحق. عشب 'الوى Wee أقل خطر من البيرة، وهو لا يقتصر على عدم حدوث صداع وأوجاع فى الرأس بعد تدخينه. وأنا لم أر رجلاً أو امرأة يدخن ذلك العشب دون أن يجربوه أو يعرفوا مذاقه.

أحضرت معنان Maanan لنا عشب 'الوى' wee وأرتنا كيف نشعله وكيف ندخنه، وراح كل واحد منا يسحب نفساً بعد الآخر. يجب أن لا يغيب عن بالنا أن هناك الكثير الذى يمكن أن يخيف المتشككين ويبيدهم عن تدخين ذلك العشب، حتى وإن كثر الكذب الذى يدور من حول هذا العشب . نحن نستطيع أن نجعلك ترى أشياء ربما لاتود رؤيتها . المسألة هنا لاتتعلق بالأشياء التى لا وجود لها ويجرى استحضارها عن طريق أعمال الحواه والسحر والشعوذة وعشب الوى ليس سحراً. كل مافى الأمر أننا على امتداد حياتنا نحمل أنفسنا بطرق كثيرة من كثير من الحقائق المؤذية وذلك عن طريق التعامى هنا بعض الشيء وعن طريق قصر النظر هناك، وعن طريق غض الطرف عن الضوء الساقط علينا طول الوقت. وهذا هو ما يطلق الحريصون عليه اسم الحياة . الشيء المدمر الذى يفعله عشب 'الوى' wee أنه يرفع العمى عن الأعين ويجعل الإنسان يرى حياته مكشوفة وعارية أمامة. وهنا يصبح ما يراه الإنسان، سواء أكان صادراً عن أشياء مخبأه داخل روحه، أم عن الحقائق العامة لحياة اليقظة التى يحيها، شيئاً غير زائف. ولكن حقيقته ذلك الذى يراه الإنسان، هى ذلك النوع العميق من الحقيقة الخطرة، التى يمكن أن تخيفه بعد أن تدخله فى عمل يائس ومحزن من أعمال الحياة. هذا هو السبب الوحيد والمعقول الذى يخيفنا من ذلك الشيء (عشب الوى Wee). لقد ترددت على قاعات المحاكم وجلست فيها وسمعت أحكاماً تصدر على رجال صغار السن تسببوا فى تبديد فترة تترواح بين خمسة وست سنوات من أعمارهم داخل السجون، كل ذلك والقضاة يتناولون الأمر على امتداد ساعات، ولم يتلفظ واحد منهم بأى شيء من هذا القبيل: والسبب فى ذلك أن هؤلاء القضاة يودون حماية كل من المستضعف والمفترس من معرفة ذلك الذى يحدث لهم. ولكن القضاة يستحيل عليهم أن يعرفوا ذلك.

تبعنا معنان Maanan كما لو كانت أملاًنا، تبعها كل من كوفى بلى وأنا. مشيت معنان معنا إلى حاجز المياه على بعد مسافة قصيرة من المكان يفتح عنده

الميزاب فتحته التي تصب في البحر، وجلسنا في ذلك المكان ورحنا ندخن عشب الوى Wee . كان كوفي Kofi بلى Billy، ينظر دومًا في هدوء إلى المكان الذي كان ينبغي أن تكون فيه قدمه المقطوعة، كما لو كان طفلًا، يطلب دومًا من الأخت معنان أن تقول له ذلك الذي كان على وشك الحدوث. كانت معنان تداوم على نقل عشب الوى المشتعل من فم إلى فم، وفي صوتها ابتسامة تقول لكل منا انتظر حتى يتسنى لنا قول الحقيقة لأنفسنا. ثم تغيرت الحياة كلها خلال لحظة واحدة. مع أول ومضة كنت على يقين من أنى أو شككت على الغثيان، ولكن ضاع الخوف منى، وأدركت أن الاحساس الذي يسيطر على جديد تمامًا. وطوال لحظة لم تعد الأشياء الخارجة عنى تضغط على. لم يعد بوسع هذه الأشياء أن تفعل ذلك. كنت مشغولًا جدًا. إذا أصبحت أعى للمرة الأولى المهمة الأولى لجسدى. أعتقد أنى أحسست بذلك للمرة الأولى فى أطراف أصابعى: أحسست بإيقاع الدم. وهو يتحرك فى أطراف أصابعى، أحسست بذلك للمرة الأولى واعترفت به أيضا للمرة الأولى. نظرت واندعشت عندما وجدت أن أطراف الأصابع لم تكن على شكل آلاف مؤلفة من الفقائيع السائبة الصغيرة المتحركة، ولكنها كانت على شكل قشرة خارجية من الجلد تغطى العظام. وإذا ماكان طرف إصبع من الأصابع يمكن أن يكون مكون من عدد هائل من الأجسام السائبة التى لها مثل هذه الحركة الدائبة، فماذا عن حال الجسم عندما يكون على هذا النحو؟ كان بوسعى أن أسمع ضربات قلبى. الطبيعى أننا لا نسمع هذه الضربات. رحت أتتفس شهيقًا وزفيرًا، وأصبحت إدرك اننى كنت استنشق مذاقات وأصوات مع الهواء. بعد ذلك، وبالرغم من أن كوفى بلى كان قريبًا منى دومًا، إلا أنى سمعته يقول شيئًا أدهشنى. لم يكن صوته قريبًا منى فى الجسد؛ ولكن طالما تأملت وفكرت فى ذلك الذى قاله قبل أن يقوله، فقد وصل إلى صوته كما لو كان صوتى أنا مرتدًا إلى من مكان غريب. قال الصوت: 'أنا لا يعجبنى الأمر هنا.'

وعليه سألته عن الأسباب التى جعلته يسألنى عما إذا كانت الرائحة أصبحت قوية على نحو لاتطيقه معنان Maanan ولأنا أيضًا. كانت الرائحة فعلاً على هذا

النحو. كنا جالسين على حاجز الأمواج فوق صخور الأساس التي قام البناءون بإلقائها في هذا المكان من الشاطئ، وكان الجميع يجعلون من تلك الصخور مراديفاً لهم، ويستعملونها أستعمال الحمامات. كان هواء الليل يحمل معه رائحة الغائط وهو يتسلل إلى أمعائنا ومنها إلى دماغنا كانت معان ماتزال تبتسم، وأومات برأسها، ووقفنا جميعاً ونزلنا من فوق حاجز المياه، ورحنا نمشي خلف الصخور حتى تهوى وتسقط في الأقدار، وعندما وصلنا إلى حافة الماء جلسنا أرضاً فوق الرمل الثابت المبتل وكان الهواء نقياً ومشبعا بالماء المالح.

وعند حافة الماء المالح سحبنا آخر عود من أعواد عشب السوى الذى أحضرته معان، واستوعبنا، بكل أجسامنا المتفتحة، كل ذلك الذى كان يدور داخل ذواتنا وخارجها. كان للدخان ذاته داخل أفواهنا نوع من الحدة التى كانت تلذع الجلد الرقيق الموجود أسفل اللسان إلى أن كتمنا أنفاسنا وأختفى الدخان فى أعماقنا. نظرت إلى البحر وهو ينساب فى إتجاه الرمل ومن فوقه ولم أرى الماء الميت وهو يصطدم بالأرض على شكل موجات من الضوضاء غير المحسوسة. كان الماء والرمل أحياء بالنسبة لى؛ فقد كان الماء يتدافع على شكل تحركات طويلة وبطيئة، عائداً بذلك إلى سنوات سحيقه، وكانت الأرض تردد دوماً على هذه الحركة بالرغم من أننا فى لحظات موتنا لا تكون لدينا الأعين التى نرى بها أى من هذه الأشياء. أصوات، هذا الرعد المعتدل الصادر عن موجات الليل وهى تصطدم بالماء الهادئ، وهذا التهدد الناتج عن الأمواج المترابجة، ينضم إلى كل ذلك الذى نراه. كان الرمل يبدو جميلاً فى ذلك الوقت، فقد كان عبارة عن حبيبات كثيرة العدد فى ضوء الليل، ويولد فيمن ينظر إليه ويراقبه إحساساً طفولياً بأشياء نهائية جرى فهمها مؤخراً، ذلك الاحساس المذل الناتج عن لاشيئية المراقب.

نظرت إلى معان. لم يكن الضوء قوياً، ولكنى رأيت أنها كانت تبتسم ابتسامة واضحة، يضاف إلى ذلك أن شكلها الذى كانت عليه جعلنى أفهم أننى لم أنظر مطلقاً إلى المرأة معان. أو أنى قد أكون نظرت إليها بعينى ولكنى لم أرسو صور

ذهنيه، ولكنى لم أفكر فى شىء، وتلك طريقه ميته من طرق النظر إلى الأشياء، وهذا هو ما عرفته اعتباراً من تلك الأمسية الأولى التى أمضيتها على الشاطئ. كنا جميعاً نعلم أن معنان كانت واحدة من أجمل الجميلات، ولكن تلك الفكرة التى روادتتى فى تلك الليلة كانت مختلفة عن أية فكرة من الأفكار السابقة. كان الجمال فيها يتمثل فى وجهها وفى خط جسمها عندما كانت بجوارى على الشاطئ . لم تكن رقة هذه المرأة ضعيفة أوبلا معنى. وعلى العكس من ذلك، كان وجه معنان يبدو وكأنه ذلك الذى أنا بحاجة إلى النظر إليه كيما أعرف أن هذه المرأة يجرى دفعها فى إتجاه الدمار وأنها ولا أنا نستطيع أن نفعل شيئاً من أجل الحيلولة دون ذلك. كانت معنان تبتسم لى، ولكنى فى داخلى أحسست بالإتهام من قبل نوع من الصمت ينتمى إلى الملايين وأجيال من النساء كلهن وجه معنان وشكلها، ولسن بحاجة إلى صوت كى يقول لهن أننى خيبت أملهن، أنا وأولئك الذين رضينا بأن لانفعل شيئاً وأن لانكون شيئاً على الإطلاق على امتداد حياتنا وعلى امتداد كل عصور المعاناة. عند حافة الماء المالح اختلط جزء كبير من الماضى باللحظة الحاضرة. كان بوى أن أقول شيئاً لمعنان لولم تكن الأشياء المراد قولها ثقيله جداً، ولكن حتى فى مثل هذه الظروف كنت على يقين من أن معنان كانت قد فهمت قبل أن أطلب إليها أن تسامحنى، وأنها سامحتتى بقدر المستطاع بسبب المعاناه حتى يمكن الصفح عن أولئك الذين يشاركونهم المعاناه ويشاهدون كروبهم.

هنا بدأت لأحس بآلام البعد عن معنان. تسلطت عيناها على عيناى وردا على ذلك فتح كل من عقلى وقلبى نفسيهما إلى الألم الناتج عن الشعور العميق. سامحيتنى يامعنان، سامحيتنا جميعاً إذا كان ذلك ممكناً فى هذه الأيام، أنكر أننا لم نقل شيئاً عن الحب، فى هذه اللحظة، التى لوقيل فيها شىء من هذا القبيل فلربما أعاد المسافرين من رحلاتهم المخيفة، لم نقل أى شىء عن الحب ذاته. مددت تلك اليد الباحثة، ولكنى فى النهاية استطعت أن أمسك بأطراف أصابعى حفنة من حبيبات الرمل الصغيرة الجميلة، وهنا استحوذ جمال الرمل على ناظرى وأبعدهما عن جمال

المرأة المضطرب التي كانت تقف إلى جوارى مع كوفي Kofi كيلي، ثم انقضت تلك اللحظة، أنا أعرف كيف إنقضت تلك اللحظة إلى غير رجعة.

أنا أعرف. أن من السهل الحديث الآن وأنا محمل بانقال أحزان الماضي، كما لو كنت قد تحسنت أحوالى بمرور الزمن، وأعيدت إلى كل تلك اللحظات التي ذهبت هباءً. سوف أعمل على إيجاد الوسيلة التي تقربني من حيث الفضيلة إلى أولئك الذين تسبب عجزى فى إيلامهم. كل هذا الندم بلا جدوى، أود طريقة تختفى وتتوارى عن طبيعتى الميتة عن طريق دفع تلك الطبيعه الميتة إلى الماضي. أنا أعرف. ومع ذلك فأنا أحس وأنتم، وهذا هو السبب وراء عدم تركى وحدى لحال سبيلى، فى هذه الأيام فى أضعف الأحوال.

لم أطق كل ذلك نظراً لأن الرمل الرطب راح يتسرب من خلال أصابعى التي اعتراها الوهن والضعف وراح ينضم من جديد إلى الشاطئ. جثوت على الأرض كما لو كنت حيواناً ومددت يدي لأغسل عنها الرمل، بواسطة آخر أطراف الأمواج التي تصل إلى الشاطئ، وفجأه بدأت أحس بطعم الماء المالح فى فمى. لم أكن أتذوق طعم الملح فحسب، ولكنى كنت أستشعر أيضاً مذاق مئات الأشياء الأخرى فى ذلك الماء، ونظفت فمى باستعمال ذلك الماء، ورحت أتفل ذلك الماء ثانية ببطئ ورحت أكرر هذه العملية مرات بعد ذلك. هناك شىء لم يرد أن يموت جعلنى ألمس معنان برقة على فمها من ناحية الجنب. وبقيت يدي مدة طويلة على ذلك الجانب من الفم ونظرت إلى معنان ثم غرقت فى اليأس والإحباط. لم تصبح معنان. كل مافعلته هو أن أدارت رأسها وعندما تبعثها رأيت كوفى بلى. لا بد أن كوفى بلى كان يحملق عبر المحيط طول الوقت، ولم يستدر كوفى بلى لمواجهتنا. كان كوفى بلى يبدو كما لو كان بعيداً عنا يراقب المسافات البعيدة بطريقته الصامتة المستهتره، وبعد ذلك، وبعد مرور فترة طويلة من الزمن رفع كوفى بلى رأسه، ثم نظر حوله، وفى النهاية هدأت عيناه وراح ينظر إلى الرمل من تحته بعينين كانتا كبيرتين وصامنتين فى الضوء الضعيف الموجود هناك.

‘ماذا ترى؟’

أنا لأعرف الأسباب التي دفعت معنان إلى طرح هذا السؤال. ربما كان ذلك من قبيل الأشياء المعتادة عندها، ربما كان ذلك من باب تعليم أولئك الذين علمتهم معنان التدخين والخروج من أماكن اختبائهم داخل أنفسهم. وأنا لا أعرف إن كانت معنان تقصد توجيه هذا السؤال إلى أم لا، أم أنها كانت تطرحه على كوفي بلى وحده، أو إنها كانت تطرح السؤال علينا نحن الاثنين، هذا مجرد سؤال غامض ألقى بطريقة عشوائية. ولكن كوفي بلى فهم السؤال المطروح عليه وبدأ يجيب قائلاً.

قال: ‘أرى طريقاً طويلاً، والطريق مليء بالناس، عدد كبير من الناس قطعوا مسافات طويلة، إلى حد أنى أراهم كما لو كانوا فقايع صغيرة منضمة إلى بعضها البعض. إنهم سائرون، سائرون ليس إلا، وأنا أيضاً سائر معهم. أنا أعلم أنى أود الخروج حتى أتبين إلى أين نحن ذاهبون، ولكنى فى هذه الصفوف الطويلة من البشر لست سوى مجرد شخص واحد فقط. ليس بالإمكان مطلقاً الخروج وتبين المكان الذى نحن ذاهبون إليه، أنا أسير ولا أعرف إلى أين.’

كانت العبارة الأخيرة منهكة ومرهقة. وصدرت بعد هذه العبارة عبارة أخرى. كان كوفي بلى قد بدأ ينظر من جديد وبلاضوضاء إلى قدمه المصنوعة من الخشب والمعدن، كما كان بصره يقع أيضاً على الرمل الموجود أسفل هذه القدم، كانت عيناه الكبيرتان تلمعان فى الضوء الخافت.

رفعت معنان رأسها وتساءلت حول ما إذا كان الصغير يبدو غريباً وسط الضباب. استلقى كوفي بلى على ظهره فوق الرمل المبتل، وعندما نسينا كل شىء عن القمر قال كوفي بلى بصوت هادئ: ‘نعم’ القمر جميل جداً على هذا النحو.

لم يكن لدى أى منا شىء يقوله بعد ما حدث. جلسنا مع كوفي بلى، ونحن نعرف أن الحادث الذى حطمه كان مندفعاً إلى الأمام قائم من الهدوء الذى فى الخلف، ولكننا لم تكن نعرف ماذا يمكن أن تفعل، وكنا عاجزين عن قول أى شىء

على أمل تهدئة مخاوفنا التي بلغت من العمق حدًا يصعب معه على من هم غريبين
عنا الإحساس بها أو معرفة كنهها ثم نهض معنان بعد ذلك بفترة قصيرة.

سألنا معنان نحن الاثنين، 'هل لنا أن ننصرف؟' لم يكن أمامي متسع من
الوقت كي أقول أى شيء. ولكن كوفى ببلى رد عليها قائلًا:

'هل لنا أن ننصرف من هنا؟'

أمسكت معنان يد كوفى ببلى، ووقف الرجل متألمًا ورحنا نمشى فى الرمل
السائب إلى أن تجاوزنا الصخور المتحلبة، ثم جلسنا فى الخلف، على حاجز الأمواج،
ورحنا نهزهز أرجلنا ونحن جالسين فوق الحاجز. لم يكن حولى أى شيء غير متصل
بالأشياء الأخرى المحيطة به. ونحن فى طريق العودة، بدت لى أعمدة الكهرباء
طبيعية وكأنها كانت تمتد بينها خيوط تربطها بعضها إلى بعض والشىء الوحيد الذى
عجزت عن تفسيره فى هذا المكان هو شكل تلك الفتاة الشابة التى كانت متكئة على
واحد من تلك الأعمدة، والتى كانت تنتظر شخصًا لا يستطيع أحد أن يراه. وعندما
اقتربنا منها، وتجاوزناها وراعنا بمسافة طويلة كانت تشبه حشرة ضائعة فى وسط
هذا العالم الشاسع المحيط بها أكثر منها أنثى آخذة فى تعلم خفقات القلب الأولى عندما
يقع فى الحب. وعليه عدنا؛ نحن الثلاثة: الرجل المكسور، وأنا والمرأة معنان،
وعندما رأينا الناس الذين خلفناهم وراعنا من قبل، ونحن ذاهبون إلى الشاطئ فى تلك
الليلة، اتضح لنا، بعد ذلك ما دار فى أذهاننا عندما كنا نراقب البحر، أننا أصبحنا
عاجزين عن النظر إلى هؤلاء الناس، أو إخفاء معرفتنا لىأس الناس من هؤلاء البشر.

لم يدر بيننا كلام كثير بعد ذلك، لم يكن ذلك بين ثلاثتنا، نظرًا لأن كوفى ببلى
كان قد أخفى نفسه عن العالم، ولم يقل أى شيء، وواقع الأمر أن ذلك الاختفاء كان إلى
أبد الأبد، كما أن معنان كانت تبحث عن السعادة من جديد، وبالطرق نفسها التى
يمكن أن تدمرها فى نهاية الأمر. لم يكن هناك ما يمكن قوله إلى الآخرين مثلما كان

الحال فى الماضى، والسبب فى ذلك أن أى إنسان، أصبحت متاعبه، وبخاصة فى هذه المرحلة، صدى لمتاعب إنسان آخر، ألام امرأة أخرى.

كان اليوم يوافق يوم الأحد التالى ليوم الأحد الذى أمكن العثور فيه على جثمان كوفى بيلى. كان جثمان كوفى بلى يتلى من ملاءة معلقة فى العمود العلوى فى غرفة من الغرف التى جرى تشطيبها من بين غرف منزل لم يجر تشطيب كل مكوناته. كانت رجله المصنوعة من الخشب والمعدن مضرجة بدمه، حتى يبدو الأمر كما لو كان يحاول محاولة مستميتة قبل وفاته، وربما كانت تلك المحاولة التى كان يرمى من ورائها إلى إبعاد صخرة كبيرة كان طرفها من تحت قدميه. لم يكن كوفى بلى رجلاً عنيفاً إبان حياته بالرغم من كبر حجمه وبالرغم أيضاً من معرفتنا أنه كان يحاول استعراض قوته مع الأشياء ولكننا لم نكن نعرف ذلك معرفة يقينية. يحتمل أن كان هناك قدراً كبيراً من العنف، عنف بمعنى الكلمة، ثم تحول ذلك العنف نحو الداخل ليهدم ذلك الرجل الذى لم يقو على تحمل هذا العنف. أنا لأعرف كيف يمكن لى أن أتعايش مع علمى بكل ما حدث لكوفى بيلى، ويقينى من أنى لم أستطع أن أفعل له شيئاً فى كل ذلك الذى حدث له.

كل واحد منا كان يشعر بالقلق إزاء وفاة كوفى بيلى، لأننا جميعاً كنا نعلم أنه لم يكن لديه سبب أو مبرر يجعله يسير بمفرده على هذا النحو، أى يقتل نفسه بنفسه. لا بد وأن كل واحد منا قد فكر فى هذا الأمر: والمؤكد أن كوفى بيلى لم يكن هو الشخص الوحيد الذى ذهب إلى تلك المكان، المؤكد أنه كان أول من ذهب إلى هذا المكان. كانت الأصوات عندما كان الناس يتكلمون مرتفعة بعض الشيء وسعيدة لأسباب لم يعرف أحد منا شيئاً عنها، اللهم باستثناء ذلك الأمل الذى يبعث على الضحك والاستهزاء الذى مفاده أن السعادة الكاذبة يمكن أن تعيد الثقة إلى البائسين. حتى النساء كن وضيعات وحقيات. فى السوق لم يكن لدى النساء ما لايردن إعطاه أو تقديمه، وكن حريصات جداً فيما يتعلق بالنقود، وعلى نحو نقل إلينا هذا المرض فى منازلنا. لمنا النساء كما لمنا أنفسنا أيضاً، كما لمنا أيضاً الأشياء كلها التى يمكن

أن يوجه إليها اللوم. ما الذي يمكن أن يفعله الناس عندما يتبقى في حياتهم شيء كبير من المعنى، ثم يبدأ ذلك المعنى القليل يتسرب وإلى غير رجعه مع كل يوم يمضى من تلك الحيوانات؟ ما الذي يمكن أن يفعله الناس؟ إننا نحمل أنفسنا من أصدقائنا كما لو كانوا حيوانات. حدثت أشياء كثيرة عندي، ولم تعرف وسيله من الوسائل التي تعيننا على فهم هذه الأشياء. هؤلاء الغرباء، أولئك الرجال الذين سافروا إلى جزر الهند الغربية، كما لو كانوا بحاره على ظهور المراكب، هؤلاء الغرباء عادوا إلينا وهم يلبسون قماشاً ولهم لحمي، ويتكلمون علانية عن قسوة الرجل الأبيض. قلنا جميعاً إنهم كانوا غاضبين، ولكنك إذا ماوقفت مع واحد منهم وقتاً طويلاً واستمعت إلى كلامه دونما خوف، سوف يصبح من الصعب عليك في أواخر الكلام معرفة النقطة التي أثارت غضبه. من هنا كان الناس يخشون أولئك الغرباء، لا بسبب طبيعتهم الشرسة غير المعتادة، وإنما بسبب الحقيقة العنيفة المزجة التي تتطوى عليها بعض الأشياء التي كانوا يقولونها في كثير من الأحيان.

شخص آخر عرفته، هو تريكي Tricky منساح Mensah الذي كان يسكن ويعيش بالقرب من الميناء، هذا التريكي هو الآخر قام برحلة بحرية في واحده من السفن المسافره. لم يرغب هذا التريكي مدة طويلة، ولكنه عندما عاد كان قد طرأ عليه تغير طيب بشكل كبير، كان متواضعاً تواضعاً جماً في كل ما كان يفعله، وكان يتغنى بترانيل منخفضة النغم ويحكي بصورة مستمرة عن مجئ الأمريكان السود الذين يحبون القوة والسلع، والذين جاعوا لتحريرنا. هل الاسم إيجيا Egya أكون Akon يعني لك شيئاً الآن؟ كان إيجيا أكون رجلاً سعيداً، وكان يتقبل النكات التي كان الناس يتفكهون بها ويستصغرون بها شأنه، وذلك في وقت كانت النقود فيه شيئاً لا يملكه أى إنسان، وقد قيل إنه نظراً لأن إيجيا أكون لم يكن يشرب خمراً أو يدخن تبغاً، وأنه لم يكن يجرى وراء نساء الآخرين، فقد كان لديه مبلغاً كبيراً من المال في مكان ما. عثروا عليه ميتاً، مقتولاً في غرفته بواسطة أناس يبدو أنه هو الذي فتح لهم الباب بنفسه، كما أن من يصدقون هذه الأشياء يقولون إن إيجيا أكون

في صحوته كانت جراحة تنزف عندما مر عليه بعض أصدقائه؛ ولكنه إيجيا أكون كان رجلا ولم يكن هناك من أحد غير أولئك الذين كانوا يثرثرون علانيه بذلك الذى ذاع على الملأ. ولكن لم يكن ذلك كله بمثابة النهاية. فقد كان الناس يتهامسون فيما بينهم أن سلم Slim تانو Tano هو الذى جعل إيجيا أكو يفتح بابة فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم، والسبب فى ذلك أن إيجيا أكون يحب سلم تانو حبا جما وكان على استعداد أن يفعل أى شىء فى أى وقت يريد سلم تانو. لم يترك إيجيا أكو الفرصة لأحد كى يفعل أى شىء أو يقتم أى شىء لسلم تانو، ولكن هذا الأخير غضب من تلقاء نفسه، غضبا شديدا، والشىء الوحيد الذى كان له معنى من بين كل مايقوله هذا الرجل، هو ذلك الكلام الذى كان يراودة كل عشر دقائق أو ما يقرب من ذلك:

'أنا لم أفعل هذا....، وأنا أقسم بقم والدى أنى لم أفعله....!'

لم يكن صحيحا أن إيجيا أكون كان لديه مال كثير. لم يكسب هذا الرجل نقودا كثيرة، كما كان واحدا من أهل هذا البلد ولكنه لم يكن من أصحاب الشخصيات التى تسرق من عملها. ولعل هذا كان السبب فى أن الناس الذين كان يمكن أن يخبوه كشقيق طبيب، كانوا يصفونه بالحماقة والغباء فى نهاية الأمر. كان الرجل يحصل على بضع جنيهات قليلة، ولعل هذا المبلغ الصغير هو ما عثر عليه معه أولئك الذين قتلوه. لكن تلك القلة القليلة من الجنيهات لم تكن بمثابة ذلك الشىء الذى يخيب ظنون أولئك الذين تفشى فيهم مرض ذلك الزمن. كنا جميعا نكتشف شيئا كان يبدو صعبا عندما يكون جديدا. لم تكن النقود مجرد قطع من الورق، والتى كان الفلاحون يحرقونها استعراضا لثرائهم. لقد كانت النقود هى الحياة.

انا أعرف أن كلامى على هذا النحو يشبه الكذب، إذ لم أكن أتذكر سوى الأشياء الصعبة. ولكن الأيام كانت صعبة هى الأخرى، يضاف إلى ذلك أن ذلك الذى يستحوذ على ذاكرتنا أستحوذا شديدا، يكون متبوعا بذلك الذى يكون صادقا. أنا أعرف. كانت هناك أمور أهدأ من ذلك بكثير، وأنا تسترجع الكثير من هذه الأمور. بأن نأتى بها من الأسفل إلى الأعلى، أمور كانت طيبة فى بعض الأحيان، وجميلة فى أحيان آخر.

كان عشب الوى Wee من بين هذه الأمور، كنا ندخن ذلك العشب مرات ومرات، عندما نستطيع الحصول على ذلك العشب بطريقتنا الخاصة، أو عندما كانت معنات تأتي إلينا عند نزولها ومغها شيء من ذلك العشب، لم يكن ذلك يحدث دوماً بالقرب من البحر، ولكن في أغلب الأحيان نكون قريبين من البحر حتى لا يصبح الأمر جديداً علينا عندما نستلقى على الشاطئ ونروح نراقب سماء الفجر وهي تغير كل صباح من الإصباحات بذلك الشعور الحلو الذي كان ينتابنا ويتبقى فينا على إثر ذلك الذي كنا ندخنه أثناء الليل. كان في الأمر شيء، بالرغم من صعوبه قول ذلك الشيء الآن، وذلك عندما نجلس ونروح نمرر العصا من فم إلى فم، ونروح نطلق النكات إلى أن تصل العصا إلى آخر فم من الأقواء، وعندما تستقر كميده الدخان في الرئاس التي تنتظرها. كان في الأمر شيء أعتقد أننا تفنقده هذه الأيام. لم يكن هناك أحد في ذلك الوقت لا يفكر في نفسه باعتباره شيئاً فظاً، يضاف إلى ذلك أن الزمن كان يدفع الجميع كي يقتربوا من الحيوانات، ومع ذلك كان هناك شيء يمنع الناس من المضى على هذه الشاكلة، وكان الناس عندما يحصلون على شيء طيب يتذكرون الآخر بالرغم من كل شيء. كان الوقت عصيباً، ولم يكن كوفي بلى وحده الذي كان يفكر في الاختفاء إلى الأبد عن ذلك العالم الغريب الذي يستحيل تحمله. كنا لانجد شيئاً سوى أناس آخرين من أمثالنا واقفين ينتظرون لاشيء، وذلك أثناء مرورنا عليهم أثناء الليل عند حافة الماء، في الضوء الأصفر الخافت، لابد وأنا جميعاً كنا نفكر في أشياء أبعد من هذا المكان وهذا الزمان، أشياء خارج نواتنا وأنا لأعرف الأسباب التي منعنا كلنا من الإنصراف لحال سبيلنا.

شيء قوى هو الذي أحرق هذا الرجل. هذا الجسم العارى ما هو إلا غطاء لروح كانت تدمر في يوم من الأيام، وهي الآن خائفه تماماً على نفسها، وملينه تماماً بالقلق القاتل من ذلك الذي يجعله هذا الخوف أمراً مستحيلاً. ولكن الرجل لم يسبق له أن عرف بحق ذلك الشيء الذي حول صديقه إلى مخلوق بشرى يختفى من

المخلوقات الأخرى. هذه هي حميميات المعتقدات التي ترسخت مع العاطفة والانفعالات الشديدة والولاء في الزمن الماضي، حميميات أشياء كثيرة نراها بنسوع من الوضوح الذي يفزع أمن الإنسان، وهذا هو كل ما في الأمر. هذا الجسم العارى يحيط به نوع من الهدوء الخارجى، ولكن هذا الجسم من الداخل فيه قوة كبيرة مستوره عن العين الرقيه، ولكن ما مقدار تلك الطاقه التي تستطلق من تلك الطاقه البشريه المخيفه عندما تكون مصاحبه لعقيدة قويه. هناك شيء يخرج إلى العلن في أوقات بعينها، ولكن ذلك الشيء سرعان ما ينسحب إلى الداخل من جديد. الإنسان يتذكر في بعض الأحيان عندما يجر صاحبه إلى الحديث عن شيء خارج نفسه، وتصيح الأشياء التي يؤمن بها مكشوفه وغير مستوره، ويكون قد تكلم بالطريقه التي تكلم بها، وجعلته يجرى كل شيء تجزئة واضحة في الضوء وفي الظل ؛ هذه الطريقه جزاء أيضا الأشياء الجميلة إلى حد بعيد وهي تستطيع أيضا تجزئ الأشياء القبيحة جدًا الكائنة بالفعل؛ هذه الصور الكثيرة الحقيقية يجرى إرسالها إلى الذهن المنصت مع الكلمات، الأمر الذي يدفع الفهم إلى أماكن لم يكن فيها من قبل ولكن ياله من فهم مؤلم، إلى حد أن الإنسان يضع هذا الفهم في نهاية الأمر مع الكلام الذي يدمر تلك الصور، الكلام الذي يخلط الجمال مع القبح ، الكلام الذي يجعل من الظلام توأمًا مع النور، وفي آخر المطاف يقول الإنسان ذلك الذي يؤمن به حاليا، ذلك الذي يصبح الحقيقه المتبقية في نهاية الأمر. الإنسان يتعجب وهو جالس هناك، ما إذا كانت هذه الاستقاله تجعل صديقه العارى أصغر بكثير مما يمكن أن يكون عليه. لماذا نحن بحاجة إلى تقليص تلك الذات المفعمه بالأمل، ولماذا ينطوى الأمر على كثير من الياس؟ هل الحياة نفسها بحاجة إلى قدر كبير من الحمايه؟ والإنسان عندما يسائل صديقه عن ذلك، أى عن هدوته ويأسه، ويروح يتعجب أيضا للأسباب التي تجعل المعلم غير راغب في الاقتراب من أصدقائه القدامى الذين كانوا في السلطه. المؤكد هنا أن الرجل الصالح يكون أمامه ما شيئًا يمكن أن يفعله في مثل هذه الظروف.

في البداية، سأل المعلم الرجل، 'تقول شيئاً يتقاتل الناس من أجله' ولكنه لم يصطبر على الرجل كي يرد عليه وأردف قائلاً: 'الأشياء التي يريدونها الناس، أنا لا يتحتم على العطاء. ولا أحد يرغب أو يحتاج ذلك الذي يتصانف أن يكون عندي. إنه الكلام وحده، أولاً وأخيراً.'

كان الرجل قد قال شيئاً مهماً عن الترابط الذي بين الكلام وحرية الرجال المستعدين، ولكن المعلم قال بعد ذلك واحداً من أقسى الأشياء التي قالها في حياته كلها؛ قال الرجل وهو يهزكتفيه إن الرجال كلهم أحرار في أن يفعلوا ذلك الذي، يودون عمله أو فعله، كما أن من حقهم أيضاً أن يسخروا ممن يجلب لهم ضوءاً مكروهاً، وبخاصة إذا كان ما يعرفون أنهم بحاجة إليه هو الظلام. لقد حكى الرجل قصة قال عنها إنها كانت تعنى له الكثير أيام شقائه وتعاسته، وذلك على العكس من أية قصة أخرى؛ كانت تلك القصة تعنى شيئاً كان يطلق عليه أسطورة كهف أفلاطون. لم تكن تلك هي المرة الأخيرة التي أستمع فيها إلى تلك القصة من صديقه. نظراً لأن تلك القصة كانت لها سطوة خاصة على ذهن راويها: هي قصة عن الظلام الذي لا يمكن أختراقه، وعن سلاسل وأغلال داخل حفرة تشبه الجيب، وأن تلك الحفرة فيها أناس، لم يرو على امتداد عصور طويلة أي شيء خارج ظلمة أشكالهم الظلية، ولم تكن لديهم الوسيلة التي تجعلهم يعتقدون أن هناك شيئاً خارج ذلك الظلام. ومن بين هؤلاء، هناك مخلوق تعيش تمكن في نهاية الأمر، من الإفلات من السلاسل والأغلال وراح يتجول خارجاً من تلك الدائرة الأبدية التي تطوق ذلك الكهف الخالي من الأضواء، وتمكن من رؤية الجمال المبهر الصادر عن مختلف أضواء وألوان العالم الخارجي. ويشغف الجالب الأول يعود ذلك الجائل إلى الكهف من جديد وإلى ظلمته الأبدية، ليتقاسم مع أهل ذلك الكهف كل ما يملك؛ ويتقاسم معهم الأفكار والكلام والصور الذهنية التي ارتسمت في ذهنه عن الأضواء والألوان في ذلك العالم الخارجي، وهو يعلم علم اليقين أن أولئك الذين خلفهم وراءه هم بحاجة ماسة فعلاً إلى تكسير تلك الأغلال القديمة، وأنهم يتطلعون أيضاً إلى رؤية الأضواء

والألوان فيما وراء ذلك الكهف الأبدى. ولكنه عاد إلى أولئك الموجودين داخل هذا الكهف الأبدى كما لو كان قد أصابه المرض، نتيجة تكسير الحدود الأبدية، كما أن الحقيقة التي سعى إلى توصيلها إليهم لم تكن سوى برهان ولبيل على خداعة الطويل، كما أن الكلام الذي كان يقوله لهم لم يكن سوى صياح كرية صادر عن مجنون ضاع في متاهات عقل ذهب إلى شأن بعيد خارج نطاق طريق الظلام الأبدى والسلاسل والأغلال.

بعد كل روايه من الروايات المختلفة للقصة يتساءل الراوى، كما لو كان يتكلم إلى الهواء ويتساءل عن الأسباب التي تحتم على الناس الإفتراق ويحبطون أنفسهم، فى حين أن من لديهم حرية الإختيار يختارون ذلك الذى يريدونه؟

ليس صحيحًا مطلقًا أن الرجال عندما يكونون محبطين ويأتسين يرفعون أذرعهم ويرحبون بكل من يتحدث معهم عن الخلاص. لو كان الأمر كذلك، لكنا قد سرنا وراء الرجال الأول الذين جاءوا يعرضون علينا كلاما وخططا خفيه يشفوا بها أرواحنا. ولكننا لم نجر وراءهم شوقًا كي نتبع أيًا منهم. أثناء هذا القهر خرجنا إلى الأماكن العامة كيما نتبين ذلك الذى يتحدث الناس عنه، سواء أكان ذلك شيئًا يمكننا الاتجاه نحوه بكل آمالنا، أم مجرد استعراض آخر وبطيئ مثل كثير من الاستعراضات المماثلة التى سبق لنا أن شاهدناها، ومثل استعراضات أخرى مماثلة سنها أيضا. إلى متى ستظل إفريقيا لعينه بسبب زعمائها؟ كان هناك بعض الناس الذين يموتون بسبب تبدد آمالهم، بعض آخر من الرجال كانوا يجدون الطرق المبهجة التى تمكنهم من التمتع بقوة لم يكونوا يملكونها. كنا هنا على استعداد لتقبل أشياء كبيرة وجميلة، ولكن كل ماكان لدينا هو رجالنا السود وهما يحتضنون كروشهم الكبيرة الجديده وهم يحبون سعيًا إلى الرجل الأبيض لكى يرحبوا به وهو راكب على ظهورنا. هؤلاء الذين كان مطلوبًا منهم إخراجنا من تلك اليأس والقنوط، جاءوا مثل أناس بدينين متخمين بفعل قرون من السلطة التى لم يناضلوا

أو يكافحوا من أجل الوصول لشيء منها سوى القبور. هؤلاء الزعماء كانوا محامين من قبل، كانوا شيئاً ينمو متطفلاً على متاعب الناس الذين كانوا يفلحون الأرض، ولكنهم إنبروا خارجين ليكونوا منقنين ومخلصين لنا. كان أشقاء هؤلاء الزعماء وأصدقائهم تجارا يأكلون الفضلات المتبقية بين أسنان البيض هم وشركاتهم جاءوا ليتحدثوا إلينا عن الإنقاذ وعن الخلاص. كان البيض هم سادتنا وأصبحنا ندرك هذه الحقيقة ونعرفها؛ وهذه المعرفة وهذا الإدراك كانا، في بداية الأمر، يملأنا بالخوف ثم بعد ذلك بالغضب. هؤلاء الذين كان مفترضاً لهم أن يكونوا زعماء لنا كانوا يتخذون من البيض سادة لهم، كما كانوا هم بدورهم أيضاً يخشون من أولئك السادة ويخافونهم، ولكن بعد الخوف، لم يكن في نخائل هؤلاء الزعماء سوى الحقد والغضب اللذان كانا يسيطران علينا في بأسنا وقنوطنا. كل الذي كان يستشعره أولئك الزعماء هو الحب. هؤلاء الزعماء كانوا يشعرون بالامتنان والولاء لسادتهم البيض. وبذلك جاءوا إلينا في النهاية، لكي يتولوا قيادتنا نحو الغد الموعود، أو إن شئت فقل: المنتظر.

هناك شيء مخيف تماماً لمن يراقب رجلاً أسوداً وهو يحاول جاهداً وبكل الطرق أن يكون مجرد شبح أسود للرجل الأوروبي، وذلك هو ما كنا نراه في تلك الأيام. هؤلاء الذين صعدوا لتزعم الجوعائين جاءوا إلينا وهم يرتنون ثياباً، ربما كانوا يتطلعون إلى استعمالها في الحفلات التي يقيمها الحكام بمناسبة الاحتفال بعيد ميلاد البيض، ويحملون معهم كلبشات كانت تلمع في وجوه أولئك الذين سرقوا بضع بنسات من أصدقائهم. جاءوا متأخرين وراحوا يتحدثون إلى خدمهم بانجليزية قانونية أنهم أمضوا حياتهم، كي يتعلموا محاكاة الكلام عن الدستور، وراحوا يقدمون لنا ويعرضون علينا أشباحاً خفية من الكلام، ويتكلمون عن ورق يعده الأوروبيون شيئاً مقدساً، وراحوا يطلبون منا أن نكون أمناء معهم ونثق بهم. كانوا يتحدثون إلينا، من باب أنهم كانوا حواتنا وسحرتنا، أو إن شئت فقل: أناساً لهم قوة سرية تقف من ورائهم. لم يستطيعوا في نهاية الأمر تفهم كفر الشعب ومروقه. كيف لهؤلاء الناس أن

يفهموا أن حتى أولئك الذين لم يسافروا إلى هنا أو هناك، يعرفون أن الرجل الأسود الذى أنفق حياته فى الهرب من نفسه إلى البياض يصبح بلا حول أو طول إذا لم يعطه الرجل الأبيض شيئاً من هذا الأبيضاض؟ كيف لهؤلاء الزعماء أن يعرفوا أنهم فى الوقت الذى كانوا يرتقون فيه إلى الأعلى لكى يتخطوا على وجوه الناس، كان شعبهم قد أى دبرهم وانسحبوا مبتعدين عنهم، وهم يضحكون استهزاء وسخرية بأولئك الزعماء؟ عرفنا عندئذ، كما نعرف الآن أن القوة الحقيقية لأى رجل من الرجال السود إنما تأتيه من السود أنفسهم. عرفنا أيضاً أننا كنا أولئك البشر الذين كان أولئك الرجال المزيّنين يبحثون عنهم كى يساعدهم ويؤانروهم. كل ما فى الأمر أن هؤلاء البيض لم يعرفوا ذلك . كان أولئك الزعماء يتصورون أنهم يسدون إلينا معروفاً، عندما يجيئون ويتحدثون إلينا بكلام لايقول لنا شيئاً عن أنفسنا، وإنما ليرسخ فى أذهاننا أشياء جاءت إليهم ممن هم أعلى منهم. جاءوا إلينا بعد تأخير دام ساعات، ونحن كنا مانزال واقفين فى الشمس ننتظر الاستماع إلى ذلك الذى يودون قوله؛ ومع ذلك جاء إلينا بكلام مقترض ومستعار هم أنفسهم لم يفهموه، وهنا أحس الناس بالنعاس يشغالهم، ثم أوقفوا ليستمعوا حكاية يروونها شخص عبيط أو أبله.

'آه، يابلد، هؤلاء البدياء الذين يرتدون ملابس المهرجين، هم الذين سيقودونا؟'

'آها، يابلد، نحن نموت فى دواخلنا.'

قامت قلة قليلة من هؤلاء التعساء المحبطين وراحت تتبر ذلك الذى يمكن عمله، ظلنا منهم أنهم سوف يتحطمون إذا لم يقوموا بعمل ما. هؤلاء الزعماء البدياء أعطوهم جالونات من المشروبات الروحية القاتلة، كما أعطوهم أيضاً لحم البقر المقلب المعتاد كما أعطوهم أيضاً أشياء يفعلونها كى يخيفوا بها البيض. وعندما جرى الإمساك بأولئك التعساء المحبطين، لم يهتم المحامون حتى بمجرد النظر إلى الطريق الذى سلكه أولئك البائسين. وكيف يفعل المحامون ذلك، وكل مهمهم هو أن يثبتوا للسيد الأبيض مدى إترانهم، وإخلاصهم، ومدى اختلافهم أيضاً عن أولئك الذين

يشربون الأكيبتشى Akpeteshic، ذلك المشروب المسكر القاتل، كما يثبتون للبيض أنهم يستحقون أن تكون لهم سلطة على شعبهم، ويكون ذلك من باب اقتسام السلطة مع البيض؟ من هنا كانت الاجتماعات تتعقد ويعدون الناس فيها بالكشف عن خطط لإنهاء آلام الناس. كما كان كلامهم إلى من ينتظرون تحت المطر ينتهي بقولهم: 'تقوا بنا. نحن نعرف الرجل الأبيض ونعرف أساليبه. تقوا بنا. نحن لدينا الخطه كيت وكيت، والخطه سين والخطه عين.' أفضل لكم أن تعودوا إلى بيوتكم وألا تقفوا في الشمس مرة ثانية. أفضل لكم أن تتركوا المهرجين يتكلمون مع بعضهم البعض، وهم يحبون البيض حبًا جمًا. مات كل الفضول الذي كان أهله يتطلعون إلى أن يصبح كبار السن هم الزعماء، وراح الناس يفكرون من جديد في طرق جديدة عليها تقلل من بأسهم، وتقلل أيضا من أعداد أولئك الذين يقاسون الأمرين من ذلك اليأس.

هؤلاء العجائز من المحامين هم واحتفالاتهم قدموا لنا شيئا طيبا واحداً هو الذي قلل من ثقل أيامنا وهمومها، قدموا لنا شيئا نتفكه به ونسخر منه. . وأصبح من عادتنا بعد ذلك أن نجلس في أى مكان، ونروح نراقب أحدهم وهو يقلد الكلام الانجليزي والحركات والإيماءات الإنجليزيه لأولئك الذين يريدون تولى قيادتنا. كان هناك شاب صغير استطاع أن يجعل الناس يستقلون على أقتاتهم من الضحك. أنتم لاتعرفون ذلك الشاب. فقد تعين على ذلك الشاب الهرب بعد الإضراب الأخير الذي حدث في تاكوراى. لعلكم تعرفون أن ذلك الشاب سبق له أن شاهد أشياء كثيرة، تستثير الضحك فيما يتعلق بأعضاء أوباناس الحزب الجديد. في تلك الأيام كان من عادة ذلك الشاب أن يحكى لنا بطريقه جديده تماماً أنه سمع بعض الأخبار الهامة جدًا. ثم يقوم بعد ذلك بتمثيل ذلك الذي يتعين عليه قوله. أولاً، أنه كان الحاكم الذي يستعد للقاء خدمه، وهو يلبس خوذه مزينه بريشه أطول منه هو شخصياً ، ويمشى وتلك الخوذه فوق رأسه. بعد ذلك، وعندما كان الحاكم يجلس أرضاً، كان ذلك المهرج، الذى يدعى إتس Etse بتوقف قليلا كيما يقوم بلعب دور آخر. كان ذلك المهرج يأتي مثل لص محترف وهو يبتسم ويقف أمام مقعد الحاكم ويتلثم وهو يقول:'

سيدي، عندي لك بعض الأخبار. " (ويبتسم إبتسامة زعيم أفريقي) ثم يستدير بسرعة ويجلس جلسة الحاكم، ثم يتساءل إيس Etse بعد ذلك، 'نعم' وماهي هذه الأخبار أيها الصبي؟'

يقول الزعيم: 'آه، أهل بلدي ليسوا سعداء.'

'عجبًا! بعد كل ذلك الذي فعلناه من أجلهم؟'

'نعم.'

'أولئك الشياطين الجاحدين!'

'نعم'

'إن، قل لي أيها الصبي. ما هذا الذي يريدونه؟'

تتسع إبتسامة القيادة. 'سيدي، لو جعلتني ريسًا، فسوف يسعد أهل بلدي من جديد.' إبتسامة أوسع. وانحناءة. ثم نظره من نظرات الحب والامتنان.

قد يكون من الخطأ أن أتكلم عن تلك الأيام باعتبارها عامرة بالشقاء ولاشيء غير ذلك. وأنا لأعرف البلدان الغربية التي يتجول إيس فيها حاليًا، وهو مطرود بفعل شيء كان يحبه في بداية الأمر.

كنا نسخر من بعض التشخيصات التي كان إيس يقوم بها، في عصر يوم من الأيام، وعندها، وبعد غياب طويل عادت إلينا معنان وهي ترتدي ثيابا تصيب أي رجل بالإغماء وتحكى لنا عن المكان الذي ذهبت إليه. كل ماكانت تود معنان قوله إنها جاءت لحضور الاحتفال. كنا نعرف أن حفلاً سيقام في أسمانسودو Asmansudo، ولكننا توقعنا عن حضور ذلك الإحتفال. منذ زمن طويل، ولكن معنان فأجأتنا جميعا بحضورها. وقف إيس وراح ينظر إليها نظرة المعلم إلى طفل من الأطفال. معنان، هل تتفضلين بأن تقولي لنا، لماذا جئت إلى هنا وتلغينا

جميعًا، وتتركين الرجال الكبار البالغين هنا ليذهبوا ويستمعوا إلى أولئك المحامين العتاه؟“ ولكن معنان لم يكن أمامها إلا أن تضحك، ثم تكلمت أنا أيضا.

‘أبقى هنا. هؤلاء القرده كبار السن لا يمكن أن يعطونك الأشياء التي يمكن لنا نحن أن نعطيك إياها. لقد خسروا كل أشياءهم، أثناء محاولتهم أن يكونوا بيضًا.’
ضحكت معنان ضحكة امرأة سعيدة، وبعد أن هدأت قالت: ‘لقد تأخرتم أيها الناس. إنكم لم ترونه بعد.’

‘من هذا الذي لم نره؟’

‘نلك المحامي العجوز الجديد الذي ود أن يكون أبيضًا.’ لم يكن إيس Etse غاضبًا مثل ما هو الآن.

‘لا. إنه ليس جديدًا، وهو شاب أبيضًا.’ سألت معنان عن المكان الذي جاءت منه. ‘أنا لا أعرف ذلك بعد.’

‘أهو غريب عنا إذن؟’

‘إنه واحد منا بالفعل. كل مافي الأمر أن أحداً منا لا يعرف الكثير عن هذا المحامي. الناس يقولون إنه لا يتكلم كثيرًا عن نفسه. هو لا يتكلم إلا عن العمل الذي يتعين علينا القيام به.’

قال إيس: ‘هو أحمق آخر، إذن، أحمق مثل الحمقى الآخرين، عندما يتكلمون إلى أناس عاطلين عن العمل الذي يتعين علينا القيام به.’

لم ترد معنان عليه. ونظرت إلينا تلك النظرة الغريبة التي تتم عن السعادة ثم قالت: ‘تعالوا واستمعوا إليه، عند الساعة الرابعة بالضبط.’ ثم انصرفت معنان خارجة والضوء السعيد يتراقص في عينيها، تاركة إيانا جميعًا ونحن نتعجب من ذلك الذي حدث لها مؤخرًا. وكما لم يكن لدينا شيء يمكن أن تفعله، فقد بدأ تردنا ينحسر عنا شيئًا فشيئًا، ورحنا نتجول في أنحاء منطقته السوق، كما لو كنا لا نرغب أو

نود الذهاب إلى أى مكان، ولكن عند الساعة الرابعة كنا مع ذلك الحشد الموجود فى أسما نسودو ' Asmansudo، ودهشنا تماما عندما شاهدنا هذا العدد الهائل من الناس. كانت الأخبار تنتقل من فوق رؤوسنا ومن تحت أقدامنا، ولكنها لم تصلنا إلا فى هذه اللحظة.

كان الرجل على علم، منذ زمن طويل، بالآلام الناتجة عن الإحباط الذى كان يعتمل داخل صديقه. وكان هو الآخر، قد أحس ذلك الإحباط فى داخله أيضا، وكان من باب التعاطف فى الماضى بل وحتى الآن، أن كل مايجب عليه فعله هو تخفيف الضرر الناتج عن كلام المعلم Teacher الذى استرجعوه وتذكروه من جديد. ولكن صديقه نفسه كان بحاجة إلى شىء من الكلام الذى يريح النفس ويبعث فيها الهدوء. هذا الذى كان يساعد فى أحيان كثيرة بالكلام الدؤوب عن دورة الحياة والموت، والشباب والهرم، والجديد والمتحلل، هذا الذى يطيل الكلام عن الطعام الطيب الذى نتاوله والغائط كريبه الرائحة الذى يؤول إليه هذا الطعام بمرور الوقت: بالرغم من كل هذا الهدوء المظهري، إلا أن ذلك الإنسان كان يعانى هو الآخر، من الألم والأوجاع. كم مرة يتناسى هذا الإنسان - أن ذلك كان هو حال الحياة كلها، وأنه لم يكن هناك أى شىء فى أى مكان يمكن أن يحافظ على ثراء الحياة وعيق شبابها إلى الأبد؛ كما يتناسى أيضا أن كل شىء يكبر ويشيخ، وأن الإنسان التى كانت بيضاء فى يوم من الأيام، سوف تكسوها قشرة خضراء وصفراء اللون، ثم تتساقط بعد ذلك، مخلقة وراءها فما عاجزا تماما، وعامرا فقط بالعفن، والتحلل، وتفوح منه رائحة الموت القريب. ولكن بعيدا عن ذلك التحلل هناك دوما التورد الجديد. هذا التورد ربما يعيننا على تعرف كل ذلك. وربما خلص الذهن من المعاناه، بالرغم من عدم سكون الآلام والمخاوف التى تكون فى القلب وداخل الأحشاء. كانت الوعود جميلة جدا. وحتى أولئك الذين بلغوا من الصغر حدا عجزوا معه عن فهم كل ذلك، كانوا يعلمون أن الخير كانت تجرى ولانته. الخير كان موجودا هناك. نحن لم نخدع بذلك. كيف يمكن لشيء من هذا القبيل أن يتحول تحولا كاملا إلى شىء آخر تماما؟ ألم يكن هناك

طريق آخر أو وسيلة أخرى؟ كان الجمال فى يقظه أولئك الذين لاحول لهم أو طول. هل يصدق يوما القول بأنه يستحيل أن تكون لدينا أشياء قوية وجميلة فى ذات الوقت؟ الجوعانون ليسوا بحاجة إلى الإبقاء على جوعهم. لكن أن يتختم هؤلاء الناس أنفسهم على هذا النحو، ويدمرون الآمال المشتركة بطمعهم، لم يكن أمرا مقضيا أو حتميا؟ كم مرة حاول المعلم Teacher تقديم يد العون من خلال قوله: إن هذه هى الحياة ولاشئ غير ذلك، ومن خلال قوله: بأن من الأفضل فى كل برهة من برهات الحياة دفن الآمال التى يستحيل استعادة ذكراها، وأن من الأفضل أيضا القول بأن الحياة لم يتغير فيها أى شئ اللهم باستثناء الآمال وخيبات الأمل؛ وأن من الأفضل أيضا القول: بأن الناس هم الناس، والأطفال، والشباب هم الشباب، والكبار هم الكبار، والعجائز هم العجائز؛ وأن من الأفضل الخروج والقاء نظره على كل هؤلاء وأن نصحوا من الأحلام التى نعذب بها أنفسنا. النظر، القبول، تحرير النفس حتى نتمكن من رؤية ذلك الذى يمكن عمله رؤية واضحة، وذلك الذى يستحيل علينا عمله. لقد سمع المصغى. لم يعد المصغى قابعا بعد داخل الكهف حتى يتعذر عليه سماع ما يقال. ولكن ماذا يفعل الإنسان بالأشياء التى تظل داخله بلا إشباع؟ أليست الصيحة المكتومة لهذه الأشياء هى نوع من الحياة أيضا؟

هذا الرجل الجديد لا بد أن يكون قد بدأ حديثه قبل لحظات من وصولنا إلى ميدان أسمانسودو Asmansudo، نظرا لأن صوت الرجل مازال منخفضا. لم يكن ذلك الرجل يبذل أية محاولة للصياح أو الكلام بصوت عال، يضاف إلى ذلك أن هدوء صوت هذا الرجل اضطرنا جميعا إلى الإنصات إليه باهتمام كبير.

'... نخدم أنفسنا...' كانت هممة الجمهور لم تنته بعد '.... لاننظر إلى أن يحدد الرجل الأبيض الأعمال التى نقوم بها...' كانت عبارات الرجل تتساب خلال النسيم حرة طليقة، وكان الجمهور يستمع ويصغى إلى تلك العبارات الانستطيع نحن التفكير فى الأشياء التى ينبغى إنجازها؟ لماذا نظل عاطلين إن...؟' كلام عن الأعين التى ينبغى أن تظل مفتوحة والعالم الذى ينبغى النظر إليه. 'عندئذ نستطيع

التفكير.... عندئذ نستطيع التصرف.‘ كان الصوت عامراً بالقوة فى هذه المرة، هذه القوة سرعان ماتر اجعت، ليحل محلها صوت هادئ.

نحن لن نخدم أنفسنا إذا مابقنا مثل الحشرات، مبهورين بقوة البيض. دعونا ننظر إلى الأمام. من نكون؟ ما الذى لدينا؟ هل بوسعنا أن نعمل من أجل أنفسنا؟ هل بوسعنا تقوية أنفسنا؟‘

وقفت هناك أطيل النظر إلى ذلك الرجل كما لو كنت واحداً من المؤمنين به، وعندما توقف عن الكلام شعرت بالخجل ونظرت حولى كى أتبين إن كان هناك من يراقبنى. كان الجميع منصتين. هذا الرجل الموجود فى الأعلى يبدو أنه لاحول له ولا قوة، وهو نحيل الجسم ضعيف البنية. من أين حصل ذلك الرجل على قوته التى مكنته من الكلام بثقة كبيرة بالنفس، وكنا ننتظر منه الكثير؟ يبدو أنه كان هناك شىء أكثر من مجرد الكلمات . هذه الكلمات كانت تغوص فى أعماق المستتقع، وتجعله يتماشى مع الشخص الذى يتكلم.

‘.... فى النهاية، نحن أولاً وأخيراً الذين نجعل من أنفسنا عبيداً. ونحن عندما نتحدث اليوم عن ذلك، يصبح كلامنا مجرد وعود، لم ترق بعد إلى مستوى الحقيقة... الحرية!...‘ صاح جمهور الحاضرين، وصحت أنا أيضاً، ولكنى فى هذه المرة لم أشعر بالخجل أو الكسوف .

فى أواخر الكلام راح الرجل الجديد يتحدث عن نفسه.آه، لو أمكنه البقاء على هذا الحال!ولكنه واقف هناك، فوق العالم، منقذ ومعه عبئته الخاصين به، هذا الرجل ليس له شبيه أو مثيل فى الحياة. وعندما كان يتكلم، كلامه يجعله أصغر مما كان هو عليه فى البداية وأضعف مما كان عليه فى البداية أيضاً.

‘جئت إليكم. وهأنتم ترون أنى خاوى الوفاض. قلة قليلة منكم هم الذين يعرفون المكان الذى أعيش فيه. ذلك المكان لا يحتوى على الشىء الكثير. بل إن الذى هناك ليس ملك إلى. إنه حنان امرأة، واحدة من بينكم هنا. قبل أن ترانى هذه المرأة

كنت أفعل ذلك الذى نفعه جميعًا، وكنت أنام فى شرف الناس الآخرين. هذه هى حقيقة الأمر، وعليه فما الذى يجعلنى أشعر بالخجل عندما ينظر إلى المتكبرون نظرة استعلاء وكبر وينعتونى بكنية "صبي الشرفاء"؟ أنا لأخجل من فقرى. فالفقر ليس فيه ما يشعر بالخجل. أما العبودية..... مامداها....

'وخذى أصبح لاشيء. وأنا لأملك شيئًا. ولكن لدينا القوة. ولكننا لن نتعرف هذه القوة مطلقًا، ولن نرى هذه القوة مطلقًا وهى تعمل عملها. اللهم إلا إذا تجمعنا حتى تعمل تلك القوة عملها. هيا بنا نتحد... هيا بنا نحن... نحن... نحن.... الحرية.... الحرية!'

لم أكن وحدى الشخص الذى لزم الصمت عندما والتقىنا للمرة الثانية فى ذلك المساء. حتى إتس etse لم يجد ما يستخف به ويطلق عليه نكاته، هذا بالرغم من التهديد الذى مفاده أن كل الأشياء التى تتخذ تطابع الجد كانت تقتله من الداخل. جاءت معنات متأخرة كثيرًا، ووجدتنا كلنا هادئين. استطعنا الوقوف على سعادتها من خلال حركة جسدها نفسه، وكان ذلك الجسم جميلًا. لقد كانت امرأة غارقة فى الحب إنن.

'كانت معنات تلقى بأنوثتها على هذا الرجل الجديد.' هذا الرجل كان إتس Atse .

'آه، يارجل، دعنى أرطبه.' كان مدهشًا بحق أن أرى أن معنات يمكن أن تكون على هذه الدرجة من السعادة، ومع ذلك تستمر فى كلامها بهذا القدر الكبير جدًا من الهدوء. 'دعه ينقع نفسه فى الحب. لليوم، بدأت الأشياء تسرى فى داخلى، وأخرجت منى ذلك الذى خبأته فى داخلى. لقد أخرج منى هذه الأشياء. لم تكن هذه الأشياء جديدة على. كل مافى الأمرانى لم أر مطلقًا أى شيء حتى أذهب وأصطاد تلك الأشياء. كان الرجل يقرؤنى. أنا أعلم أنه كان يتحدث عنى. كان يتكلم أيضًا.

لكن هل استمعتم إليه؟ كيف يستطيع رجل مولود من امرأة، أن يقرأ لى أفكارى قبل أن أعرف أنا هذه الأفكار؟ أنا أسألكم، كيف يستطيع ذلك؟

تساءل إيس، 'ضاعَت زوجة ثانية، كم أنا رجل رقيق الحال!'
كانت معنان تضحك ضحكاً رقيقاً. 'وكانت تبدو عليه قلة الحيلة. إنه بحاجة إلى امرأة كي ترعاه.'

قال إيس بسرعة حادة، 'يفضل أن تكون معنان هذه المرأة.'
قالت معنان ببطئ 'من المفضل أن تكون معنان.' قالتها وهى تتذوق معانى الكلام: 'يفضل أن تكون معنان.'

كيف يمكن لذلك أن يتعفن بمثل هذه السرعة الكريهة؟ أظن فى بعض الأحيان أنى قادر على تفهم هذا الأمر، وبخاصة عندما أراه على أنه ضوء أو شعاع من رجل يتخوف من موته ويخشاه. وسبب ذلك أن هذا الرجل الجديد كان يخاف العواجيز أصحاب النكات. لم يكن بوسع أولئك المنكيتين الحضور إلى هذا المكان، ومن هذا الرجل؟ شباب هذا الرجل الجديد هو الذى دمره بفعل شبح الوعود القوى فى تلك الفترة. لو كان هذا الرجل قد سار فى طريق شبابه وحافظ عليه، ترى ما الذى يمكن أن يمنع رجلاً شاباً، واحداً من أمثاله وهو فى ريعان شبابه، من المجئ 'قبله' كما يكون أكثر التزاماً بالمسار نفسه؟ شاب كان بوسعة أن يحيا الحياة نفسها التى عاشها هو من قبل، هذه الحياة لايمكن له أن يعيشها مرة ثانية عندما أصبح رجلاً عجوزاً، وعندما بدأت الأشياء المضيئة تجذب الجسم المتعب ناحية الراحة وناحية التحلل. ولكن ذلك كان يمكن أن يعنى نوعاً آخرًا من أنواع الموت بالنسبة لهذا الرجل الجديد، هذا الموت الذى جعله يسير ويمشى وهو يخشى ذلك الموت ويخاف منه كل يوم. ومن ثم، فإن نهاية هذا الرجل الجديد تعين أن تكون نهاية كل مابدأه هو بنفسه، وإذا ما جاءه وعد آخر، فإن مثل هذا الوعد لايمكن أن يكون استمراراً للوعد الذى تمسك به من قبل، ولكنه استهلكه، ثم قضى عليه قضاءً

مبرمًا. ربما كان من الصعب علينا التساؤل بأن أولئك الذين يقتربون من نهاية الدائرة يتعين عليهم أن يقبلوا وبلا خوف ذهاب مجيء الحياة والموت.

ربما يكون ذلك البحث قد وصل إلى شأن بعيد. يمكن القول إنها القوة وحدها، أى نوع من القوة التى لا تستطيع التحدث مع من ليس لديهم القوة. الأمر غاية فى البساطة. كان الرجل الجديد طيبًا عندما تعين عليه الحديث إلبنا، وكان يجب أيضا أن يكون معنا. وعندما انتهى ذلك، انتهى معه كل شىء. والآن كل مايتعين علينا عمله هو الإنتظار لنرى ما يحدث، مثلما جاء ذلك الرجل من قبل. إنها القوة. أنا أقول ذلك لأنه ليس الشخص الوحيد الذى خسرتة القوة. هذا يحدث لكل المحيطين به، أولئك الذين لم يكونوا هناك بصورة دائمة من أجل خاطر القوة التى يمكنهم العثور عليها. تذكر صديقك كومسون Koomson الذى سيجعلك ثريًا. تذكرنى أنا أيضًا.

نحن نعرف كومسون هنا منذ زمن طويل. كومسون هذا عمل فى السكك الحديدية، ثم عمل بعد ذلك عاملاً فى ميناء من الموانئ. كان يعمل فى جذب الحبال وشدها. يدان متقرحتان، خشنتان، متمرستان. صوت بحار من البحارة. رجل غليظ ضخم، واحد من رجال الأهوسة يحبه العاملين فيها. إتقان العمل هنا هو طريقنا إلى العمل الجيد هنا فى هذا المكان. هنا لايجرى النقل على مواطن من المواطنين، كل الذين هنا هم من من التجار السمان وأشقائهم المحامين، والأصدقاء اللبنانيين العاملين ضمن العصابات، ومع ذلك فكل ذلك أمر طبيعى فى هذا المكان. أنا مازلت لأعرف الطريقة التى جاء بها كومسون إلى اكرا Accra. كل واحد يتكلم وهو يلوح بيده، 'آه، أنت تعرف ذلك الشىء الأيدولوجى. هذا الذى نسميه Winneba بلغتنا نحن.' هذا حقيقى. هذا المنحى الذى تتحيه البلاد فى أيامنا هذه، إنهم لا يصدقون أى شىء، ولكنهم يقولون إنهم يؤمنون ويصدقون كل ما هو بحاجة إلى الإيمان والتصديق، طالما أن ذلك يترتب عليه الحصول على الأعمال الكبيرة والنقود الكثيرة. الرجال الذين لا يعرفون شيئاً عن السياسة أصبحوا يركزون على

الأيدولوجية، ولا يفكرون فى شىء سوى النقود الذى يمكن أن تترتب على ذلك. الموظف الحكومى الذى يكره الاشتراكية، موجود هناك يتغنى بتسبيح وتمجيد الله. الشاعر موجود هناك، يخدم القوة، وينتظر أن يملأ كرشه بالطعام. هذا الشاعر سوف يقفز بلا شك منصرفاً ويعمل لسانه فى قصائد جديدة عندما تزرع دبر جديدة وتروح تتغوط علينا. كل من يود السرعة يذهب إلى هناك، والشىء الوحيد المطلوب منهم هو أن يكونوا أجواداً فى التزلف والتملق. أهذا هو المكان الذى غير كومسون عامل الموائى؟ أم أنه ذهب إلى هناك بعد أن تغير؟ لأنه سبق أن تغير؟ لقد شاهدت ذلك المكان، ولقد شاهدت أيضاً، وشاهدته أيضاً عندما كان فى أكر. إنه يحيى حياة أكثر إيلاماً، وذلك على العكس من الحياة التى يعيشها البيض هنا. أهو صحيح إذن، بعد كل هذا الكلام، إن ذلك هو كل مايتطلع الناس إليه هنا؟ ليس هناك فارق إذن. ليس هناك فرق مطلقاً بين الرجال البيض وبين قرنتهم، المحامين والتجار، ليس هناك فرق حالياً بين القردة وقردة القرده، الأوهم رجال الحزب. وبعد أن ينتهى حكمهم، لن يكون هناك أى فرق مطلقاً إلى الأبد. هذا يعنى أن الرجال الجدد كلهم سيكونون مثل كبار السن. هل هذه هى الحقيقة كلها؟ كبائن، مطلية باللون الأبيض. سيارات، طويلة وثقيلة، فيها سائقين يرتدون أزياء موحدة بيضاء اللون ينتظرون ساعات طويلة فى وهج الشمس. نساء، صغيرات السن تماماً تجرى مضاجعتهم وتبادلهن مثل قطع الملابس، لا يطلبن سوى البلوزات والعطور من الحقائق الدبلوماسية، كما يطلبن أيضاً طواقى الشعر المستعار المأخوذ من جثث الموتى من النساء البيضات؟ وهذا هو الويسكى يجرى تهريبه لأولئك الذين يسنون القوانين. وهذه هى السجائر التى تجعل أولئك الذين لم يسافروا خارج البلاد يصيحون خوفاً وعاراً. كيف يعود كومسون إلينا؟ ما الذى عنده حتى يقوله لأولئك الذين اعتاد العمل معهم؟ هل سيأتى إلينا ليرى تلك الأجساد التى خلفها وراءه دون أن يقول شيئاً؟ هل يمكن له الجلوس مع الرجال ويدخن معهم عشب الوى Wee ويروح يلعن ويسب القضاة الأغنياء الذين حكموا بالسجن على أولئك الذين لم يتسببوا فى ضرر أى أحد من الناس؟ لقد جاء كومسون إلى هنا مرات كثيرة،

ولكنه كان يأتي إلينا كما لو كان رجلاً أبيضاً، أومحامياً كما هو الآن. كان يمضى وقته ويزجيه في حانة اتلانك كابرس. وتلك فروج شابه مسترطبة تنتظره في مكان أستأجرته الحكومة لهذا الغرض. الشخصيات المهمة لابد أن تسترخي في عطلة نهاية الأسبوع. الأسبوع يكون عامراً بالعمل المضنى. خطب يجرى إعدادها. خطب عن السمو الأخلاقى. خطب عن الاشتراكية. خطب عن الثورة. خطب عن الإخلاص والولاء. استعداد للقاءات والمقابلات. دور الرجل الأبيض في تحرير الآخرين. إذن، ما الذى يمنع من الحديث فقط إلى المحامين السمان وإلى السياسين الأكثر سمنة؟ ما الذى يتعين علينا قوله له؟ أو ما الذى يتعين عليه هو أن يقوله لنا؟ قد يكون من المخيف لنا أن نظن أن ذلك هو فحوى الخطب كلها، وأن ذلك هو أيضا الآمال كلها، والحب كله الذى كانت تتطوى عليه الأيام الأولى. هذا مريع، ولكنه ليس كذباً. من الذى يمكن أن يوجه اليهم اللوم فى الوقت الذى لا يوجد فيه، فى هذا المجتمع، وسيلة يستطيع بها معرفة ما هو ممكن فى هذا المجتمع؟ إذا كانوا عثروا على الطريقة الوحيدة التى يستطيعون بها الهرب منا، ثم يصعدون فوق أكتافنا، فإن ذلك حدث فى بداية الأمر عن طريق الحديث معنا وإلينا كما لو كنا أشقاء لهم، فمن هم الأغبياء إذن؟ كانت هناك مسحة من الطيبة حول أولئك المحطمين الذين أقاموا وكانوا بحاجة إلى إصلاح أنفسهم وأحوالهم من جديد. كان هناك شيء فى القلوب عن الصدمات والآمال التى صاحبت الأيام الخوالى. إذن، يجب أن يكون من السهل علينا القضاء على تعفن الوعود. لابد أن، يكون من السهل علينا أن نفهم أن الناس هم الذين ينقون أنفسهم، ولم يحدث فى الماضى، أوفى الحاضر كما لن يحدث فى المستقبل أن يقوم أى أحد بإنقاذ الناس إلاهم أنفسهم. ليس هناك منقذين أو مخلصين. ليس هناك سوى الجوعانين والشبعانين. وكلهم مخادعون. بسبب هذا وحده تصبح الحياة طويلاً أبدياً. كل إنسان سوف يحكى لنا عن ذلك، مؤكداً، أن العاجزين وحدهم هم الذين يرفضون. هؤلاء الذين بلغوا من الضعف حدًا يعجزون معه عن التملك لا يرون أى شيء من الخطأ فى موضحة التملك. الإدانة التى تصدر عن أولئك الذين لم يسبق لهم التملك، تكون مصحوبة

بنغمة من التعاطف. الأفضل أن تحصل على الشيء في البداية، ثم بعد ذلك، إذا وجدت أنك ما تزال مصراً على الإدانة، فامض في طريقك. ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن الاستلام والتلقى يقضى على الحياة كلها.

الفصل السابع

وقف الرجل العارى فوق السرير وحاول الوصول إلى الباب وتناول بنطالا كان معلقا على مسمار خلف الباب، ولكنه عندما لمس الباب تحرك الباب ناحية اليسار مبتعدا عنه، وكان على الرجل أن ينزل من السرير ويقترب من الباب لإحضار البنطال. ارتدى الرجل البنطال فوق جسده العارى ثم تناول قميصا تائيا من فوق مسمار آخر. وبينما كان يرتدى القميص كان الرجل الجالس إلى الطاولة يراقبه مراقبة لصيقة، وهو يتعجب من قدرة رجل من هذا القبيل على التمتع فى العفن ومع ذلك يجد القوة التى تعينه على العيش فى هذا العفن، وضد هذا العفن؟ استعاد الرجل ذكرياته عندما تكلم المعلم Teacher باهتمام عن الأشياء المفعممة بالأمل، ولكن النهاية كانت تأتى عند هذه المرحلة، أى عندما يتساءل بشكل ملح عما إذا كان العفن والضعف هما، أولاً وأخيراً، اللعنة الأبدية التى حلت بأفريقيا نفسها، وأن الناس لا يملكون أن يفعلوا أى شىء مستدام إزاء هذه اللعنة. فى بعض الأحيان قد ينتشر هذا الموت فى كل أنحاء الدنيا. عندما تكلم المعلم Teacher عن إناس ينهضون واقفين ثم يقرون بعد ذلك أن يفعلوا هناك، ذلك الذى أطلقت العصور والناس عليه اسم المستحيل، يكون قد تكلم عن ماو Mao الصينى وعين كاسترو Castro الكوبى، اللذان يناضلان ويكافحان لأجل كل الآمال المعقولة، عندئذ يكون ذهن المعلم Teacher ينظر فيما وراء اليقظة الواضحة ويرى بعد الفجر انبلاج الصباح، ورابعه النهار، ومن بعدها عصر اليوم، ثم الشفق، ثم مجيء ليل مظلم آخر محفوف بالمتاعب. وعندما يتساءل المعلم، حول ماذا كنا نائمين بحق وحقيقة، ولسنا مجرد أموات، ولم نعد نأمل بعد. وعليه، وبعد التحركات الكبيرة التى يتطلع هو إليها، يظل السؤال الذى يحير المعلم Teacher: هل الأمر ما يزال يحتاج إلى كل هذا العناء؟ وهنا يبدأ المعلم، بحكم العادة، فى التهدد، وهو يلوم نفسه على جريه وراء الأحلام المستحيلة.

قال الرجل: 'يجب أن أعود الآن.'

'أنا أعرف. أنى سوف أذهب معك إلى مسافة قصيرة.'

عندما أوصد صديقه الباب خلفه، قال الرجل: 'أنت تعلم، أيها المعلم teacher، أنى أحس بأنى متعب هذه الأيام، فأنا أحس أن جهدى لم يكن مثلما كان عليه من قبل. ولكن الرغبة لم تعد مثلما كانت عليه هي الأخرى.'

'لا. ربما تكون تعمل لحساب شيء آخر، حاليًا.'

'أنا لست على يقين من ذلك.'

'حسنًا، أولاً وقبل كل شيء، أنت تعمل لحساب نفسك ومن أجل نفسك.'

'أعمل لحساب نفسي؟' تساءل الرجل. 'أنا لست متأكدًا من ذلك مطلقًا. أنا لن

أفعل الأشياء التى أفعليها الآن لو كنت لوحدى.'

قال صديقه: 'أه، هذا صحيح. الذات المغمورة فى حاجياتك الحبيبة هي ذات

مختلفة تمامًا عن الذات وحدها.'

وليس هناك أمل فى الفكاهة فى أى مكان.'

'لا. العملية مرهقة، هذا اللهث وراء الآلهة ليس من صنعنا نحن.'

'أنت من عادتك أن ترى شيئًا من الأمل، أيها المعلم Teacher.'

'كان ذلك، منذ زمن بعيد ولّى وانتهى.'

'الزمن ليس طويلًا كما تقول، أليست سنوات ست فقط؟'

'لكن الزمن فى ذهنى مدفون تحت قرون حاليًا. هذا صحيح فأنا من عادتى أن

أكون مفعماً بالأمل. لقد شاهدت أناسًا يمزقون الأقنعة التى اختبأت الحقيقة خلفها.

ولكن هؤلاء الناس أنفسهم، عندما أصبحت السلطة فى أيديهم فى نهاية الأمر، بدأوا

يكشفون فائدة الأقنعة والخمر. صنعوا المزيد من تلك الأقنعة والخمر. الحياة لم

تتغير . كل ما حدث هو أن بعض الناس تجيروا ، وأصبحوا مختلفين، وهذا هو كل مافى الأمر . بعد أن يموت الشاب فى كفاحه ضد الرجل الأبيض، فلماذا لا يكتشف الحاكم عندما يكبر أن رغبته الحقيقية، هى أن يكون مثيلاً للحاكم الأبيض نفسه، أى أن يعيش فوق كل ذلك السواد الذى يلف قلعة العبيد القديمة الكبيرة؟ والناس من حوله، لم لا؟ ما الذى يمنعهم من إلحاق أطفالهم بالمدارس الدولية الجديدة، لم لا؟ هذا هو كل ما يكافح الناس من أجله هنا: أى أن يكونوا قريبين من الرجل الأبيض. كل الصباح فى وجه الرجل الأبيض لم يكن كراهية. لقد كان حباً. بلوى، ولكنه حب فى نهاية المطاف. انظر حولك وسوف ترى ذلك بعينيك. وبخاصة فى الوقت الراهن.

قال الرجل: ' لقد نظرت إليها المعلم Teacher . كل ما أريده هو أن أتكلم محققاً ما يدور مثلما تفعل أنت تماماً. ولكنى لأدري أن الحقد هو الذى يجعلنى أكره ذلك الذى أراه. أنا لست على يقين من أنى لا أكرهه أيها المعلم. ' ' يجب أن يعتمد ذلك على ما يريده الشخص نفسه. أليس كذلك؟ '

' لكن، أيها المعلم، ما هذا الذى أريده؟ كيف بالنظر إلى أويو Oyo ، ثم أقول: إنى أكره السيارات الساطعة اللامعة الطويلة؟ كيف أعود للأطفال، وأحتقر المدارس الدولية؟ وعندئذ يأتى كومسون، وترى الأسرة فيه صورة يسوع المسيح. كيف لى أن أحس بأحاسيس البشر؟ '

' نعم. الحياة تصبح صعبة جداً عندما يقوم أبناء الشرفاء ببناء قصور فى غضون شهور. وأنت إذا ما اقتربت من الناس هنا، تراهم يسألونك، عن سبب مجيئك؟ وأين بيتك؟ وأين تركت سيارتك؟ وما الذى أحضرته معك لمن تحب؟ لاشيء؟ إذن علينا بالتزام الهدوء وعدم الاقتراب من الناس. الناس سيغضبونك لأنه ليس لديك منزلاً حتى تجعل الناظرين إليه يتعثرون، وليس لديك سيارة لتجعل كل السائرين يعرفون أن رجلاً كبيراً ومعه عشيقته قد مر عليهم. علينا التزام الصمت والاستمرار فى المراقبة. '

لم يكن المطر كثيرًا، ولم تنتج عنه أية ضوضاء، ولكن الميازيب الصغيرة في الخارج على جانب الطريق، أصبحت الآن عامرة بأنهار صغيرة سريعة الجريان، تندفع ناحية البحر، وأصبح الهواء محملاً ببخار الماء كما لو كان المطر لم يسقط، وإنما معلقًا، ويتزايد ثقله.

قال الرجل: 'أيها المعلم، أنت تعرف أنى يستحيل على مراقبة الأشياء التى تجرى ولا أقول شيئًا. أنا لى أسرة. وأنا فى المنتصف.'

'إن، هل ستسمح بتدمير نفسك منذ البداية؟'

'أنا لأعرف. وأنا عندما أتكلم عن كومسون أرى زوجتى وهى تنظر إلى الأطفال، وهنا أتبين مدى أسفها على نفسها.'

'يتعين عليك أن تسمح لها بالتمتع بأسفها وندمها. اللهم إلا إذا كنت مهتمًا بتدمير نفسك من أجل إشباع رغباتها. آه، أنتم يامعشر الرجال المتزوجين. وفى النهاية يتعين عليك رؤية إحمرار والتهاب اللثة. إن كان ذلك يخيفك، فالأفضل ألا تتزوج على الإطلاق. أنت تهرب مثل جبان من الجبناء، مثلى تمامًا. ولكنك شجاع. لقد اخترت لنفسك مقاومة هذه الزوجة. والمجتمع كله يقف وراءها.'

قال الرجل بعد فترة توقف: 'المطر قليل جدًا ورقيق جدًا.'

قال صديقه عندئذ: 'نعم، أنا آسف لأنى عجزت عن إعطائك ذلك الذى تحتاج إليه.'

'أعتقد، أنك بحاجة إلى القوة؛'

ضحك الرجل ضحكة ضعيفة. قال: 'لا يهمك، أنت تعرف ذلك الذى تود الوصول إليه. وأنت تفهم أيضًا. وذلك يكفينى تمامًا.'

قال الآخر: 'أنت عطوف. أنا أعلم أن حياتى خاوية، أما أنت فحياتك ليست خاوية. كل ما أفعله حاليًا هو قراءة الكتب التى عن الأماكن الأخرى، وعن الأزمان

الأخرى، واستمع إلى موسيقى جنوب إفريقيا وموسيقى الكونغو كما أستمع أيضاً إلى الأمريكيان الذين من أصل أفريقي. وأنا في أغلب الأحيان أتذكر معنان، كما أتذكر أيضاً مرارة الحياة وخواتمها وهذا هو كل ما في الأمر.

بالقرب من أماكن المومسات، كانت هناك برك صغيرة متخلفة عن المطر اللطيف، كان البعض من تلك البرك على وشك الفيضان والانسياب، بحث عن مجارى السيل، أو إن شئت فقل : الميازيب. من حين لآخر، كانت مصابيح الشارع تلقى ضوءاً قليلاً على الحفر والتقوب التي في الجدران الخلفية للحمامات التي امتلأت بشرائح الإسفنج المليئة بالطحالب الخضراء والجراثيم الأخرى الناتجة عن الأقدار وعن العرق منذ فترة طويلة، وكان الماء لا يزال يتقاطر من تلك الشرائح الإسفنجية.

قال الرجل: ' لقد جئت من مسافة بعيدة، أيها المعلم.'

'إن سوف أتركك هنا.' تصافح الاثنان وراح الرجل يطيل النظر إلى صديقه بعد أن أعطاه ظهره ومشى عائداً لحال سبيله، وكان يسرع الخطى في الليل الخالي. ثم نادى الرجل من بعيد قائلاً: ' أرجوك، لا تنس أن تبلغ زوجتك 'أسمى آيات حبي.' ضحك الرجل بصوت خفيض ولم يرد. وأدخل الرجل يديه مرة أخرى في جيبه ثم سار في اتجاه البحر وحاجز الأمواج.

عند حاجز الأمواج اتجه الرجل ناحية اليمين ليسلك طريق العودة الطويل. كان رأسه خفيفاً بشكل غير عادي، ولكن الرجل كان يحس بعد كل بضع لحظات قصيرة الماء في عنقه بالقرب من العمود الفقري. كان الرجل، في داخله، يحس رغبة شديدة ولكنها غامضة، كان يحس، في داخله شيئاً، يحثه على القيام بأي شكل من أشكال الاتصال، اتصال من أي نوع ، اتصال بأي شيء يمكن أن يساعد على ذلك الاتصال. في الماضي كانت التحركات التي من هذا القبيل تتمخض عن أفكار الحياة وعن جدوى وفائدة الأشخاص الأحياء، في الوقت الذي كان يمكن فيه إعادة النظر في الأحداث التي وقعت، وفي الظن بأن ذلك ربما كان أفضل ما أمكن عمله. ولما كان

إبيضاض الكبائن المسروقة ولمعان السيارات المسروقة أيضًا يمران سراعًا على ذلك الرجل، فقد كان ذلك يجعله يتدبر الأسباب، التي مفادها أنه بدون الإقلال من قوة الأشياء التي من هذا القبيل، فإننا قد يتحتم علينا جميعًا الجلوس في ظلال الأشجار القديمة ونروح ننسج أحلام نبيذ النخيل عن الجمال والسعادة في رؤوسنا وعقولنا التي أصابتها الدهشة والاستغراب. ومن هنا يكون وميض هذه الممتلكات هو القوة التي تحتنا على العمل بجد، وتحول بيننا وبين رغباتنا في طلب الراحة، إلى حد أن أرواحنا من خلال طلبها على الأشياء تنتهي في آخر المطاف بتحريك شعب بأكمله إلى الأمام. في الأوقات التي من هذا القبيل كان الرجل على استعداد لاحتضان الحقد والحسد باعتباره قوة من القوى أيضًا، قوة مخيفة يمكن أن يتولد عنها شيئًا طيبًا، وبذلك يستطيع أن يرى حول الأركان القريبة من أركان ذهنه، حيوات جديدة لأويو Oyo؛ وللأطفال بأعينهم الشاردة؛ ولنفسه هو أيضًا. بعد ذلك، وعند طلوع الصبح، يطالع الكلام الثقيل من خلال الصحف ويطيل النظر إليه، هذا الكلام يدور عن العمل بجد، وعن الأمانة والنزاهة، كلام يكتبه إناس لا يهتمون مطلقًا بما يكتبون ويصبح معنى ذلك لاشيء.

ولكن في المكتب يصعب تبين أن راحة البال الوجيزة هذه إنما هي نوع من الوهم. العمل الجاد الدعوب. كما لو كان أي قدر من هذا العمل الجاد يمكن، بهذا المعدل، أن يعيد كلاً من الذات والأحباء إلى دائرة الضوء والوميض مامقدار العمل الجاد الذي يمكن أن يتبقى إلى نهاية الشهر بعد تقاضى الراتب الشهري؟ إيجار المساكن أخذ في الازدياد أكثر فأكثر.. في المنطقة التي يعيش فيها الرجل، مالك العقار، هو عم الرجل المسئول عن جمع الإيجار، وكلاهما يطلق على نفسه اسم ناشط من نشطاء الحزب. حاول واحد من الناس تخفيض القيمة الإيجارية، وذلك عن طريق إرسال برقية إلى الحزب في أكر. هذا الأحقق المسكين كان ما يزال يعتقد أن ذلك أمرًا ممكنًا. وهنا نعتوه بأنه مخرب، وأنه واحد من أولئك الذين يسعون إلى تدمير الأمة، ونعتوه أيضًا بكلام كثير من كلام الحزب، وبعد

ذلك، ونظرًا لأن هذا الرجل لم يتوقف عن الكلام عن العدالة، فقد اقتادته الشرطة إلى مدينة أكرا. الطعام والغذاء. ما طول المدة؟ وما هو حجم العمل الجاد المطلوب، قبل الحصول على الطعام الذي يكفي خمسة أفراد، ويتبقى منه ما يمكن استعماله في مطاردة الوميض؟ ليس هناك سوى طريق واحد. ليس هناك سوى طريق واحد أمام الشباب للوصول إلى ذلك الضوء وإلى تلك الوميض. هدم الأركان، وأكل ثمار التدليس. هذا هو تاجر الأخشاب، بأسنانه المكوّمة، يقدم الرشوة، أي يفتح الطريق. ذات مرة وعندما كان الرجل مسافرًا إلى مدينة كيب Cape كوست Coast استوقف ثلاثة من رجال الشرطة الحافلة الصغيرة، وطلبوا أن يطلعوا على ترخيص السائق الربع سنوي. لم يكن السائق قد حصل بعد على ذلك الترخيص، وقال كل واحد من رجال الشرطة الثلاثة، وعلى مرأى ومسمع من كل الناس، 'الكولا أيضًا يمكن ان تعطى البهجة والسرور إذا ما مضغها الإنسان'. وفي كل حال كان السائق يضحك ويقدم خمسة وعشرين بيسو، وبذلك يمكن الوفاء بالقانون. ليس هناك سوى طريق واحد.

هذا هو زاكرياس Zacharias لاجوس Lagos، الذي يعيش هنا منذ مدة طويلة، نسي أنه كان نيجيريا في يوم من الأيام. وهو يعمل لحساب ورشة من ورش نشر الخشب، ويحصل في أيام الجنيهات والشلنات على مبلغ عشرة جنيهات كل شهر. ولكن زاكرياس كان يحيا حياة الأثرياء... في مساء كل يوم كانت سيارات النقل تحضر قطعًا طويلة من الخشب الجيد الذي سبق أن استغنى عنه زاكرياس بحكمته، وباعه وتخلص منه. وعندما أمسكوا به وألقوا القبض عليه قال الناس عنه: إنه رجل طيب، ورجل كريم، وراحوا يلعنون ذلك الرجل الذي وشى به وحقد عليه.

هذا هو إيدنجو Abednego ياموه Yamoah، لا يزال حراً طليقاً، بل ربما لن يلقى القبض عليه مطلقاً. هذا هو يبيع الوقود الحكومي لحسابه، ولكنه حذر دومًا إذ أن هناك وبصورة مستمرة شخص آخر، قد يكون مراسلاً، أو عاملاً من

عمال النظافة، جاهز لدخول السجن بدلاً من أبلنجو. الدنيا كلها تقول إن: أبلنجو رجل طيب، والدنيا كلها تقول متسائلة عن الأسباب التي تمنعنا من أن نكون مثله.

كان ذلك هو الطريق للوصول إلى الوميض: بقفزة واحدة جريئة وفاسدة، تعطى من يقوم بها القوة كي يسخر من أولئك الذين مايزالون يمشون متعثرين على الطريق اليومي متغابين، أمناء، مكتئبين، وفقراء، ومحتقرين وخائفين. ونحن لن نصل بهذه الطريقة. اللهم إلا إذا قفزنا نحن الآخرين قفزات من ذلك القبيل.

هناك الكثيرين، بل والكثيرين جدًا منا، الذين يدفعونا إلى الحافة ويرجوننا أن نقفز متخطين كل الوسائل المريعة ونقترب من الوميض، على أن نجرهم وراءنا. سيكون الأحباء أول من يلعن القدر إذا ما دخل السجن ذلك القافز المرتقب. الأحباء سيكونون هم أيضًا أول من تتعقد الدهشة على وجوههم عندما ينظرون إلى أولئك القافزين، وإلى كل مايتحقق بفعل تلك القفزات. الأفكار الدوارة عن كل من أويو Oyo وعن السيارات وعن السائق . وعن الحوادث أيضًا. الجبناء وحدهم هم الذين يخشون القيادة ويخافونها. وهذا هو كومسون قد تعلم القيادة. وعليه فإن الأحباء في المقدمة في الوقت الذي جرى تجريدنا فيه من ذلك القدر الضئيل من الاحترام الذي تبقى لنا في هذه المرحلة من أعمارنا. الشيشي دودو Chichidodo. لم يعد يتبقى لنا أى شيء. نحن نتضاعل إلى أن نصل إلى لاشيء في نهاية المطاف، ولن نجد في نهاية الأمر المكان الذي يمكن أن نقف فيه.

الأم، كل ما يود الإنسان قوله، كل ذلك أصبح أمرًا لا يطاق، وذلك عندما يرى الإنسان توأمًا من توأمه، وهو يندفع مثل نجم في اتجاه الوميض، وبسرعة عالية يتولد عنها ضوء ذاتي. وعند الساعة الخامسة صباحًا تستعد للذهاب بصورة غامضة إلى ثقبك الصغير لتبدأ وردية الصباح في عالم الأشباح العامر بالفاشلين والجبناء وتروح تنتظر بعينين تبتدان في النظر شئرا إلى ذلك الذي يعرف الخطأ الدائر، وتروح تنتظر وصول الرؤساء في أعقابك في أى وقت من الأوقات بعد الساعة التاسعة. متى يمكن الوصول إلى ذلك؟ ليس هناك ما يبرر قلقك لنفسك الآن.

سوف يمكن الوصول إلى تلك عندما تتقدم بك السن، وبالتالي لا يمكن أن تتذوق طعم أى شيء من هذا القبيل، وعندما تصل إلى ذلك فى النهاية فلن يكون من قبيل المكافأه. سيكون مجرد نكتة عقيمة.

توقف المطر منذ فترة طويلة. وعلى الطريق، هاهى الضوضاء الناتجة عن البرك الخفيفة، توحى بالبلل الذى أصاب كل شيء. بالقرب من المنزل كانت هناك برك عامرة بالوحل، بل إن تلك البرك كانت فى منتصف الطريق. الأمر الذى حتم على الرجل أن يكون حريصًا، وهو يراقب خطواته ويحاول الاسترشاد بذلك الانعكاس الناتج عن سطح أرض الطريق، قبل أن يستأنف المسير.

نظف الرجل الوحل من فوق حذائه، فى الشرفة الصغيرة، وعندما اقترب من الباب لم يكن هناك ما يستدعى الطرق على الباب؛ كان الباب مواربًا ليس إلا؛ لم يكن الباب مغلقًا. دفع الباب بلطف فانفتح الباب، ثم دخل المكان. كان الهواء الذى اصطدم بوجه الرجل، وشق طريقه إلى فتحتى أنفه حارًا، وإن هى إلا لحظة واحدة، تردد الرجل فى أثرها وكان يود الخروج من المنزل مرة ثانية، ولكن بعد برهة تحولت الحرارة إلى دفىء مريح، وراح الرجل يتخيل أن الطقس بارد خارج المكان، وفتح الرجل النور ووجد أن الصلاة كانت خالية. كانت زوجة الرجل هى وكل أطفاله داخل المنزل فى ذلك الوقت. ومن فوق الطاولة القريبة من الباب تناول الرجل مفتاحًا ثم خرج من المنزل.

عندما فتح باب المطبخ وجد أن كل شيء جرى إعداده وتجهيزه لليوم التالى. كان الدلو فيه شيء من الماء، تحسبًا - وقد حدث ذلك فى أحيان كثيرة - لانقطاع الماء عن المنازل فى ساعة مبكرة من ساعات الصباح. كان وعاء الفحم مليئًا، كما كانت هناك وسادة من الورق موضوعة فى الثقب الموجود أسفل الفحم، وإلى جوار زجاجة الكيروسين كانت هناك علبة من النقاب (الكبريت). هذا شيء طيب. أغلق الرجل باب المطبخ وعاد ثانية إلى الصلاة. وأغلق الرجل باب الصلاة أيضًا، ثم خلع

حذاءه الذي كان لا يزال مبتلاً، ووضع الحذاء على الأرض بالقرب من الباب، وبدون أن يفتح الرجل نور غرفة النوم، وبدون أن يطفىء نور الصلاة، دخل الرجل الغرفة.

كانت أجسام الأطفال مستلقية ومنقوفة في ثنيات شبكة البعوض الكبيرة. لم يزعج الرجل الأطفال، ولكنه دخل من الباب مباشرة؛ هذا الباب كان له إفريز من الخشب، ثم سحب الرجل الستارة خلفه. تناول الرجل المنبه الموجود على شباك السرير، كي يضبط الجرس على الساعة المحددة. اتضح أن الجرس سبق ضبطه من قبل، أعاد الرجل المنبه إلى مكانه، ثم خلع الرجل ملابسه، ولف الرجل نفسه في ملابسه وخرج إلى الصالة ثم أطفأ الأنوار. أغلق الرجل عينيه، في الظلام، ثوان قللت، ثم فتح الرجل عينيه مرة ثانية؛ وبدون أية صعوبة تحسس الرجل مكانه داخل شبكه البعوض (الناموسية)، بجوار زوجته. في الظلام، راود ذلك الرجل وهم مفاده أن الشكل الراقد إلى جواره كان غريباً عليه، امرأة لا يعرفها، وهنا ولد ذلك الوهم في الرجل رغبة غير عادية كانت عيناه تجدان الظلام أكثر سهولة ويسراً، وهنا استطاع أن يتبين الخطوط الخارجية لجسم زوجته. كان الأمر لا يزال غير مألوف أو معترف له. كان القماش الذي يغطي ذلك الجسد قد انزلق من فوقه إلى جانب السرير بجوار المرأة النائمة، وكانت المرأة عارية تماماً.

مد الرجل يده ولمس جسمها فيما بين وركيها، أسفل عضوها التناسلي مباشرة. استسلم لحم المرأة عن طيب خاطر، وهنا بدأ إحساس الألفة الذي كان يخشاه، يهدد بالعودة إلى الرجل مرة أخرى. حرك الرجل يده ناحية الأعلى. كان الفرج نفسه ما يزال جافاً، وأكثر مقاومة، بل يكاد يكون بحاجة إلى الحك وسط هذا الشعر الغزير، وجفاف الجلد الخارجي. ولما كان الرجل بحاجة إلى استرطاب المرأة المريح فقد أدى ذلك إلى استعادة الرغبة في داخله، وهنا دفع الرجل يده إلى الأعلى أكثر من ذي قبل، ثم راح يطوى يده عن مفتاح اللحم البشري المخبأ. ولكن تحريك يده جعل رسغ يده يلمس بطن زوجته، وهنا أدى أثر الجرح الطويل إلى إبعاد ذهن تلك الرجل عن التركيز تماماً في التفكير في تلك المتعة.

كان الطفل الأخير قد ولد من رحم أمه بعملية قيصرية، وعندما تركت المستشفى كان ذلك الجرح الطويل مجرد التهاب صغير أسفل الضمادات الموضوعة فوقه. منظر هذا الجرح الطويل كان يستثير دوماً في الرجل قشعريرة لا إرادية، كانت تسرى في عموده الفقري وتستقر في نهايته. هنا، وكالمعتاد، أدت تلك اللمسة إلى امتلاء الذهن المتعب بآثار وبقع الدم، ولون البشرة الذي انكشف مؤخراً، كما امتلأ ذهن الرجل أيضاً بوجه هذه المرأة المتعبة الوحيدة، كما امتلأ ذهن الرجل أيضاً بنظرات أويو المتسامحة في المستشفى فيما بعد، عندما ذهب لزيارة هذه المرأة. كان الحب ما يزال داخل هذه المرأة. كان ذلك الحب موجوداً، بطبيعة الحال. وإذا لم يظهر الحب في هذه اللحظة، فلربما كان الخطأ لا يقع على المرأة وحدها. ربما كان الخطأ هو خطأ تلك الروح التي ولدت دون أن يكون لها حظ الأرواح الأخرى؟ وعجز الذهن عن البت في ذلك الذي يقول الناس عنه إنه أمر ضروري، ذلك الذي يفعله البشر.

وعندما أدرك الرجل أنه أيقظ زوجته، استدار ناحيتها، وأعد لها ابتسامة. ولكنها نائمة. أخذ رأسها بين راحتي يديه، وانحنى على كوع ذراعه، وهنا ضاعت كل ذكريات ذلك الرجل عن الجرح الطويل الذي لم يعرف كيف يتعايش معه، ضاعت من ذهنه بفعل الرائحة القوية الصادرة عن امرأة ليست مستعدة للمعايشة الجنسية؛ وهنا سحب الرجل يده بعيداً عن رأس المرأة. في عالم الشك وعدم اليقين، وقبل النوم يرى الرجل نفسه بالصورة التي يكون عليها بالفعل، ولكنه ينحرف إلى الوراء في الزمن، ويتعين عليه العودة إلى زمن المدرسة، واجتياز الامتحانات والاختبارات القديمة. هذا الشيء الشبيه بالحلم ليس جديداً، وهنا نجد الإنسان مغلوباً على أمره من انعدام كفايته وصلاحيته. وهو يجد في صالة الاختبارات أن التحركات بكل أنواعها أموراً مستحيلة، إلى الحد الذي يعجز معه عن تبين إن كان يعرف الإجابة أو لا يعرفها.

الفصل الثامن

أضواء مبهرة، شاردة ومنتاثرة، تلاها ظلام، تبرز منه الذات المعترف بها. يرى، الرجل نفسه، صغيرًا جدًا، حادًا وقاسيًا جدًا. يرى الرجل نفسه يسير بصحبة رفيق مجهول، يكاد لا يرى، خلال براد شيء من الشفق، وتركا الظلام هو والأكواخ المنخفضة خلفهما. وعلى مسافة بعيدة منهما، ورغم كبر المسافة شاهدا مجموعة من الأبراج المنخفضة بيضاء اللون، لها طابع برج الجامعة في مدينة ليجون Legon، كما أن لها أيضًا طابع اللون الأبيض النادر الذي تصطبغ به حانة الأتلانتك Atlantic كابريس Caprice. إنهما ذاهبان إلى ذلك المكان، هما الاثنان، الرجل ورفيقته، ذاهبان إلى هناك وهما سعداء في الوقت الراهن وسعداء أيضًا في الصورة الذهنية المستقبلية التي لديهم في الوقت الراهن.

ولكن الأضواء الوحشة تسطع وتقطع الليل وتسرى فيه بفعل قوتها المفاجئة، وتتدفع بفعل إيقاعها الخشن متجهة صوب هذان الاثنان، اللذان أصابهما الارتباك. تحركت الإضواء إلى الأمام، ناعمة وقوية. الرجل، عجز عن الرؤية بفعل شعاع نافذ، ولذلك غطى الرجل عينيه بيديه، وفي تلك اللحظة رفع الرجل يده من على وسط رفيقته. ولكن الشعاع لم يمنع رفيقته من الرؤية. ومن خلال النظر من بين أصابعه كان يستطيع رؤية رفيقته، كانت عيناه تلمعان، في الضوء الصادر عن السيارات، وكانتا تصدان قوة الضوء المتساقط عليهما. هذه الأضواء تأتي مع ضوضاء السيارات التي تحدثها. هذا صوت يكاد لا يسمع، صادر عن باب جديد. يجري فتحه. تطفو رفيقة الرجل في الهواء، لتنزل من داخل السيارة التي في المقدمة. السيارات الأخرى. التي كانت عبارة عن موكب من السيارات كانت تذكر المشاهد بصفوف السيارات الأمريكية المملوكة للعاملين في منظمة الوحدة الأفريقية، هذه السيارات تمرق خلف السيارة الأولى، ثم تتجه السيارات كلها ناحية الأبراج، مخلفة الرجل وراءها. هذا هو البرج الأبيض يلمع ببريق غير طبيعي

عندما تمر عليه السيارات، ثم يدخل كل شيء، بعد ذلك في الظلام من جديد، كل الأشياء التي تلمع تتطفئ في الوقت الذي يبقى فيه الرجل على ما هو عليه، وهنا يتحول الظلام إلى برد، وبعثًا عن الدفء، يجلس الرجل على الأرض، ولكن الأرض بدورها باردة جدًا وقاسية وغير سعيدة. يحاول الرجل أن يشق طريقه عائداً من جديد خلال الدفء القديم الصادر عن الأكواخ الحقيرة التي كان قد خلفها وراءه، ولكنه عندما نظر إلى الخلف، يكتشف أنه يستحيل عليه معرفة الطريق الذي جاء منه. كل ما يحسه الرجل الآن هو البرودة والوحدة والوحشة التي تملأ قلبه أسى وبأساء، وبخاصة عندما أيقن أنه فقد رفيقته إلى الأبد، وأنه لا يستطيع العيش وحيداً بعد ذلك.

امتدت يد الرجل إلى مفتاح جرس المنبه. وهدأت من الصوت قبل انطلاقه. كان الرجل شبه مستيقظ منذ فترة وجيزة، وهنا كان لابد أن يتخلص من القشعريرة التي تعترى النائم قبل الاستيقاظ. كان الحال يبدو له في هذه الأيام وكان منظومة داخلية هي التي تنبهه إلى قلقه الداخلي، الأمر الذي كان يجعله يصحو بدون استعمال المنبه. كان يبدو له أن شيئاً موجوداً في نهاية فمه وتسبب في التهابه. كان الرجل متوتراً ويود إخراج ذلك الشيء. كان الرجل يضغط على ثلاثة أحجار صغيرة بأستعمال إصبعيه: السبابة والإبهام. كانت الرائحة الناتجة عن القطع الصغيرة تثير دهشته واثمنازه بحكم قدرتها وفعاليتها. تناول الرجل من فوق شباك السرير المنشفة الكبيرة ولف بها جسمه. في هذه الساعة المبكرة من الصباح، قبل أن يصحو أحد من الناس، وبالتالي ليس هناك مبرر للزحام على استعمال الحمام. خرج الرجل وهو يلبس صندلاً مصنوعاً من مطاط إطارات السيارات، وكان الرجل مقتنعاً أن الماء لا يزال موجوداً في الدش منذ بداية الليل. أخذ الرجل معه علبه الصابونة واسفنج الاستحمام وعزم على تحمل الاستحمام بالماء البارد. ومن الأفضل له أن يفعل ذلك قبل أن يصحو الآخرون.

بعد أن أضاء الرجل النور داخل الحمام وأغلق الباب، لم يستطع طوال فترة زمنية أن يبعد عينيه عن أسفل باب الحمام حيث كان متعفناً، وفاحت رائحة الخشب

المتعفن لتملاً فتحتى أنفه وتجويف فمه. حاول الرجل استنشاق القليل جداً من الهواء تحاشياً لتلك الرائحة، ولكن الماء البارد عندما اصطدم بظهره أخذ نفساً طويلاً على غير رغبة منه، وأصبحت محاولاته بلا طائل فيما يتعلق بإبعاد الرائحة عن أنفه. وعندما كان الرجل يغسل جسمه بالصابون، أحس برغبة فى التغطوط، وهنا بدأ يراوده الخوف من مسألة إمكانية الإنتظار لحين العودة إلى المنزل ودخول المرحاض. ولكن تلك الرغبة فى التغطوط انحسرت، وبدأ يدرك أن بوسعه الانتظار إلى أن يصل إلى مكتبه. وتلك أولوية مريعة.

كانت الأرض الأسمنتية من تحت قدميه، عليها بعض الطحالب. لم تكن تلك الطحالب هى الطحالب المعتادة التى يشاهدها الناس فى الحمامات. واقع الأمر أن تلك الطحالب لم تكن مرئية على الإطلاق، ومع ذلك كانت الأقدام تحس كثافة تلك الطحالب، بل إنها كانت تبعث على الراحة إذا ما استطاع من يدوس عليها أن يتناسى طبيعتها. كانت الفتحة التى تصرف الماء منها إلى خارج الحمام قد انسدت إلى حد ما بفعل قطع الإسفنج المتخلفة عن أولئك الذين يستعملون الحمام، الأمر الذى جعل الماء يتجمع داخل الحمام أمام تلك الفتحة، أو إن شئت فقل النقب، على شكل حاجز، مما أدى إلى تسرب الماء ببطئ خلال ذلك النقب، وكان يترتب على ذلك غرق الحمام عند استعمال الدش لفترات قصيرة. غمس الرجل قطعة الإسفنج التى كان يستعملها، فى علبة الصابون ورفع رأسه وراح يشطف فمه بالماء المتساقط من قطعه الإسفنج. ثم أزال الرجل الصابون بعد ذلك من على جسده وجفف جسمه على وجه السرعة، وهو يحاول أن يتجنب ملامسة منشفته للخشب المتعفن عند أسفل الباب، أوحتى أرضية الحمام التى كانت تلامس قدميه. وبعد أن انتهى الرجل لبس صندله المصنوع من مطاط إطارات السيارات، ثم عاد إلى غرفته مرة ثانية.

وبينما كان الرجل يعفر مناعمه باستعمال مسحوق البودرة، ويضع فازلينا على شعره، راح الرجل يفتش فى درج طاولته وعثر على شئ من النقود المعدنية الفكة، التى كانت تكفى انتقالات اليوم إضافة إلى طعام الغداء. أحس الرجل أن هناك بعضاً

من الفكة، ولكن لم يكن هناك داع لإحصاء تلك الفكة المتبقية . دخل الرجل المطبخ بعد أن ارتدى سرواله وسكب ماء باردًا في الغلاية وصنع لنفسه مشروبًا من البقية الباقية من مسحوق الأوفالتين. كانت زوجة هذا الرجل لم تحك له عن حكاية المرأة الشحاذة التي تعدت عليها في الليلة الماضية. كانت هناك بقية من السكر، ولكنها لم تكن تسمح بالتخلي عن أي جزء منها لأي إنسان آخر. كانت الزوجة على صواب في ذلك. وبينما كان الرجل يتناول مشروب الأوفالتين ومعه شيء من البسكويت شغل جهاز الراديو، وراح يحرك المؤشر الأحمر إلى أن عثر على موسيقاه المفضلة، كانت أصوات تلك الموسيقى توحى بأنها من الكنفو. كان الرجل يسمع تحركات زوجته وهي في داخل المنزل، مما يؤكد أنها هي الأخرى قد استيقظت، ولكنها ربما لم تكن تفضل المجيء إليه في الصلاة، وكانت تستمع إلى المؤشرات التي خلفها وراءه. غادر الرجل منزله في ساعة مبكرة، وذلك يعني أنه سوف يتمكن من اللحاق بقطار الفجر الذي يقوم من كوجوكروم Kojokrom قاصدًا المحطة وبذلك يوفر الزوج على نفسه أجرة الانتقال. ليته يغادر في ساعة مبكرة ويمشى بسرعة كي يقطع المسافة إلى موقف الطوارئ. دخل الرجل الصلاة، دون أن ينظر إلى زوجته، ثم تناول بنطاله وقميصه، وتأكد من وجود منديل معه، ثم دخل بعد ذلك ، الصلاة، كيما يرتدى ملابسه. ماعدت تلك الأيام التي مضت على ذلك الزوج دون أن يقول شيئًا لأطفاله؟

كان مسير ذلك الرجل إلى الموقف طويلًا دومًا على ما يذكر إذ كان القطار البطيء يصل إليها بعد وصوله بوقت قصير، ومع ذلك كان يخيل له أنه سوف يفوته القطار، ولكن القطار كان يتردد في الوقوف. كان هناك، حوالي خمسة أفراد آخرين، ينتظرون مجيء القطار، ولكن أحدًا منهم لم يتكلم ، بل إن تلك الصمت استمر حتى بعد أن أصبحوا جميعًا داخل القطار، واستمر ذلك الصمت إلى أن وصل القطار إلى المحطة التالية. كان كل واحد منهم مهمومًا بمشاغله. وهذا أفضل.

في المحطة، جلس الرجل، بعد أن نزل من القطار، خلال منطقة محطة بالقرب من مدخل المحطة. وعندما نظر إلى ذلك الذي كان يجوس خلاله، اكتشف أنه قىء ناتج عن أحد المسافرين. وبالرغم من أن ذلك القىء لم يكن حديثاً إلا أنه لم يكن قد جف تماماً. دار الرجل حول ذلك القىء ثم نزل بعد ذلك إلى رصيف المحطة، ثم سار قاطعاً المسافة بطول المحطة إلى أن وصل إلى مدخل المنطقة السكنية. وانبرى من بين الظلال خيالان، كما لو كانا يتهددانه، ولكنه عندما وصل إلى هذين الخياليين حياه بتحية غليظة وقال له: 'عمت صباحاً، يا فلان.' هذان الخيالان كانا لرجلين، من بلاد بعيدة، كانا تاتيين في متاهات الجنوب. خطر ببال الرجل أن يقول لهما أنه لم يكن فلان ولكن الفكرة نفسها تصبح محطاً للسخرية عندما يكون الإنسان وجهاً لوجه مع أولئك الذين يدعونه فلان. ما الذي يمكن أن يكون قد عثر عليه هنا هذان الرجلان، إن قدر لهما العثور على شيء؟ أم، هل يمكن أن يكون ذلك بمثابة مهرب لهذين الرجلين أيضاً؟ هذا أمر ممكن. من الممكن أن يكون الشباب، في مكان بعيد، يتهدون أثناء الليل ويحلمون بالسير في تلك المتاهات، غير أنهم بالقطع ليسوا على علم بنهاية الرحلة. هادئ تحت أى ظرف من الظروف. قد يكون هؤلاء الرجال الشباب محسودين، وليسوا من أولئك الذين يرثى الناس لهم ويتعاطفون معهم وليسوا من أولئك الذين يبكى عليهم أولئك الذين لا يتقون بأنفسهم. على الطريق يصادف الناس أناساً آخرين أثناء الليل، من أمثال رجل المرحاض، القائم علينا من بعيد، عائداً من المرحاض الموجود في الدور السفلى، وذلك المرحاض المخصص لكبار الموظفين. الإضاءة ليست كافية، ولكن الأمر لا يحتاج إلى أى ضوء إذا أردنا أن نقول لأحد من البشر، إن نلك الرجل الذى يحمل وعاء الغائط على رأسه، يحمل وجهه نظرة غامضة غير عادية توحى بالتهديد والوعيد، كما أن عينيه تشعان غضباً مسعوراً. ربما كانت راحة Akpeteshie هي التي ستطغى على هذا الرجل لو لم يكن حاملاً لتلك الراحة الأقوى. هذا هو الطريق الوحيد لبقاء رجل يحمل غائط الآخرين على قيد الحياة؛ الطريق الوحيد إلى ذلك هو أن يقتل الإنسان أثناء قيامه بتنفيذ شيء حتمى ولا مفر

منه، من الذى يتمنى أن يصحو مرة ثانية؟ مسألة مجيء حامل الغائط فى تلك الساعة من الصباح أمر غير عادى بالمرّة. حامل الغائط واحد من رجال الليل البهيم والصباح الباكر أيضا، رجل الغائط يختفى تماما عن أنظار الجميع باستثناء الأطفال نوى الفضول والرجال الذين يكونون حائرين ومنشغلين فى ظلمة الليل. وليس من الطبيعى أو المعتاد أن نرى حامل الغائط بالقرب منا.

الأخير يتحتم أن يكون هو الأول. الواقع أن الأمر يكون على هذه الشاكلة.

فى الحال؛ وعندما كان الرجل يرتقى سلم المجمع السكنى، مد يده نحو مفتاح الإضاءة الموجود أعلى السلم، ويفتح الرجل النور، ويواصل ارتقائه درجات السلم. وعندما يصل الرجل إلى باب المكتب يشاهد الخفير وهو يرتقى السلم بواقع درجتين فى المرة الواحدة، فى حين تحدث مجموعة مفاتيحه خشخشة غير معدنية، على شكل صوت كئيب وهى فى يده. يبحث الرجل عن تصريح السكة الحديد فى جيبه، ولكن الخفير يشير إليه بما يفيد أنه يعرفه، ويتقدم ليفتح له الباب، وهنا وبدون أى سبب يدرك الرجل أن الخفير كان يقول له: 'شكرا لك ياسيدى.'

سيدى. هذه كلمة غريبة. اسم غريب.

يدخل الرجل ويفتح الأنوار كلها. ويشم الرجل رائحة كانت محبوسة داخل الغرفة، ثم يتجه إلى النوافذ كلها ويفتحها الواحدة بعد الأخرى ليسمح لشيء قليل من هواء الصباح بالدخول إلى الغرفة. ويستدير الرجل قاصدا طاولته التى توجد أسفل خريطة السكك الحديدية الكبيرة ثم يضع يده على نراع جهاز المورس ويضغط عليه قبل أن يبدأ تشغيله. أرسل الرجل إشارة إنذارية إلى كل المحطات المتصلة بالخط، فى البداية ظهر أن ثلاثة محطات لم تكن قد دخلت بعد فى الخط، نظرا لعدم وجود أى أحد فى تلك المحطات كى يقوم بالرد على الإشارة. يتوقف الرجل. لم يبدأ وقت العمل بعد وإن كان على وشك البداية فعلا. فتح درجا من الأراج لعله يعثر على شيء يسلى به وقته. هناك أربعة أقلام رصاص داخل الدرج؛ هذه الأقلام بنفسجية اللون، تلك

اللون الحكومي، الأقلام كلها غير مبرية، وبجوار تلك الأقلام توجد شفرة من شفرات الحلاقة. يتناول الرجل الأقلام الأربعة، ويذهب بها إلى واحدة من سلال المهملات، ويروح يدفع تلك السلة إلى أن يأتي بها إلى جانب الطاولة التي يجلس أمامها، ثم يجلس ويروح يبرى أقلام الرصاص. وقبل أن ينتهي من برى القلم الثالث يفتح الباب، وخطر بباله في بداية الأمر أن ذلك واحد من عمال النظافة الصباحية، ولكن ذلك القادم الجديد يتجه ناحية طاولته ويحيه قائلاً: صباح الخير. يرد الرجل تحية كاتب الحجز، وراح يتردد في سؤاله عن أسباب مجيئه في ساعة مبكرة. ربما كان لدى الرجل تفسير لذلك، بالرغم من أن كاتب الحجز غير مشهور بكثرة الكلام. لم يستجد في الأمر شيء، ويزداد الفضول عن ذي قبل.

يقول الرجل لكاتب الحجز: 'لقد جئت اليوم مبكراً.'

'الطائر المبكر....' بصمت الرجل طويلاً_ 'يلتقط ذلك الذي تقولون عنه.'

لاطائل من وراء تفسير هذه الغرابة. ربما كان هذا الكاتب واحداً أيضاً من أولئك الهاربين من الأحباء إلى في منازلهم، في هذه الساعة المبكرة من الصباح. يجلس الرجل غارقاً في حيرته. ويذهب الكاتب إلى قفصه. وتنتهي إلى الأسماع أصوات الأدرج التي يقوم الرجل بفتحها، وكذلك الأصوات التي تنتج عن تحريك الأوراق. وعندما يخرج كاتب الحجز من قفصه يتجه ناحية النافذة، وينظر من خلالها ناحية الأسفل.

يروح الرجل يحملق في الخارطة التي أمامه، ويتأهي إلى مسمعه صوت قادم من داخله. يعقب ذلك الصوت ألم فظيع في بطنه، ويحس الرجل بثقل في شرجه، وكان ذلك الثقل يهدد بالخروج في أية لحظة من اللحظات. هناك مرحاض في الدور العلوى، ولكن ذلك المرحاض ليس مفتوحاً. كبار الموظفين فقط هم الذين لديهم مفاتيح هذا المرحاض. هذا لا يهم. يضاف إلى ذلك أن المرحاض الذي في الدور السفلى أفضل من المرحاض الذي في المنزل. يتناول الرجل بعضاً من الورق المستعمل

ويسارع بالنزول إلى مرحاض الدور السفلى، وهو يحاول التحكم في نفسه إلى أن يتمكن من الوصول إلى المرحاض.

ولسبب أو لآخر، فإن أنوار المرحاض أسطع من الأنوار في أى مكان آخر، الأمر الذى يجعل الأرضية المصنوعة من الأسمنت تسطع كما لو كانت آثاراً قديمة. يقفز الرجل إلى أنظف المراحيض التى يمكن أن يعثر عليها، وذلك بالقرب من الطرف الأقصى من المرحاض الطويل، وهو يمر بعينيه على صف طويل من الأوعية كى يستعمله فى التغوط، يقدم على ذلك الاختبار بشيء من الحرص، ويتحسب لذلك عندما يبدأ فى خلع بنطاله، مخافة أن تلمس أطراف البنطال السفلى البول الموجود فى الحفر التى أمامه. والشىء الذى يجعل هذا المكان أفضل من المنزل، هو أن هذا المرحاض عامر بالهواء، بالرغم من أن هذا الهواء قد يأتى من الفتحات الموجودة فى الأسفل، ويكون محملاً ببعض الجسيمات الغريبة التى تعلق به. ويجلس الرجل على القصرية، ويسمح للهواء القادم من الأسفل أن ينساب بارداً على ردفه، ويروح الرجل ينظر إلى الجدار المقابل عند اتصاله بالسقف، حيث الجدار ما يزال مدهوناً باللون الأبيض البراق الذى لم يخيم العنكبوت عليه بعد، ويحجب ذلك البرق الصادر عن الدهان. لون الجدار لم يتغير واعتباراً من هذا الإرتفاع يصبح الحائط بلون عضوى بنى اللون على شكل بقع، والبقع الحديثة تحاول تحاشي البقع القديمة، وتروح تغطي الجدران فى كل أجزائها. هناك بعض الأماكن، يبدو أن الناس كانوا ينحنون ليبحثوا فيها عن مكان لم يستعمل حتى يستعملونه، وفى قلة قليلة من الأماكن التى لاتخطر على البال، يبدو أن الناس قفزوا عالياً فوقها ولكنهم لم ينجو من الوسخ عندما نزلوا إلى الأرض. لابد أن هناك أناساً نسوا أن يحضروا معهم الورق المطلوب، ومع ذلك لم يشغلوا بالهم بذلك، وتخلصوا من أعمالهم، نظراً لأن الجدار عليه بعض العلامات، التى لاتعد من مخلفات شخص واحد، وإنما هى مخلفات لأنواع متباينة من الغائط. وهنا تروح عينا الرجل تبحثان لنفسيهما عن ملاذ فوق مستوى اللون البنى، بالقرب من مستوى

الكتف. عند هذا المستوى لا توجد بقع بنية اللون، ولكن بدلاً من هذه البقع هناك بعض الكتابات المدونة بالقلم الرصاص، وبخاصة اللون الحكومي. هذا هو رسم صغير من الرسوم الجنسية يبين وضعًا هنديًا مستحيلًا ومكتوبًا عليه الكلمتين التاليتين:

حلاوة الرحم

وإلى اليمين من هذه الكتابة هناك شيء يبدو أن الرجل سبق أن رآه من قبل دون أن يرى الكلمات المرافقة له.

حلاوة النقود تجيز كل شيء.

هناك رسوم وكتابات أخرى على اليسار يصعب تبين معناها في بداية الأمر.

المولود غيبًا.

سفسطة الاشتراكية تجعلني أسفست

وهذا خراب البلاد

يستشعر الرجل انتهاء عملية التغوط، وبعد أن ينتهي يحس بالارتياح، ويمسح الرجل مقعدته، ويرفع بنطاله ويقفز نازلًا إلى الأسفل، ويروح يشق طريقه خارجًا من المراض. وبالقرب من الباب يواجهه التحدي الكبير من جديد:

أنت لم تخرج ربحاً هكذا؟

هذه العبارة هي والعبارتين التابعتين لها، جعلت الرجل يبتسم.

صلّ من أجل التأخير

السجان يسفست مجاناً

أثناء صعود الرجل السلم كانت لاتزال فى أنفه رائحة شىء مماكان فى
المرحاض. ويعود الرجل نازلاً من السلم، بعد أن قرر التنزه لمسافة قصيرة حتى
يتخلص من تلك الرائحة فى الشارع. لا يوجد فى الشارع سوى قلة قليلة من
البائعين، ويبدو أن الناس لم يبدعوا الخروج من منازلهم بعد فى الصباح. ربما كان
أولئك الذين ناموا مع طلوع الفجر هم الذين سيصبحون فى ساعة متأخرة، ثم
يذهبون بعد ذلك إلى منازلهم لتيل قسط أوفر من النوم، هذا إن كان لمثل هؤلاء الناس
بيوت. خلف هذا الرجل، كان يقف شكل قصير ومثين وتخين. هذا الشكل يبدأ فى
دخول المجمع السكنى. ربما كان صاحب ذلك الشكل، عامل من العمل الذين لم يسبق
لهذا الرجل التعرف عليهم. يدخل ذلك الرجل ويمشى متجهاً نحو موقف الحافلات
الموجود أعلى التل، وبعد أن يصل الرجل إلى نهاية مبنى المحطة يتوقف مرة ثانية
ويروح يسائل نفسه عن المقصد الذى ينتويه. لا يعرف إلى أين هو ذاهب. وهذا هو
ضوء النهار يزداد عن ذى قبل. ويعود الرجل ثانية إلى مبنى المحطة، ويدخل من
باب المحطة ليصعد على السلم مرة ثانية.

يفتح الرجل باب المكتب ويسمع ضحكة عالية تتبعث من الداخل وتوحى
بالسرور، ثم يسمع صوتاً مألوفاً له يقول: 'لا. هذه هى الكولا الخاصة بك أنت.
تناولها مثلما تتناول الكولا.' ثم يسمع ضحكة ثانية. 'كنت على يقين أنك ستفهم، إذا ما
استطعت أنا معرفتك حق المعرفة. يا صديقى، إذا ما استطعت تحريك السجلات نيابة
عنى، فسوف ألقاك مرة ثانية. لا تشغل بالك. سوف آخذك إلى بيتى.'

واصل كاتب الحجز كلامه قائلاً: 'وهو كذلك،' ثم كررها ثانية.

عندما اقترب الرجل من طاولته (مكتبه) وأبصر رجل الأخشاب بصفوف
أسنانه، ولكنه فى هذه المرة كان يرتدى بدلة جعلته يبدو كما لو كان حزمة نسيها
وراءه أحد من الناس. كان رجل الأخشاب سعيداً.

قال تاجر الأخشاب: 'كيف حالك يا صديقى. تناول بطاقتى. تناول بطاقتى.'

مد الكاتب يده وتناول البطاقة المقدمة له وهو يقول: 'شكرا لك.'

'هو هو' لا تشكرنى. وإنما المفروض أن أشكرك أنا. هو هو هو!'

استدار تاجر الخشب استعدادًا للانصراف. وعندما اقترب من مكتب الرجل وراه توقف كما لو كان لا يصدق أنه كان معه فى الغرفة نفسها طوال هذا الوقت. ثم انفجر تاجر الخشب بعد ذلك يضحك ضحكًا خشنًا يوحى بالعداء.

'أى، إنى فأنت هنا اليوم أيضًا. يابلديات، لماذا تحاول التعامل معى بهذه الطريقة؟ ألا تدبر لى أن آكل، يابلدياتى؟ وهو كذلك. ابعده نفسك. لقد عثرت على رجل يفهم. أى، يا صديقى، لماذا تود معاملتى معاملة سيئة؟'

لم يقل الرجل شيئًا؛ ولكن تاجر الخشب ظل واقفًا أمامه، وبطيل النظر إليه كما لو كان ينتظر منه أن يجيب على سؤاله. تحول الرجل لينظر إلى الخارطة، كيما يتبين إن كان هناك أى رد من خلال إشارات آله المورس. وأطلق تاجر الخشب من خلف الرجل ضحكة للمرة الثانية، ضحكة عالية جدًا ومثيرة، ثم صاح فى الرجل قائلاً: أنت. أنت رجل شرير جدًا. أنت لن ينصلح حالك.'

لم يقل الرجل شيئًا، بل إنه حتى لم يلتفت وراءه لتلك الضحكة التى كانت محملة بالسباب واللعان. وهنا جاءت إشارة رد على جهاز المورس، وراح الرجل يستمع إلى ذلك الرد، دون أن يهتم بكتابة أو تدوين أحرف ذلك الرد. كانت الإشارة صادرة عن شخص آخر كان يجرى تجارب الصباح على جهاز المورس. رد الرجل على تلك الإجابة وراح يختبر محطة أخرى من محطات الخط. وإلى يسار الرجل كان يسمع صوت غلق الباب بعد خروج تاجر الخشب منه.

تتأهى إلى مسمع الرجل صوت كاتب الحجز وهو يقول: 'ما الذى فعلته له؟'

'قلت له أنى لأستطيع أن أفعل له شيئًا.'

'فهمت.'

'هل ستحضر خشب هذا الرجل؟'

'نعم. لقد تعلم الدرس ووعاه.'

تساءل الرجل، 'أى درس تقصد؟'

أجاب كاتب الحجز على هذا السؤال بشيء من التحشرج والتردد، ولم يزد أو ينقص من ذلك . الأمر طبيعى جدًا إلى حد أن مسألة الوقوف فى وجه ذلك الذى يحدث تغيب عن الذهن المضطرب. الناس كلهم يقولون :إن تاجر الخشب على حق، ويقولون أيضا:إن كاتب الحجز على حق أيضًا، وأتينا نحن الأغبياء، وأن الجميع على صواب فى ضوء ما هو قائم حاليًا وفى ضوء ماسيصل إليه هذا الحال نفسه فى المستقبل. والأغبياء هم أولئك الذين لا يستطيعون أن يعيشوا الحياة التى يحياها كل أولئك المحيطين بهم، هؤلاء الذين يقفون على ضفة النهر الجارى على أمل أن يسبحوا ضد التيار. ليس هناك من سبيل غير ذلك، يضاف إلى ذلك رفض القفز لن يكون فى مصلحة أى أحد تحت أى ظرف من الظروف.

تستعر نقرات جهاز المورس ويفيد التوقيع أن صاحب الرسالة هو أبواسى Obuasi. هذا هو أبواسى يتصل مرة ثانية. الأفضل أن يكون الرد على أبواسى بأن كل شيء على مايرام ولم يحدث هناك مايعكر الصفو.

'صباح الخير.'

'هل أنت موجود.'

'نعم.'

'اذكر السبب.'

'العمل.'

'اذكر السبب.'

'الزوجة.'

'انكر السبب.'

'كن جاذًا.'

'اذهب لحال سبيلك. انكر السبب.'

'الأطفال.'

فترة صمت طويلة، ثم نقرة طويلة في جهاز المورس. في البداية يحسب أن تلك النقرة بلامعنى، ولكنه عندما يبدأ فى تدوين الحروف يجد أن ما يصل عبارة عن سطر لا ينتهى من 'ها ها ها ها ها ها ها ها.' ويرد الرجل على ذلك المجنون، 'أنت مجنون.' وهنا يستقبل الرجل نقرات ضحكة طويلة، تنتهى بشكل مفاجئ.

'أنت المجنون.' صمت . هل لديك ماتقوله: 'قطار المناجم يجرى تحميله.'

'موعد تحرك القطار.'

'الساعة ٠٦١٩. أى متأخر أربعة عشر دقيقة.'

'هذا شيء طيب.' وهنا يفكر الرجل فى توجيه سؤال.

'من أنت؟'

'أنا والدك هاهاهاهاهاها.'

'أنت يا هو هو هو هو مجنون' ثم يلزم الطرف الثانى الصمت.

يمتلئ المكتب مع حضور كتبة الوردية الصباحية، فى البدايه، يدخل الشباب الصغار هم والمراسلين والسعاة، ثم يدخل بعدهم الكتبة الآخرون. وعند التاسعة والنصف يدخل كبار الموظفين وكل واحد منهم يرتدى جوربًا أبيضًا، شراب من النوع شديد البياض . وهذا موظف آخر أمضى شهرين فى ذلك السدى يطلق عليه هو اسم رحلة دراسية لبريطانيا، واعتبارًا من ذلك التاريخ، راح يرتدى

في عزحر غانا بدلة بصديري ومعطف . كان ذلك الموظف يود أن يثبت أنه ابن مطيع من أبناء الإمبراطورية بمناسبة عيد ميلاد صاحبة الجلالة. وعندما يدخل المشرف على قسم الحجز، يسارع كاتب الحجز بالذهاب إلى مكتبه. الكاتب والمشرف يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة، وكل منهما مدين للآخر ديناً كبيراً. والمعروف أن المشرف، قبل التحاقه بإدارة السكك الحديدية، كان يعمل صرافاً في واحدة من المدارس الثانوية الأهلية في غانا. وطبقاً للعادات السائدة في هذه البلاد، كان ذلك المشرف ينظر إلى عمله باعتباره فرصة سنحت له لجمع أكبر مبلغ ممكن في أسرع وقت ممكن، ولكن تعامل ذلك المشرف مع ماليات المدرسة الثانوية سرعان ما أوضحت نواياه. تقدم الطلاب بشكاواهم إلى وزارة التربية والتعليم. وقامت الوزارة، كما هو متبع في هذه الشكوى وطريقتهم من المدرسة متهمه إياهم بالعصيان والتمرد. ترتب على ذلك أن أضرب باقى الطلاب. وسعيًا من الوزارة إلى طرد المزيد من الطلاب قامت باغلاق المدرسة. ولم يكن هناك تحقيق لكشف ملابسات هذه الواقعة، بل تعذر إجراء مثل هذا التحقيق نظرًا لأن النار كانت قد أتت على كل ماكان في مكتب ذلك الصراف، وبخاصة إن ذلك الحريق أضرم في مكتب الصراف أثناء إضراب الطلبة. وبعد ذلك بفترة وجيزة جدًا صدر أمر إلى إدارة السكك الحديدية من الجهات العليا بتعيين ذلك الصراف في عمله الجديد. كان ذلك المشرف قد أحضر معه كاتب الحجز، ويحتمل أن يكون كاتب الحجز هذا هو الذى أشاع أن إشعال النار في مكتب الصراف لم يكن من فعل الطلبة.

يدخل كاتب الحجز ومعه رئيسه ويبقى قرابة نصف ساعة، وعندما يهم كاتب الحجز بالخروج يكون رئيسه معه وبصحبه وكلاهما يبتسم ابتسامة عريضة، وابتسامتيهما تدلان عن رضائهما عن نفسيهما. دعهما يبتسمان. المكان يشفق عليهما، إذن فلندعهما يبتسمان. لو كانا في بلد آخر لكانا الآن في السجن.إنهما هنا بطلان.

وبطريقة آليه، ومن باب قمعه للأشياء الذي فى داخله واستيائه أيضاً من الأشياء المحيطة به، يشغل الرجل نفسه برسائل المورس الواردة، بأن يروح يدونها بمنتهى السرعة، ويرسل ردوداً قصيرة، ويطرح أسئلة، ويدقق فى الردود. وعندما يحل موعد تناول الغداء يحس الرجل بالجوع ثم ينزل من مكتبه ويقصد المكان الذى يقف فيه الباعة.

يود الرجل أن يتناول وجبة طيبة من وجبات الفولوفولو Fulu، شريطة أن تكون الوجبة خالية من اللحم، ولكن المعروف أن وجبة الفولوفولو التى تباع فى الشوارع تعد وجبة بائسة، وإذا ماتناول الوجبة مع اللحم فإن ثمنها سيصلب من يتناولها صلابة تاماً. ميزانيته لا تتحمل سوى وجبة من وجبات الجارى Gari ومعها شىء من الفول ومطهية فى زيت النخيل، وبالرغم من الفكرة المزعجة التى مفادها أن هذه الوجبة غير مناسبة، إلا أنه بدأ يتناولها ويتمتع بها، الفقير لا بد أن يتعلم المعاناة من داخله ومن أعماقه. يحمل الرجل وعاءه ويمشى فى ظل الأشجار، وهو يبتسم لعمال القطارات الذين كانوا قد سبقوه إلى ذلك المكان. وبين مصمصة الشفاة، يدور الكلام المعتاد، كلام أولئك العمال الذين يعلمون أنهم واقفون على ذلك الشاطئ الذى تهب عليه الريح، وهم يمسكون بجبات السعوط بين أطراف أصابعهم، ويعلمون أنهم لن يدخلوا المكان مطلقاً. وفيما بين التتهيدات ونوبات الضحك المريرة، تتطلق فى الهواء عبارات مألوفة للجميع. 'إنه ليس مجرد ولد صغير... نعم، لقد استفاد من عمله فى حزب الشعب....' 'لديه سيارتان حالياً....' 'لا، أنت متخلف فى معلوماتك ثلاثة سيارات وليست اثنتين. وآخر سيارة وصلته هى من طراز مرسيدس ٢٣٠ سوبر.' 'قد تحسب أنى أكذب، ولكنه كان رفيقى أيام الدراسة، ولكن انظر الآن إلى.' 'آه، هذا هو حال الحياة.' 'البنات والعشيقات' 'يجرین ليملأن سيارته. وهذه رحلات يقوم بها إلى حانة ستار Star أثناء عطلة نهاية الأسبوع التى يمضيها فى كرا.' 'بنات، بنات، بنات صغيرات فى عمر الزهور مازلن يذهبن إلى حانة أكياموتا Achimota وحانة الهولى Holy

شايلا Child“أه من بنات الهولى شايلا وبنات أكيومتا أيضاً!“ إنه يكسر هؤلاء البنات مكسرات للنمور.“ أنت يابلدياتى ستفعل الشىء نفسه....“ صحيح إنه خنزير نقود.“ خنزير نقود بحق.“

فى الداخلى تتصرف مجموعة من العمال كى يغسلوا أيديهم. ينتظرون الرجل إلى أن ينتهوا من غسل أيديهم، ثم يتجه هو بدوره إلى الصنبور ويزيل الزيت عن يديه هو الآخر. ثم يعود ليجلس إلى مكتبه من جديد. صحيح، بل وصحيح تمامًا. مستحيل على الإنسان أن يقاوم الإحساس بالنعاس. لا يزال هنا متسع قليل من الوقت، وعليه فهو يحرك كرسيه قليلاً ناحية اليمين ويخفض رأسه إلى الأسفل على المكتب كى يروح فى سنة من النوم. وهذا صوت يضحك ويصيح بشىء عن أسبوع العواطف، ولكن الرجل نام بالفعل وبالتالي لم يعد يهمله مايجرى أو يدور من حوله بأى حال من الأحوال.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية، وكان هناك صبي آخر يجلس إلى المكتب (الطاولة). ينظر الصبي إلى الرجل ويستغنى عن المقعد الذى كان الرجل جالساً عليه.

يقول الرجل: 'اجلس، اجلس. لقد بكرت جداً بالحضور إلى المكتب.'

'نعم. لم يكن لادى ما أفعله. يضاف إلى ذلك، أنى أريد أن أراقب وأجرب؛

هذا هو شغف الأبرياء. سيجىء عليه يوم يتمنى لو أنه لم ير ذلك المجمع السكنى. سيجىء عليه يوم يتمنى فيه لو أنه لم يولد، ولكن ذلك اليوم لم يجرى بعد.

'هل تمنع لو أنى استلمت العمل منك الآن؟' يستثير السؤال دهشة الرجل، إلى حد أنه لم يجب على السؤال على الفور. 'أنا أود الاطمئنان إلى أن جهاز المورس يعمل على خير وجه.' هذا هو الرجل يستشعر ألمًا شديدًا فى مقدمة رأسه، هذا الألم يتزايد ويتناقص مع ضربات قلب الرجل ويستشعر الرجل ارتياحًا عظيمًا وهو يتفكر فى انقضاء فترة ما بعد الظهر.

' ليس لدى ما أفعله.'

' حسنا. هل هناك شيء تود منى أن أقوله لك؟'

' الخارطة واضحة. لا، أنا لا أريد منك أى شيء.'

' شكراً لك.'

فى بعض الأحيان يأتى الإحساس بالارتياح على هذه الشاكلة. نحن نصل إلى المرحاض فى اللحظة التى يتعين علينا فيها التخلّى عن ذلك فى أى مكان آخر. كما أن هناك أحياناً أخرى من هذا القبيل لانتوقع فيها الغوث والارتياح، ولكن عندما يتهاى ذلك الغوث، لا يتعين على أحد من الناس أن يقول لنا إن ذلك هو ما كنا نحتاجه منذ مدة. يهبط الرجل من السلم، وهو فى هذه المرة غير قادر على إبعاد يده عن درابزين السلم الذى تغطيه الأوساخ، ويخفض الرجل يده بعد أن تلوّث بالشحم. هذا هو الألم الذى يحسه فى رأسه يعاوده من حين لآخر. ويتجه الرجل ناحية اليسار بعد أن يصل إلى الشارع ويروح يسير على جانب الطريق، مبتعداً عن كثافة حركة مرور ما بعد الظهر.

بعد معبر المستوى تجىء بوابة الميناء، ويمنعه الرجل الموجود هناك من المرور على الفور، وإنما يأخذ بطاقته ويطلب النظر إليها، وفى شيء من التردد البالغ والمنهزم يشير إليه بالمرور. ويقطع الرجل مسافة طويلة مستظلاً بظلال الناقل العلوى الجديد، وعندما يصل الرجل إلى نهاية الناقل يدور حول مخازن المحطة ويجلس عند حافة رصيف المرفأ ورجليه متدلّيتان فوق الماء.

الإنسان يعجب دوماً من عدم تلوّث البحر عما هو عليه. أثناء شمس العصر يكون البحر هادئاً تماماً. كما تهدأ حركة البحر أيضاً، وتنتهى باضفاء إحساس بالسكون والهدوء. هذا يولد فى الإنسان إحساساً مماثلاً لذلك الإحساس الذى يتولد لدى من يركب الدراجة النارية (الموتوسيكل) أو ذلك الذى يتحرك بسرعة عالية فى طريق مفتوح. أفكار عن الماضى وأفكار عن الحاضر، آمال ومخاوف بالنسبة للمستقبل، كل

ذلك يكون مصاحبًا لسرعة الدراجة النارية، وفي النهاية يصاب الإنسان بالإرهاق والإجهاد التام بعد أن يكون قد دخل ثانية إلى أجزاء من نفسه وفي داخله لم يكن قد زارها من قبل. هذه الأفكار القادمة من البحر كلها محملة بضياح الأمل المؤلم، ولذلك ينهض الرجل من جلسته ويروح يتمشى على حافة رصيف المرفأ، متجهًا صوب الأحواض الأخرى. هذا هو رجل يظهر، يحاول موازنة نفسه فوق طوف من كتل الخشب المربوطة إلى بعضها فوق سطح الماء، ويروح ينادى على أسماء عمال الخشب من حوله، الذين هم بدورهم يقفون على كتل خشبية طافية على سطح الماء، ويروح ذلك الرجل يدون كل شيء على صفحة من الورق مثبتة على لوح من الخشب يمسك به في يده. يصيح الرجل بصوت عال، وفي شمس العصر تلمع شرايين عنقه المتعركة. وعلى بعد مسافة من الرجل، هذه سفينة صغيرة، يبدو عليها القدم ومدھونة باللونين الأحمر والأسود، وترفع علما لم يسبق للرجل أن رآه في الميناء، وهذه السفينة يجرى تحميلها بثمار الكاكاو المعبأة في جوانات بنية اللون. وهذا هو سائق الشاحنة (اللورى) المحمل بالكاكاو ويتغنى بأغنية جميلة، كما أن الصوت الصادر عن ذلك الرجل يباغت المستمع مباغنة تامة. هذا المغنى قد خلع قميصه عن نفسه، وهذا هو ظهره بعضلاته ولونه البنى. كوفى Kofi بيلي Billy يعشق هذا النوع من العمل. فوق السفينة الصغيرة هناك مجموعة من الأجسام السوداء تنتظر كى تقوم بتوجيه الحمولة القادمة، وهذه هى أصوات خافتة تتبعث بين الحين والآخر قادمة من المخزن الموجود فى الخلف. وفى الغرف الصغيرة الموجودة على ظهر المركب هناك رجلان أبيضان يرتديان قميصين أبيضين وبنطالين أبيضين قصيرين، وواحد من هذين الرجلين قصير جدًا، واقف ينظر ناحية الأسفل إلى كل الرجال الموجودين هناك، وبطيل النظر ويصيخ السمع إلى العمال والصياح والضوضاء الصادرة عنهم. هذا الرجل يترك السفينة ويغادرها متجهًا صوب حاجز الأمواج الرئيسى فى عرض المحيط. تخفت الأصوات العنيفة الصادرة عن العمل، وذلك أثناء مرور الريح على ذلك الرجل، ويقترب الرجل من حافة حاجز الأمواج ليمتد بصره إلى مسافة بعيدة فى البحر، ويمشى الرجل متنًا، لانه لايعير الوقت اهتمامًا، كما لا يهتم أيضًا بالعودة إلى

السفينه، لأنه يحس بالسعادة فى وحدته هذه، ويصل الرجل إلى سلم مبنى فى نهاية حاجز الأمواج، وهذا السلم يؤدي إلى البحر. وينحنى الرجل وينظر إلى درجات السلم. درجات السلم هذه تنزل متدرجة لتغوص فى الماء وتصبح غير مرئية تمامًا. يجلس الرجل، وهو يحس بألم خفيف فى مؤخرة عنقه، ويدفع الرجل عنقه إلى الخلف. هذه مجموعة من السحب شديدة الأبيضااض تتماسك بعضها مع البعض الآخر، وعلى بعد مسافة كبيره من الرجل، ومن خلف تلك السحب سماء شاحبة تكسوها زرقه خفيفة، وعندما ينظر الرجل إلى الأسفل من جديد فى اتجاه البحر تبدو له مياه البحر خضراء وعميقة. هذا هو طائر من طيور النورس، يطير على ارتفاع منخفض، تصدر عنه ضوضاؤه خشنة تختفى فى فترة العصر، وهذا هو الطائر الأبيض نفسه يطير فى اتجاه الميناء ومعه ضوضاؤه غير المسموعة وشكله الجميل وأجنحته الخفيفة.

الفصل التاسع

فى صباح يوم الأحد لانتهى جلبة الناس المعتادة فى مثل هذا اليوم. إذ تكون الأذهان مستعدة للقيام بالأشياء الضرورية التى لاتود القيام بها. والسبب فى ذلك هو تطلع تلك الأذهان إلى الراحة المرتقبة فى ذلك اليوم.

كان القلق الداخلى قد أيقظ الرجل قبل فجر ذلك اليوم. كان الرجل قد نسى أن يغطى نفسه أثناء الليل بمفارش الفراش، أو ربما تكون تلك المفارش قد انزلقت من فوقه أثناء نومه. كان يحس ببرد شديد فى ظهره. ولكن بعد أن اكتمل استيقاظ الرجل بدأت تعاوده استعدادات الليلة السابقة. لم يكن بحاجة ماسة إلى تخزين المزيد من الماء، أو إحضار المزيد من الفحم، ولم يكن بحاجة إلى تجهيز قطعة الإسفنج هى والفوطة ليضعهما بجوار الدلو بالقرب من الباب. كما أن المنبه لن ينطلق صوته فى هذا اليوم. ودون أن ينظر إلى الشكل الذى كان راقداً بجواره فى الفراش، استدار الرجل لكى يجذب ملاءة الفراش من تحته ثم راح يفرداها عن آخرها، ثم لف نفسه فيها تماماً، ثم غطى رأسه. وعاد الرجل لاستئناف نومه فى ذلك الظلام المريح الذى خلقه من حول نفسه، بعد أن اختفت من داخله كل مظاهر القلق.

سطع ضوء النهار فى داخل المنزل، كما أطلت غرفه النوم ذاتها، كل ذلك ظهر لها جلياً عندما استيقظ من منامه. لم يكن هناك ما يدعو إلى الاستيقاظ، ولكنه بقى مسترخياً وراح يفكر فى الأشياء التى قام بها فى اليوم السابق. لقد استغل فرصة انتهاء وقت النوم وراح يتجول فى شارع هاى High ستريت Street ليشتري الطعام الخاص والشراب الذى قررت زوجته تقديمه فى العزيمه التى سيحضرها كومسون وزوجته. كانت مسألة الحصول على أى شىء من المشروبات المكلفة التى طلبتها زوجته أمراً مستحيلاً، وبخاصة تلك المشروبات التى تحمل اسم الهوايت White هورس Horse والفات Vat ٦٩. كانت زوجته تطلب تلك المشروبات بصورة دائمة لتقديمها للشخص المهم الذى سيجرى الاحتفاء به فى منزلهم. ذات

مرة، قالت له زوجته الأسباب التي تدفعها إلى ذلك، وكان ذلك السبب يتمثل في أن أى شخص يمكن أن يشتري البيرة ويشربها. والصحيح أيضًا أن مسألة شراء البيرة هذه لم تعد حقيقية تمامًا، وبخاصة مع ارتفاع أسعار الأشياء.

يوم أمس، تجول الرجل في المحلات وفي جيبه نقوده الجديدة، وكان يراوده إحساس جارف بالسعادة والقوة، بالرغم من أنه لم يرغب عن باله أن تلك الأشياء المكلفة التي سيقوم بشرائها سوف تعمق من إحساسه بالألم في أسبوع العواطف التالي. عندما كان يسأل عن طعام الرجل الأبيض، ذلك الأرز الأبيض الطويل المعبأ في عبوات تحمل صورة العم بن Ben الأفرو أمريكى وهو يبتسم، وكذلك المعجنات المعلبة التي قطعت آلاف الأميال قادمة من بلاد الأثرياء، وعندما كان يسأل عن الزبد النيوزيلندى، كان يعلم علم اليقين، أنه من الغباء أن يحس بالارتياح وهو يشتري هذه الأشياء التي لا يستطيع تحمل أثمانها في نهاية الأمر، ومع ذلك لم يستطع مغالبة الابتسامة التي ارتسمت على شفتيه وجعلت ذلك الإحساس يسرى في جسمه كله. لو كانت تلك المشروبات الأرستقراطية التي من قبيل الهوايت هورس والفات ٦٩، متوفرة لاشرها ذلك الرجل وهو في غمرة تلك اللحظة الغبية من لحظات السعادة، بغض النظر عن اللعنات والسباب التي كان سيصيبها على نفسه بعد ذلك. لم يكن سبب هذه السعادة يتمثل في نظرات الإعجاب التي تصدر عن أولئك الذين يقيمون الناس بما يشترونه من أشياء وقدرتهم على الشراء. ولم يكن سبب هذه السعادة يتمثل أيضًا في كلام أويو، عن سعادتها البالغة عندما يثنى ضيف مهم أوزائر مهم على مايقدم له، أو في كلامها وغضبها عندما لا يكون لديها سوى الطعام والشراب الذي يقدمه عامة الناس. كان يعتمل داخل هذا الرجل إحساس كبير وقوى بالسعادة، كلما كان يجد نفسه قادرًا، بصرف النظر عن مدى قصر هذه المدة على القيام بتلك الأشياء البطولية التي كانت منتظرة منه طول الوقت، حتى وإن أوى ذلك في نهاية المطاف إلى قتل نفسه بنفسه. كيف يمكن لإنسان أن يتحكم في نفسه، عندما يتطلب منه إعجاب الدنيا به، وإعجاب أسرته به وكذلك سعادته الدفينة، ولو في اللحظة الراهنة في أضعف

الأحوال، كيف له أن يتحكم فى نفسه والسيطرة عليها إذا ما تطلبت منه كل هذه الأمور أن يفقد سيطرته على نفسه ويتصرف تصرف إنسان غيره ولا يمكن أن يكون مثله مطلقاً؟ المال. والقوة.

عندما خرجت الرغبة فى النوم من جسم هذا الرجل، وعندما نهض من فراشه وارتدى بنطاله الكاكي القصير، ثم خرج بعد ذلك إلى صالة البيت، وجد زوجته واقفة أمام خزانة اللحوم، وهى تطيل النظر وهى شاردة الذهن، إلى الطعام الموجود داخل تلك الخزانة، وإلى زجاجات (قوارير) البيرة الموجودة أمامها. دخل الرجل ووقف إلى جوار زوجته، ووضع ذراعه بخفة على كتفها .

تساءل الرجل، 'هل نسيت شيئاً من الأشياء المطلوبة؟'

قالت: 'الطعام طيب. الطعام طيب، ولكن المشروبات....'

قال: 'لم يكن فى المحلات سوى البيرة فقط.'

'نعم، فى المحلات.'

'وأنت لاتعجبك المشروبات الروحية الغانية الصنع.'

وضعت المرأة يدها على زورها بحركة سريعة توحى بالاشمئزاز، ثم ابتسمت بعد ذلك . قالت : 'لا، أنا لاتعجبني المشروبات الروحية غانية الصنع. ومع ذلك هناك مشروبات طيبة فى البلاد.'

'هذه المشروبات لا توجد إلا فى بيوت الكبار من الناس وفى منازل الاثريين فى الحزب.'

'لابد أنهم يحضرون هذه المشروبات من مكان ما. إنهم يحاولون، وهذا هو كل ما فى الأمر.' صممت الزوجة لحظة، ثم قالت: 'يتعين عليك التعرف على أناس يستطيعون إحضار تلك الأشياء لك. أولاً وأخيراً، الناس لا تلتحق بالمدارس لكى لاتتعلم شيئاً.'

أدار الرجل زوجته ناحيته كي يتمكن من النظر إليها مباشرة، ثم قال لها بعد ذلك وفي نبرة صوته شيء من الغضب: 'إذا كان بعض رفاقي في الدراسة مشغولين بتهريب المشروبات الأوربية إلى هذا البلد، فإنهم لم يخبروني بذلك.' يبدو أن المرأة لم تلاحظ نبرة الغضب التي جاءت في رده عليها.

قالت: أنت تعرف أن ذلك ليس هو مقصدي. الأشياء تحدث طول الوقت، إذا كنا نعرف أولئك الذين يقومون بتلك الأشياء، وليس هناك خطأ في ذلك.'
'أنا لأعرف أناسًا يمكنهم أن يستوردوا لي الأشياء خصيصًا.'
'بعض الناس يفعلون ذلك.'

قال الرجل: 'يضاف إلى ذلك أن البيرة ليس فيها ما يعيبها.' نظرت إليه زوجته نظرة جعلته لم يخطئ الإحتقار الذي كانت تتطوى عليه. 'أولاً وأخيراً، كومسون يعرف أننا لسنا أثرياء، إذن لماذا نتظاهر؟'
'هل نتظاهر عندما نحاول أن نقدم لهم الأفضل؟'

قال الرجل معتذراً، 'ربما كان من الأفضل الانتظار إلى أن تتوفر لدينا النقود'
'قد لا يطول عمرنا إلى ذلك الحد.' ضحكت عندما قالت هذه العبارة، ضحكة مصحوبة بصوت قصير، ثم دخلت المطبخ ومعها تلك الأشياء. ثم عادت من جديد وفتحت الدرج السفلي وأخرجت منه الأطباق الخاصة والفناجيل وكذلك الأواني الأخرى المصنوعة من الزجاج؛ ولم تستطع مغالبة الابتسام عندما نظرت إلى هذه الأشياء. ساعدها الرجل في نقل تلك الأشياء إلى المطبخ. كانت تلك الأواني والمواعين مغطاة بالتراب وفضلات الفراش والأبراص، مثلما كانت عليه دومًا عندما لاتستعمل طوال فترة طويلة من الزمن لعدم حضور أناس مهمين لتناول الطعام. ومن الدرج العلوي تناولت المرأة مفرشًا كبيرًا لونه خليط من الأبيض

والوردى، ثم راحت تفرد ذلك المفروش والقوط فى الشمس كى تتخلص من العفونة والرطوبة.

بدأ الرجل فى نقل الكراسى الفوتيل الكبيرة إلى مكان فسيح. وفى كل مرة يقوم فيها الرجل بتنظيف تلك الكراسى، كان يعجب من أسباب صنع هذا النوع من الكراسى بهذه الأحجام وبهذا النقل. وخطر بباله أن هناك سببين لذلك: أولاً، أنا هذه الكراسى لن يجرى إصلاحها أو التخلص منها إلا بعد فترة طويلة من الزمن؛ وثانى هذين السببين أن أى لص من اللصوص سيصعب عليه نقل هذه الكراسى.

هذان سببان وجيهان يجعلان الشبان الفقراء يؤثثون غرفهم بتلك الكراسى التى لاتصلح إلا لصالات المدينة الكبيرة. كان لايزال هناك شىء من النقل والكآبه غير الضرورين.

فتح الرجل باب المكتبة الزجاجى وتناول الكتب التى لم ينظر أو يقرأ فيها منذ زمن طويل. كان السواد الأعظم من تلك الكتب مدرسياً من يوم أن كان فى المدرسة، كتب كلها خاصة بشهادة الدراسة الثانويه. وهو عندما يطالع فى هذه الكتب الآن، كان يتعجب إن كان بوسعه اجتياز تلك الاختبارات فى الوقت الحالى، إذا ما اضطر إلى ذلك. فى البداية لم يكن يراوده أى شك مطلقاً، وبخاصة بعد ظهور النتيجة وحصوله على شهادة من المرتبة الثانية. كان الرجل يحس بثقة كبيرة أنه سوف يبدأ دراسة المستويات المتقدمة خلال فترة وجيزة. وبالتالى، يترتب على ذلك ترك إدارة السكك الحديدية، التى كانت عنده، فى ذلك الوقت، بمثابة محطة مؤقتة، إذ سيكون بوسعه الالتحاق بالجامعة فى ليجون. وبعد أن التحق الرجل بالعمل ومضى فترة قصيره عليه فى ذلك العمل، قصد الرجل إلى الجامعة لمقابلة صديق له هناك، كان ذلك الصديق واحداً من المتفوقين فى الدراسة. كانت الجامعة شيئاً حديثاً تماماً فى ذلك الوقت، لم تكن قد اكتملت تماماً، ولكن جمال المكان الأبيض كان قد ترك فى قلبه ألماً طويلاً نفياً وبخاصة بعد أن بدأ يفهم أنه ليس بوسعه الدخول إلى هذه الحياة المختلفة. انفتح مسار آخر أمام الرجل. لبيته لم يفكر

فى السىر فى ذلك المسار، لأن تلك الحىاة اللىومىة لرجل مكافح من رجال السكك الحدىىة كانت قد فرضت علىه على غير رغبة منه. واقع الأمر أن هذا الرجل لم يخطر بباله مطلقاً ذلك المستقبل العلمى. لم يكن الرجل سعىداً بحمل زوجته أوىو، ولكنه بوسعه الآن أن يتذكر تماما أن تلك الألم والقلق الذى أعرب وعبر عنه عندما جاء والد زوجته وحكىا له قصة تحطيم ابنتهما، لم يكن ألماً أوقلقاً حقىقىاً. كما أن احتفالات الزواج ولدت لديه إحساسا قويا بالسعادة، من منطلق أن شىئاً مهما حدث له بالفعل . وهنا، بدا له بطبىعة الحال، أن الشىء المهم يتمثل فى عزلة نفسه عن مستقبله، وأنه اختار لنفسه هذا الصراع المرير وأن يستهلك حىاته المستقبلية فى هذا الصراع.

أخرج الكتب من المكتبة، وعندما راح يعيد الكتب إلى داخل المكتبة اكتشف وجود أسرة صغيرة من الفئران، وكانت الأجسام الصغيرة تتركب فوق بعضها البعض فى حالة من الفوضى الرقىة التى لاحول أو طول فىها لهذه الأجسام الصغيرة. واستعمل الرجل المكنسة لىكسح بها تلك الفئران لىضعها بعد ذلك، وهى لازالت حىة، فى صندوق القمامة خارج المسكن. وهناك قام الأطفال الذين كانوا جلسون حول حفرة، حفروها فى الأرض؛ قاموا لىشاهدوا ذلك الذى كان فى صندوق القمامة، إلى أن سئموا النظر إليها وعادوا مرة ثانية لمواصلة اللعبة التى كانوا يلعبونها حول الحفرة.

فى الداخل تناول الرجل المخاد الواحدة بعد الأخرى من فوق الأرض، وراح يتفحص القماش الذى ضعت منه تلك المخاد. كانت هناك مئات النقب الصغيرة فى هذا الطراز من القماش، لابد من شراء أغطىة جدىة على وجه السرعة وشراء مخاد جدىة أيضاً؛ واقع الأمران هذه المسائل كلها لم تكن تحتل الجدل أو النقاش. تناول الرجل المخاد وقام بوضعها على الكراسى الفوتىل ثم عاد مرة ثانية، وبدأ يكس صالة الشقة، بأن أزال التراب من فوق أفارىز النوافذ ومن فوق بقىة قطع الأثاث. وبعد أن أكمل كس الأرضىة، خلط البقىة الباقىة من الورنىش بشىء من

الكيروسين وراح يمسح به الأرض المكشوفة من حول مشمع الأرضيه. وبعد كل تنظيف من هذا القبيل كان الرجل يصاب بالإحباط وخيبه الأمل. كان المكان يبدو بالشكل الذى هو عليه، إذ كان مشمع الأرضية يبدو متهاكًا، فقد لونه فى أجزاء كثيرة منه، مخلفًا وراءه بقعا سوداء، لم يكن ذلك الورنيش مشجعا بأى حال من الأحوال. كان الورنيش متعبا ويشبه طمث الحبيص. ألوان الأثاث البنية الداكنة كانت تضىفى على المكان إنطباعا بالهرم والكآبه. وعندما انتهى الرجل من تنظيف الصالة، انتهى أيضا من تلك الإحساس الثقيل الذى كان ينتابه وخلص إلى ان كل ذلك لامعنى له ولاطائل من ورائه؛ هذا العمل كله لم يخلص تلك الصالة من ذاتيتها التى توحى بالكآبه. هذه التغيرات المطلوبة بحاجة إلى شىء مختلف تماما، شىء لايمكن أن يتطلع إليه. هذا أيضا ينطبق على أطفاله. سوف يكبرون ويتعودون على دورات إفتقار الاحساس بذلك النوع من التنظيف الذى يترك الأشياء على ماهى عليه؛ سوف يتعود أولئك الأطفال على الجهود التى تنتهى بوضعهم عند النقاط التى بدأ منها الآخرون؛ سوف يتعودون على المعرفة اللعينة التى مفادها أن العرق لن يكسبه الأصحاب الركائز، وأنهم ليس عندهم مايسندهم أو يعينهم على ذلك. قد يستطيع واحد منهم الإفلات من دائرة انعدام الحيله المخيف. قد يكبر واحد منهم ويطفو ومعه شىء كبير من القوة يكفى لجذب الآخريين إلى الأعلى أيضا. أحلام. هذه الأحلام تقصم ظهور الأطفال. هذه الأحلام تريح الأب مدة لحظات لأنه يعرف فى داخله أن الأمور لاتسير مطلقا على هذا النحو.

بدأ الرجل يتصبب عرقا. وبعد أن انتهى من تنظيف الصالة، مسح أثر الورنيش والكيروسين من يديه، مستخدما فى ذلك خرقة من سروال قديم كان قد مزقه ليستعمله خرقا للتنظيف. ثم فتح المذياع بعد ذلك. كان المذياع مضبوطا على الإذاعة الغانية، وراح يستمع إلى منوعات آكان Akan. جلس الرجل فى واحد من تلك الكراسى الكبيرة وراح يستمع إلى الأصوات التى كانت تتناهى إليه من خلال الباب المفتوح. الأطفال الذين كانوا موجودين أمامه كانوا يبدون له وكأنهم يمارسون

لعبتهم التي كانوا يلعبونها كما كانوا يركزون عليه أيضا أنظارهم ويراقبونه. سحب الكرسى إلى أحد الأجناب وراح ينظر بعيدا عن أولئك الأطفال وفي اتجاه المنزل المجاور وبعد انتهاء فقرة المنوعات دخل الرجل المنزل وأطفأ المذياع، وأخذ معه مستلزمات الحموم ثم دخل الحمام. اغتسل الرجل اغتسالا جيدا وعلى وجه السرعة، وكان يكتفم أنفاسه قدر المستطاع. ثم عاد وارتنى البنطال الكاكي الحكومى وقميصا أبيضاً، ثم دخل المطبخ.

كان الأطفال يتناولون غداءهم بالفعل الذى هو عبارة عن شريحة مستديرة واحدة من خبز الكنكى Keneey وعليها مجرد مسحة صغيرة من السردين المطبوخ. تناول الرجل طبقة الذى كان موضوعا فوق كرسى من الكراسى المستديرة.

قالت الزوجة: 'كان مفترضا أن أحمل الطبق إليك، وأنت خارج المنزل.'

'لاداعى لذلك، فأنا أريد أن أكل معك.'

قالت: 'لقد تناولت غدائى بالفعل.'

قال الرجل: 'أنا لأصدق ماتقولين.' ولكن المرأه ابتسمت. وأصر الرجل.

'شاركينى فى أضعف الأحوال.'

بدأت المرأة تأكل مع زوجها. كان الأطفال قد خرجوا من المطبخ عندما دخله والدهم، فجلس الأطفال بجوار الباب مباشرة، مشيحين بأبصارهم بعيدا عن والديهم داخل المطبخ. تبين الرجل مدى ضالة الطبخة التي كان الأطفال يحاولون تناولها مع خبز الكنكى. ولكن هذا الحال مستمر منذ مدة طويلة. وقد سبق له مرة أو مرتين التخلي عن طعامه حتى يتسنى لهم الحصول على المزيد من اللحم. وهو إذا ما تحتم عليه إعطاؤهم الطعام الذى يحتاجونه، فإنهم سوف يتعين عليهم السير عراة، والا تعين عليه أن يجوع. كان خبز الكنكى جافا فى فمه. ووقف الرجل قبل

أن ينتهى منه الاحساس بالجوع، وبقيت زوجته هناك دون أن تقول شيئاً، سوى أنها كانت تطيل النظر إليه بعد أن غادر المكان.

نادى الرجل دون أن يلتفت إلى الخلف 'أود أن آخذ البيرة وأضعها فى ثلاجته بنتل.'،

قالت زوجته: 'آه، هذا شيء طيب! ولكن هل لك أن تنتظر بعض الشيء؟'
ماذا تريدين؟'

'ليتك تأخذ الأطفال وتوصلهم إلى أمى بعد ذلك...'

'هذا إذا ما احتملت أمك أن ترانى.'

'أمى لا تكرهك. ليس كما يتصور الأمر لك.'

قال: 'أنا على يقين من أن أمك تبادلتنى الحب سرايا أويو.'

أجابت، 'هى تحبك، هى لا تبادلك الحب، لكنها لن تعضك.'

صمت الرجل، ولكن القافية تردت فى ذهنه كما لو كانت تسجيلًا توقف عن العمل: كل ذلك لأنها لم يتبق لها سوى ثلاثة أسنان فقط، كل ذلك لأنها لم يعد يتبقى لها من أسنان سوى ثلاثة أسنان فقط.

أضافت المرأة، 'هل يمكن أن تطلب من أمى الحضور فى ساعة مبكرة،
حوالى الساعة السابعة؟'

'لماذا تجيئ؟'

'مجئها بضايقتك.'

قال: 'وهو كذلك سابلغها ذلك.'

كان الأطفال فى انتظار والدهم بالفعل. رفع أصغر الأطفال وحمله على كتفيه، وأحنى يديه لى بمسك برجلى الطفلة الصغيرة المتدليتين على صدره. وأمسكت الطفلة فى شعر والدها مخافة أن تسقط على الأرض بغير ذلك.

نادى الرجل، 'هيا، يادولى Adoley'

'أبتاه.'

'هل تودين اقتلاع شعرى كله؟'

ضحكت الطفلة، وبقيت ممسكة بشعر والدها وأنزلت يديها إلى جبهه أبيها. كان الابن الأكبر يحمل الشنطة التى فيها البيرة. كان الصبى قد أخرج زجاجتين من الشنطة، وراح يحملهما بحرص بالغ، وكان وجه الصبى ينم عن تركيز شديد وانتباه شديد أيضا أثناء المسير. كانت عينا البنت الكبيرة حائرتان فى كل ماكانتا تتظران إليه على طول الطريق. ومن حين لآخر كانت لاتستطيع الإمتناع عن التعليق على الأشياء التى كانت تلاحظها لأول مرة، أوحى عن الناس الذين كانت تعرف أنهم يسكنون فى تلك المنازل التى كانوا يمرون عليها. تلك المنازل الجديدة، بيوت الإسكان المتوسط التى بنتها الحكومة لتأجيرها للناس، كانت تلك المنازل تستحوذ على انتباه هذه الصبية. كانت تلك الكلمات تظهر ثم تموت بسرعة أيضا، أثناء المرور على المنازل، ولكن تلك الكلمات كان لها صدى غير مريح عند الكبار، وأن ذلك الصدى كان يحول كل مدرك من مدركات الطفل إلى بذره من بنور الاتهام عندما يكبر ويشب عن الطوق.

' هذا المنزل مملوك لمايك Mike . ترى، ما الذى يمكن أن يحدث داخل طفل إفريقى صغير عندما يكبر معتقدا أنه هو مايك؟' والد مايك لديه سيارة؛ كانت الفتاه قد حركت الحقيبه بعض الشىء وراحت تتظر إلى وجه أبيها. إنها لم ترتكب أى خطأ، عندما لاحظت أن والد مايك شخص ما لديه سيارة.

قد يكون من غير المنطقي توجيه اللوم إلى الفتاة بسبب ذلك الذي تراه.
‘المذياع الذي فى المنزل الذى تجاوزوه هو أكبر مذياع فى الدنيا كلها: ‘
كسر الولد الصمت حتى يتهجى الكلمة الدالة على ‘ لاسلكى!.

قالت البنت فى شىء من التصميم: ‘ستراه أيضا فى يوم من الأيام.’ فقدت
البنت اهتمامها بكل ذلك الذى أصبح خلفها، وراحت تنتظر إلى المنازل التى يقع
بصرها عليها، وفجأ صاحت البنت صيحة حادة من صيحات المرح. ‘ايه، انتبه!
هناك جهاز تليفزيون فى هذا المنزل. المنزل الذى فى الوسط.’ استدارت الفتاة
دورة كاملة، وراحت تمرجح الحقيبة وهى تقول: ‘بالجمال التليفزيون’

تهجى الولد الكلمة الدالة على ‘رئيس’ Boss .

قالت البنت: ‘اسأل الوالد، أليس التليفزيون جميلا جدًا؟’

قال الرجل: ‘بلا، ياديدى. التليفزيون جميل جدًا.’

صاحت البنت صيحة الانتصار، ‘عجبا لذلك!’ كسر الولد عن أنيابه ودفع
رأسه إلى الأمام مهددا فى اتجاه البنت، ولكنها اكتفت بالضحك. كان عنق الرجل قد
بدأ يؤلمه بسبب وزن ابنته الصغيرة الثقيل.

بدعوا يتحركون بسرعة نظرا لاتحذار سطح التل المؤدى إلى منزل الحماة،
وسرعان ما بدعوا يشاهدون ذلك الدغل من الأشجار الشوكية الجافة التى تبدو ميتة
وتحيط بالمنزل الذى كانوا يقصدونه. وعندما بدأ الرجل يطالع شجيرات نبات عباد
الشمس الذابلة، خلفه فى المنطقة الواقعة خلف دغل الأشواك تتمد إبطاء خطاه حتى
يمكن أطفاله من استباقه. لم تكن لديه رغبة فى دخول ذلك المنزل والجلوس فيه
وتبادل التحية المفتعلة مع الحماة. كانت البنت التى كانت تحمل حقيبة قوارير البيرة
تجرى فى المقدمة، فى حين كان الصبى قد قرر اللحاق بها ولكنه توقف فجأة فى
منتصف الشارع وراح ينظر إلى قدمه اليسرى. كان الصبى قد اقترب تماما من

منزل جدته، ولكنه بقي منحنيًا وهو ينظر إلى أصابع قدمه، إلى أن لحق به والده،
'ماذا حدث؟'

قال الصبي، 'شيء ما جرحني.'

أنزل الرجل البنت الصغيرة من فوق كتفيه وانحنى ليفحص ذلك الذي حدث
لولده. كان إصبع قدمه الكبير ينزف، ولكن الجرح لم يكن بداخله شيء، ولم يستطع
الأب تحديد إن كان ابنه قد داس على شوكة أم على قطعة من الزجاج المكسور.
كانت الابنة الكبرى قد اختفت داخل المنزل لتخرج منه ثانية ومعها جدتها. كانت
يد الجده اليمنى مبللة بعصير من زيت النخيل، وكانت تبعد يدها تمامًا عن جسمها.
وكانت تحملق طول الوقت في هذا الطفل أوداك، محاولة بذلك تحاشي النظر إلى
وجه زوج ابنتها.

سألت الجدة الابنة الكبيرة، هل أكلتم جميعًا هذا الصباح؟' أومأت البنت
برأسها، ولكن العجوز لم تكن راضية عن الإجابة. 'هل ماتقولينه حق، ياديدى؟'
أومأت البنت برأسها مرة أخرى. راحت العجوز تستجوب البنت أكثر وأكثر،
ولكنها هنا بدأت تلاحظ أن الصبي الصغير كان يعرج .

صاحت العجوز، وهي تتقدم نحو الصبي الصغير، آه، ياقريني، ماهذا الذي
أصاب قدمك؟ من الذي فعل ذلك ياقريني الصغير؟

همس الطفل قليلاً ثم قال: 'لأحد.' وجهت المرأة إلى الرجل نظرة توحى
بعدم تصديق ماقاله الطفل.

قالت المرأة العجوز، وكررت كلامها مرة بعد أخرى: 'ياقريني المسكين.
ليس لديك حذاء تلبسه، ولذلك يتمزق قدمك الصغيران. إي، ياقريني أنت ليس لك
من يشتري لك حذاء، ولذلك فإن أصابع قدمك سوف تصاب يوماً.' ثم اقتربت من
الصبي وراحت تنظر إلى قدميه، بحثًا عن الإصبع المصاب.

'أين الجرح، يا قريني؟ أين الجرح؟ يجب أن تعلم أنك ليس لك أحد، أنك يتيم، يتيم بمعنى الكلمة. يجب عليك أن تتوقف عن الجري هنا وهناك، مثل أولئك الذين يطاردونهم الآخرون حتى يشتروا لهم أحذية. يا قريني المسكين؟'

وقف الرجل هادئاً، يراقب ما يحدث ويستمع إلى ما يقال وكان مندهشاً إزاء وجود أو عدم وجود شيء من الرطوبة في فمه حتى يقوى على الكلام. لقد حدث ذلك مراراً، فرعوس الأطفال الرقيقة هي الأشياء التي تترد منها الطلقات الكلامية التي يطلقها عليهم الكبار، لتعود ثانية إلى قلوب أعداء هؤلاء الكبار. لقد جاء الرجل إلى هنا وهو يتوقع حدوث ذلك، ومع ذلك فقد كان ذلك يغضب الرجل عندما يحدث له. استخدم الرجل لسانه في تحرير أسنانه من قبضة شفتيه، ثم راح يتحدث إلى حماته. كان صوته يوحى بأدب مفتعل.

بدأ الرجل، 'طلبت مني أويو ... ' وهنا قاطعته المرأة العجوز.

'آه نعم، ابنتي المسكينة التي تعاني، ماذا تقول؟'

'طلبت مني أويو إحضار الأطفال إليك.'

تعجبت العجوز تعجباً شديداً 'أوه، سوف آخذهم! سوف آخذهم عن تلك المرأة المسكينة. يا ألهي، كيف لها بإرهاق نفسها؟ آه يا حبيبتي، رحمتك يا ألهي!'

قال الرجل بهدوء: 'يا أمي، ابنتك حية وعلى مايرام.'

حملت المرأة العجوز في عيني الرجل، وراحت تنظر إلى الأعلى لأنها كانت قصيرة القامة. ويبدو أنها كانت تبحث عن شيء من الأمل في كلام الرجل. كانت عيناها بعيدتان، وعميقتان، وكانتا تبدوان دائماً كما لو كانتا تسبحان في مقدار جاف من الدموع.

قالت وهي تطيل الحديث: 'أهذا هو ما نقوله أنت.. هل تقول بحق إن ابنتي

حية وعلى مايرام؟' احتبس الرجل ابتسامة. 'آه، ونحن نحمد الرب على ذلك!'

'هي أيضا طلبت مني أن أطلب إليك الحضور في ساعة مبكرة، أي حوالى الساعة السابعة.'

انعقدت المرأة العجوز عندئذ على شكل دائرة صغيرة توحى بالاستياء. ولوت المرأة فمها لتقول للرجل: 'لقد سمعت ذلك الذي قلته أنت.'

تناول الرجل قارورتى البيرة اللتان كانتا مع ولده، وأضافهما إلى بقية القوارير، ثم أخذ الحقيبة من ابنته الكبرى. وعندما هم بالانصراف، سمع بصورة واضحة تمامًا صوت حماته وهي تؤكد على ولده أنه ينبغي ألا يكون عديم النفع عندما يكبر. أسرع الرجل الخطى إلى أن وصل إلى أقرب النواصي إليه، ولم يبطئ الخطى إلا بعد أن تجاوز تلك الناصية، ثم راح يمشى مسترخيًا بعد ذلك، بعد أن تحرر من الضغوط التي انتابته بسبب نظرة العجوز إليه. بعد أن قطع الرجل مسافة قصيرة، طرق باب منزل منعزل، ثم دخل المنزل، وناول قوارير البيرة لصديقه، ثم خرج من المنزل مرة ثانية. كان الرجل يشعر بالحرية والخفة، وراح يمشى بخطى وثيدة، متمتعًا بحركته. مشى الرجل بالقرب من المحرقة الكبيرة، عبر المنطقة التي تقع فيها تلك المحرقة، وهو يستنشق رائحة جلود الحيوان المحترقة والشعر المحترق، والورق المحترق وكذلك الرماد القديم. لم يمش في الطريق الرئيسي، ولكنه سار في الشارع الصغير الموازي لذلك الطريق الرئيسي، إلى أن التقى الاثنان عند الجسر الذي يعبر البحيرة.

اندهش الرجل بفعل النسيم وهو يعبر الجسر. وعندما تفكر في الأمر، خطر بباله أن السبب هو وجود حركة مرورية كثيفة في كل مرة كان يعبر فيها ذلك الجسر؛ وبالتالي لم يكن لديه وقت كيما يتفكر في ذلك النسيم. أما اليوم فالجسر مهجور تمامًا، وطوال فترة عبور للجسر لم تمر عليه سيارة واحدة. تحول الرجل ناحية اليسار فجأة بعد أن عبر الجسر وابتعد عن البحر، وراح يمشى بجوار البحيرة. كان الوحل الأسود الموجود على الشريط الساحلي طريًا تمامًا من تحت حذائه. كان يرفس بقدميه على الجانبين الأصداف القديمة الموجودة فوق الرمل

الأخضر الذى يميل لونه إلى الإسوداد، وبينما كان يفعل ذلك كانت تهب عليه من البحيرة ريح بين الحين والآخر، كانت تلك الريح محملة برائحة العفن. شاهد سمكة ميتة طافية فوق الماء عند الحافة كان لحم بطن السمكة الفضى يتراقص بشكل عنيف نازلاً إلى الأسفل وصاعداً إلى الأعلى على شكل موجات صغيرة. وعندما دقق النظر فيما يحدث شاهد مجموعة كبيرة من الأسماك الصغيرة وهى تأكل من ذلك الجسم الأبيض الممزق، وقد راحت تكسر سطح الماء فى عشرات من النقاط الصغيرة. سار الرجل مع انحناء الطريق، تاركاً البحيرة يساراً، ليمر بعد ذلك على ملعب كرة القدم. ستكون هناك مباراة فى المساء. لا يزال يتبقى بضع ساعات على بدء المباراة، ولكن كانت هناك جماهير صغيرة تتجمع حول بوابات الملعب وأسفل الملصقات الكبيرة التى تعلن عن المباراة

الهساك × كوتوكو

اتسعت انحناءة الطريق، إلى ما بعد سور ملعب القدم، إذ كان ينحنى انحناءً محددًا ناحيه اليمين . سلك الرجل ذلك الطريق ولكنه كان يمشى ببطئ، وعندما تجاوز الرجل السجن المركزى بسورة المرتفع عبر خط السكة الحديد فى المنطقة التى يتقاطع عندها مع الطريق ثم قصد بعد ذلك منطقة التلال بما فيها من كبائن. شاهد الرجل بالقرب من الجبانة ملاعب الجولف القديمة التى بدت له ضخمة جدًا ومنيعه أيام طفولته. كانت تلك الملاعب لاتزال جميلة، وبخاصة خضرة الحشائش ، التى كانت لاتزال تثير دهشته بنضرتها ونظافتها التامة. جاء بعد ذلك من الطريق نفسه خمسة رجال من البيض ومعهم ثلاثة نساء ببيضاوات كان يختبئ ضمن هذه الجماعة، رجلان غانيان يكرشيهما الظاهرين كما كانا يرتديان زياً أبيض خشناً. وكان يجرى من خلف تلك المجموعة أربعة من الصبية الصغار، يحملون الحقايب والمضارب. بعد أن مر أولئك الصبية ضحك واحد من الرجلين الأسودين ضحكة

مفتعله مثل الضحكات التي يطلقها العاملون في خدمة الكبار، ثم ابتسم وجه واحد من الرجال البيض وراح يقول: 'تسديدة جيدة، ياهيمي Himmy. جيدة جدًا.'

كان الرجل الأسود يحاول التحدث مثل رجل أبيض، كما أن الصوت الذي كان يصدر من فمه كان يذكر المستمع، برجل مصاب بالإمساك، عندما يجلس للوهلة الأولى على كرسى قصرية المرحاض. اشماز الرجل الأبيض ورد عليه بلغة النادلين قائلًا: 'ها، جيدة جدًا، أليس كذلك؟' ضحك الرجلان الأسودان بصوت عال، في حين وضع الرجل الذي تكلم بيديه على كرشه الضخم.

بعد أن قطع الرجل مسافة طويلة داخل التلال، خطرت بباله ذكرياته عن ذلك العرض القديم في الماضي. أيام الأطفال والصبية الذين كانوا يدفعون أمامهم عربات يدويه مختلفة الأنواع، وهم عابسي الوجوه، ويروحون يسرون بين الأدغال ومعهم تلك العربات التي يدورون بها خلال الطرق الملتوية. وهنا تحرك المراقبون الذين كانوا يرتدون زيًا أيضًا تحركوا على وجه السرعة خلف الأدغال العاليه، وهم ينظرون إلى المتعدين على المنطقة نظرات ملؤها الشك والكرامية. لم يكن كل شيء مثلما كان عليه من قبل. هذه هي الأسماء قد تغيرت هنا وهناك. صحيح أنه كانت هناك أسماء من أسماء الرجال السود غير أن اللافتات التي كانت على جانب الطريق كانت تحمل الكثير من أسماء الرجال السود الذين لهم أرواح بيضاء، وأسماء أخرى تحاول بكل قوتها أن تكون بيضاء. في وسط غابة الأسماك البيضاء كانت هناك إشارات وعلامات تقول بصوت عال: هنا يعيش مقلدون سود هم ميلز هيفورد Mills-Hayford... بلانج بانرمان Plange - Bannerman أتوه هوايت Attoh-White ... كونتسو- بلانكسون Kuntu-Blankson. كانت هناك أسماء أخرى تبعث على الضحك في نفوس جيراتهم البيض. هناك الاسم أجروموند Agromond ... ترى ماهو الأصل الغاني لهذا الاسم، قبل أن يندفع الموظف الحكومي الذي يحمله لإضفاء الطابع الحضري عليه بهذه الصورة، مما جعله يبدو واحدًا من الأسماء المهمة؟ وهذا هو أيضًا الاسم جراتنسون'

Grantson الذى يكاد لا يصدقه أحد. كان هناك شخص آخر أطلق على نفسه اسم فنتجسون Fentingson فى هذه الدنيا الواسعة؛ كما كان هناك رجل آخر يدعى ' بنقول' Binful .

مر أيضًا صبى أسود يدفع أمامه عربة يد بيضاء وورديّة اللون. ولكن الطفل الذى كان داخل العربة كان أسودًا إسوداد الفحم، وكان الطفل يكاد يختنق فى الملابس الصوفية التى كان يرتديها. وهنا خطر ببال الرجل المراره التى أحسها صديقه المعلم Teacher عندما كان يتفكر فى كل ذلك. كان ذلك هو العائد والمكسب الحقيقى. المكسب الحقيقى الوحيد. كان ذلك هو الشيء الذى حارب الناس من أجله ونادوا به بأعلى أصواتهم. هذا هو ما وصلت اليه الأمور: لامن أجل قلب الامور رأسًا على عقب، وإنما من أجل دفع قلة قليلة من السود كى يقتربوا من سادتهم البيض، ولكى يضعوا المزيد من الشحم فى بطونهم أيضًا. كانت تلك هى نهاية كل شيء.

سيطر على جسم الرجل إحساس بالتعب والإرهاق، وراح يتفكر فى المسافة التى قطعها سيرًا على قدميه. واستدار الرجل إلى الخلف ثانية، محاولاً إسراع الخطى فى رحلة العودة.

الفصل العاشر

كانت أخبار الساعة السادسة لم تنته بعد أن عاد الرجل إلى بيته . كان الرجل وهو فى طريق عودته قد استمع بالفعل إلى الأخبار كلها من أجهزة الراديو المملوكة لأناس آخرين، والتي كانت فى أعلى صوت لها لكى تقول للناس خارج المنزل إن هنا، وهناك أيضًا، وهناك، وهناك، أناس يعيشون ويمتلكون أجهزة راديو قوية جدًا. شغل الرجل مذياعه عقب وصوله إلى بيته مباشرة، وإن هى إلا لحظات قليلة حتى أمسك الرجل بالجزء الأخير من الأخبار، وبالذات تلك الفقرات التى تقوم على المدح والثناء وبخاصة فى تلك الأيام. أوساجيفو Osagyefo الرئيس بحق، أوساجيفو الرئيس الأصيل، أوساجيفو بمعنى الكلمة. واختتم المذيع النشرة بنتائج مباريات كرة القدم فى ذلك اليوم. انتظر الرجل إلى أن سمع النتيجة التى تهمة: فقد فاز فريق الهسك بهدف واحد على كتوكو الذى لم يحرز شيئًا. ثم أقفل الرجل المذياع . كانت الاحتفالات ستستمر أسبوعًا بهذه المناسبة، وبالتالي فإن أسبوع العواطف القادم سيكون أسبوعًا قاسيًا تمامًا.

خرجت أويو من المطبخ متعبه، ولكنها كانت تبتسم فرحًا.

قالت: 'أنا أرى أن تذهب وتستعد لاستقبال الزوار.'

'وماذا عنك أنت.'

قالت: 'مازال أمامى بعض الأشياء التى يجب عملها. ثم اغتسل واستعد .

تبعها الرجل إلى داخل المطبخ وهو يقول: 'هل لى أن أرى الأشياء التى

أعددتها؟'

ضحكت، 'لا' هذا سر.'

داخل المطبخ لم ير الرجل سوى مواعين نظيفة. وكانت الأشياء التي بداخلها مغطاة بالمفارش الكبيرة.

قالت المرأة: 'إن كنت تود أن تفعل شيئاً فعليك بإعادة الكراسي إلى الصالة.'

رفع الرجل الكراسي وأعادها إلى داخل المنزل. وعندما انتهى من إدخال الكرسي الأخير خطر بباله ترتيب الكراسي على نحو مخالف لما كانت عليه، بحيث لا يوضعها في مواجهه بعضها البعض، مع وضع طاولة المنتصف بين الكراسي. ولكن الترتيب الجديد بدا مضحكاً بسبب صغر حجم الصالة، ولذلك تخلى عن ذلك الترتيب الجديد وعاد إلى الترتيب القديم. وعندما انتهى من ذلك كان قد بدأ يتصبب عرقاً من جديد، وعندما دخل للاغتسال كان للماء برودة ملطفة جعلته ينسى الهواء النتن والباب المتعفن، وبقي فترة طويلة في الحمام، خرج على إثرها وجسمه متعب تماماً، ومسترخياً تماماً، وكانت عظامه أيضاً على الحال نفسه. راح الرجل يرتدي ثيابه بينما دخلت زوجته إلى الحمام، إلا أنها عندما خرجت من الحمام كان لا يزال مرتدياً سرواله وقميصه، بالرغم من أنه كان قد أخرج البنطال الذي سيلبسه، وكان البنطال معلقاً على الحاجز الموجود في غرفة النوم. وضعت المرأة الصبّانة أرضاً، وكانت لا تزال ممسكة بثيابها حول ثدييها.

قال: 'أنت تستهلكين وقتاً طويلاً. هل أصابك البرص؟'

'لماذا، أنت في عجلة؟'

'كنت أحسب أنك ستخرج حتى أرتدي ملابسى.'

'هل تخجلين يا أيو Oyo من أن يراك غرباء شهوانيون؟'

'آه، أنظر إليه إذا كنت تريد ذلك. إنك أنت الذي ستفقد الرغبة فيه والشوق إليه، ولست أنا.' ابتسمت وهي تقول ذلك الكلام، ولكنه استطاع أن يستشعر

مخاوفها القديمة من صوتها، ولم يقل شيئاً بعد ذلك. وتركت ثوبها يسقط عنها ليرى بطنها المترهل وعليه أثر الجرح. فى كل مرة كان ينظر إلى تلك الشامة، كانت تبدوله أكبر من ذى قبل. تناول الرجل بنطاله، وارتداه على وجه السرعة، ثم أخذ حذاءه وجوربه وخرج إلى الصلاة، وجلس على الكرسي الخشن الموجود أمام الطاولة ليضع الأشياء فوقها؛ ثم قام بعد ذلك بإعادة ترتيب الكتب فى دواليب الكتب وأغلق الباب الزجاجى الأمامى. وخرجت أويو من غرفة النوم واتجهت إلى المطبخ، وهى تمسك فى يدها مشطها الحديدى.

قال عندما رآها: 'ياإلهى أنت لن تفعلين ذلك، هل ستفعلينه؟'

'أنا أفعل ذلك بالفعل.' خرجت من المطبخ ومعها واحد من المواعين المغطاة، ثم عادت ودخلت المطبخ وسرعان ما تشم الرجل رائحة شعر يحترق. ونظراً لإحساسه بالغموض فى داخله، فقد اتجه صوب زوجته وراح يراقب الدخان المحمل بالزيت والذى كان ينبعث من شعرها.

قال: 'لابد أن يكون ذلك مؤلم تماماً.' وسرعان ماراح يندم بعد ذلك على ماقال.

أعدت أويو المشط مرة ثانية ووضعت بين جمرات الفحم، ثم رفعت رأسها بعد ذلك وقالت: 'إنه مؤلم بطبيعة الحال. أنا أحاول فرد شعرى بعض الشيء، كى يكون مقبولاً.'

'ما العيب فى بقاء الشعر على حالته الطبيعية؟'

'نساء الغابات هن فقط اللاتى يبقين على شعورهن بحالها الطبيعى.'

قال: 'ليتك كنت امرأة من نساء الغابات والأحراش.'

ضحكت ضحكة توحى بالمرارة ثم قالت: 'أنتم يامعشر الرجال مناققون. ستغضبون إذا لم نعمل تلك الأشياء الجديدة.'

البعض يفعلون ذلك.

قالت: 'كلكم سواء . ' قالتها وهي تتناول المشط الذي بلغ درجة الاحمرار بفعل السخونة وراحت ومررته ثلاث مرات خلال شعرها. ثم وضعت المشط جانباً وغسلت يديها. لو كان لدى باروكة شعر لكان ذلك أفضل، ولما كانت هناك متاعب أو مشقات.

غمغم الرجل قائلاً: ' لو حصلت على باروكة شعر فسوف أدخل السجن.

سألته في شيء من الحدة، ' ماذا تعنى بكلامك هذا؟'

والسرقة من خلال الوظيفة.

' أنت تتكلم كثيراً عن السرقة.

قال الرجل: 'أنا أعرف أنها اللعبة الوطنية، ولكنني لازلت خائفاً. ضحكت زوجته، تلك الضحكة التي ترد بها على كلام الأطفال.

لم تحضر والدة أويو عند الساعة السابعة. وعند الساعة السابعة والنصف كانت والدة أويو لم تأت بعد، وهنا سألت أويو زوجها ما إذا كان قد تذكر أن يقول لأمها ويطلب منها الحضور في ساعة مبكرة.

قال وهو يحاول إخفاء ابتسامة: 'لقد أبلغتها ذلك.'

وصلت العجوز قبل الساعة الثامنة. بقليل، ومعها أطفال ابنتها.

كانت رانحتهم جميعاً توحى بأنهم قد استحموا جميعاً، كما كانت أذرعهم بيضاء بفعل بودرة التلك التي كانت عليها. جلست المرأة العجوز في كراسي من الكراسي الفوتيل، وهي تنتهد تنهدات توحى بأنها كانت تشتكى ولكن دون أن تتكلم. نهضت المرأة الصغيرة واقفة، ولكنها قبل أن تخرج من الصالة سألتها أمها قائلة: ' إلى أين أنت ذاهبة، يا أويو؟'

سأحضر للأطفال شيئاً يأكلونه.

تقلص فم المرأة العجوز إشارة إلى الاحتقار والغضب. 'إنن، أنتم تجلسون هنا وتظنون أنى أجوع أبناءكم.'

'أه، لا، يا أمى. كل مافى الأمر أنى تساءلت.' كان الرجل جالساً يراقب المرأتين دون أن يقول شيئاً.

قالت المرأة العجوز: 'لقد أطعمتهم. لقد أطعمتهم وأتوا على الطعام كله، إنهم جوعانين على امتداد حياتهم الصغيرة. يجب ألا تتركوهم جوعانين على هذا النحو.'

غضبت المرأة الشابة وقالت: 'أماه، نحن نعطيهم ما يكفيهم من الطعام. لماذا تتكلمين بهذه الطريقة؟'

انسحبت المرأة العجوز ولذنت بالصمت. كانت تتشمم بأنفها بين الحين والآخر علامة على تشككها كما كانت تصدر من حلقها بعض الضوضاء التى توحى بسخطها وعدم رضاها. كان الرجل يتلوى بسبب القلق وعدم الإرتياح، ثم اتخذ بعد ذلك قراراً مفاجئاً، فقد وقف فجأه وخرج ليكون فى الهواء الطلق. فى بداية الأمر كان الرجل ينتوى التخلص من ضغوط مصاحبته لأحبائه الصغار، ولكن الهواء الخارجى كان بارداً وودياً مما جعله يتمنى عدم العودة إلى كل ذلك الدفء العائلى. قرر الرجل البقاء خارج الصالة لحين وصول عائلة كومسون، ثم يرافقهم أثناء الدخول إلى المنزل. وراح الرجل يبطئ الخطى كيما يستهلك المزيد من الوقت، ولذلك مشى فى اتجاه المنزل المنعزل، ذلك المنزل الذى سبق أن مر عليه فى الصباح عندما كان معه أطفاله وقوارير البيرة.

وجد صديقه بنتل Bentil داخل المنزل وجلس يتحدث معه برهة قصيرة. ولم يدرك الرجل مدى تأخر الوقت إلا عندما قال له صديقه بنتل: إنه يتعين عليه الذهاب لمقابلة بعض الأصدقاء - كانت الساعة قد تخطت التاسعة.

أخذ البيرة وشكر صديقه، واستأنف رحلة العودة إلى منزله وهو يدور بخلده أنه سيرى الزائرين قد وصلوا بالفعل، ويرى زوجته غاضبة وأمها مستاءة لتأخره. ولكنه عندما وصل إلى المنعطف الأول رأى النور الكبير لسيارة ضخمة، وكان ذلك النور واقعاً عليه بصورة مباشرة، ثم استدار الرجل يميناً، مواصلاً السير في الاتجاه نفسه. وراح يسرع الخطى بعد ذلك

كان كومسون هو وزوجته استلا Estella قد وصلا وجلسا بالفعل داخل المنزل. شاهد سيارتهما واقفة بالقرب من المنزل، وفي داخلها السائق، منكفئاً على عجلة القيادة. كانت أويو جالسة أمام كومسون؛ في حين كانت أمها تجلس إلى جوارها، غارقة في إعجابها بمظهر ذلك الرجل من رجال الحزب. وكانت استلا كومسون جالسة في الكرسي المجاور لزوجها. اتجه الرجل إلى الزائرين وصافحهما، وهو يغمغم بشيء ما عن البيرة وأنها كانت السبب في تأخره. كانت مصافحة استلا غير كاملة، وسحبت يدها بسرعة مهينة لتجلس بعد ذلك في كرسيها، موضحة للجميع أنها معتادة على الجلوس على قماش طرى أسفلها ومن خلف ظهرها. كان كومسون يبدو أكبر من الكرسي الذي كان يجلس عليه. بعد أن صافح الرجل كومسون، اندهش لنعومة يدي الرجل. يدان أيديولوجيتان، أيدي الثوار التي تدفع أصحابها إلى التضحيات الجريئة، ألا ينبغي لهذه الأيدي أن تكون أكثر خشونة مما كانت عليه لو أن أصحابها كانوا يجرون الأعمال على أرصفة الميناء؟ هؤلاء هم اشتركيو إفريقيا، بنناء، معطرين، وناعمين نعومة الرؤساء السلف الذين باعوا شعبهم وهم سعداء بثمار تلك التجارة.

نظر الرجل نظرة شك إلى وجه زوجته. وفي موقف من هذا القبيل أحس الرجل وكأنه غريب جاء من بلد بعيد جدًا، فقد كان يرى نفسه وكل من حوله متورطين في لعبة حزبية بطيئة لن تنتهي. كانت تلك اللعبة مخيفة، ليتها لم تكن كذلك حتى لا يكون للأثرياء مثل هذا التأثير على الفقراء، عندما يضطروهم يوماً

إلى الاعتذار عن فقرهم، وأن يضحوا بضرورياتهم المستقبلية من أجل أن يتظاهروا لفترة وجيزة جدًا بذلك الثراء الذي لن يتحقق لهم أبدًا.

بددت ابتسامة الرضى، التى بدت على وجه زوجته، كل هذه الشكوك ومن وعاء من الأوعية المغطاة تناولت الزوجة خمسة أكواب زجاجية لامعة ووضعت كل واحد منها مع الفوطة المخصصة له، بجوار الكراسى. تناول الرجل كوبه ووضع بجواره على الطاولة، بعيدًا عن أكواب الجماعة. ثم فتح الرجل قوارير البيرة، وراح يملأ الكوب الأول لكل واحد من الحاضرين تاركًا القوارير شبه الفارغة إلى جواره.

قال كومسون: ' فى صحة الجميع.' كان كومسون على استعداد أن يضيف شيئًا وهو يرفع كأسه، ولكن صوت زوجته العالى اخترق حاجز الهواء بحدته.

كانت تقول: ' هذه البيرة المحلية لا تناسب نوقى.'

وهنا تساءل الرجل من مكانه المنعزل، ' وما هو ذلك النوع من البيرة الذى يناسبك؟' وهنا رفعت الحماة عينيها عن لحية كومسون الكثة إذ كان الوقت قد حان كى تتفحصه من قمة رأسه إلى أخمص قدمه. لم تشغل استلا كومسون نفسها بالاستماع إلى السؤال . وراحت تتأمل الماسة التى كانت تلبسها فى إصبعها الوسطى، وراحت ترفع يدها كما لو كانت امرأة من النسوة البيض اللاتى نشاهدن فى الأفلام، لتداعب بها خصلة من الشعر كانت تتدلى من الباروكة وتعوق رؤيتها، واستمرت كما لو كان شيئًا لم يحدث، ولم يقطعها أحد فى كلامها.

'الواقع أن المشروبات الأوربية جيدة. وهذه المشروبات المحلية تسبب المرض.'

قال الرجل وهو يرفع كأسه: ' هذه المشروبات لا تسبب لى مرضًا. قد تسبب لى مرضًا فى جيبي ولكنها لا تسبب لى مرضًا فى أى موضع آخر.'

كانت زوجة الرجل هي وأمها تنتظران نظرة مطرقة توحى بالضعة. وهنا تتحنح كومسون كما لو كان يحاول تسليك حلقه، ولكنه لم يكن لديه مايقوله، أوبا لأخرى لم يكن قد خطر بباله أى شيء.

واصلت استلا كلامها مؤكدة، 'كان مفترضًا أن تشتروا مشروبات أوروبية. وألا تضيعوا نقودكم على هذا النحو.'

قالت أوبو محتدة، 'هذه المشروبات ليست موجودة حتى نشترىها. لقد حاولنا العثور على هذه المشروبات.'

قالت استلا متتهدة: 'آه، لو كنت طلبتي ذلك منى لطلبته من العم آسفورد Asford ، وكان قد اشترى لك بعضا منها.'

أخيرا عثر كومسون على مايمكن أن يقوله. 'هذا لايهم. أولاً وقبل كل شيء البيرة هي البيرة.' رفع كومسون قدحه وأخذ منه شربة، ثم تعجب بعد ذلك مقلداً الساقى فى الحانه 'آه،عظيم!' وعندما وضع كومسون القدح على الطاولة مرة أخرى كان قد أتى تمامًا على ما فيها، وكان شيء قليل من البيرة قد سال على الفك السفلى لرجل الحزب. مالت أويو منحنية إلى الأمام وتناولت فوطة ورقية وراحت تمسح بها تلك البيرة، ثم صببت بعد ذلك شيئًا من قارورتها فى قدح كومسون.

'خدمة... ابتسامه' قالها كومسون ووجهه يبدو عليه السعادة البالغة. وسرعان ما راحت أويو تملأ الأقداح. كما أن إستلا نفسها تصالحت مع نفسها فى نهاية الأمر وتحولت إلى إفريقية وراحت تشرب البيرة وهي ممتعه الوجه. وبعد استمرار الشراب فترة من الوقت، سألتهم أويو عما إذا كانوا قد جاعوا على استعداد لتناول الطعام.

قال كومسون متهللاً: 'آه، لا، لا! انتظري حتى أحكى لك قصة.' كانت زوجته قد قطبت جبينها ولكنه لم ينظر إليها. وأغلق كومسون عينيه وبدأ يقول: 'يظن بعض الناس أن كون الإنسان وزير يعنى أن الأمور كلها على مايرام طول

الوقت. هيه، هيه، أنا في بعض الأحيان أتمنى لو كنت واحدًا من رجال الأعمال. ولست واحدًا من رجال الحزب. ذات يوم أحضروا رجلاً كي يلقي محاضرة على الوزراء وعلى البرلمانيين وعلى الناشطين من أعضاء الحزب. كان ذلك بمناسبة أعياد الوينبا Winneba. كان المحاضر يحمل درجات علمية عدة، إضافة إلى أنه لم يكن جذابًا في كلمة على الإطلاق. فهو من ناحيته كان يرتدى ملابس على قدر الحال. وهنا ضحكت استلا ضحكة مكتومة. 'وراح ذلك المحاضر يتحدث إلينا فترة طويلة عن الاقتصاد. يقولون إن الرجل كان يحكى لنا عن كيفية تحويل البلدان الفقيرة إلى بلدان غنية. كان يحاضرنا عن شيء يسمونه مراحل النمو. حاولت التوصل إلى ذلك الذي كان الرجل يقوله بالفعل ولكن يبدو أنني لم أكن للشخص الوحيد من بين الحاضرين، الذي نام في ذلك اليوم. صحت على صوت شيء من الضجيج والتصفيق. واستيقظ الآخرون أيضًا، وصفقنا كلنا وقلنا: "بييه بيه". وهنا نهض المحامي العام الذي كان واحدًا من باحثي الحزب، وراح يشكر المحاضر.

'لقد أخبرتنا وحدثتنا يا أستاذ فلان عن مراحل النمو. ونحن نشكرك كثيرًا على ذلك الذي قلته لنا عن تخصصك.' ترنح المحامي العام، لأنه كان سكرانا كعادته، ثم واصل حديثه. "نحن بدورنا سوف نتقاسم معك معرفتنا الخاصة. نحن... الحاضرون مراحل الخمر!" أقول لك إن أحدًا لن يعود إلى بيته لينام. كان المحامي يفتح عينيه الحمرابين بين الحين والآخر وراح يغني قائلًا:

" المرحلة الأولى - هازل الحالة النفسية

المرحلة الثانية - عابس الحالة النفسية

المرحلة الثالثة عدواني الحالة النفسية

المرحلة الرابعة - غيبوبة الحالة النفسية."

'سقط المحامي العام بعد ذلك أرضًا. فقد كان هو نفسه في المرحلة الأخيرة من تلك المراحل الأربعة. وهنا قلنا جميعًا: "بييه بيه". كان يومًا رائعًا بالفعل.'

كانت أويو هي واستلا تضحكان، ولكن أويو كانت مكشرة تكشفية توحى بالحيرة والقلق؛ في حين كان كومسون هو نفسه يهتز بفعل الضحك.

قال كومسون: 'الطريف.. الطريف أن المحاضر كان هو وحده الموجود في المكان، ولم يكن يضحك حتى ولو لمرة واحدة. وقد بلغني أنه هجر هذه البلاد وغادرها.'

طلبت المرأة العجوز من ابنتها تفسير تلك النكتة، وبينما كانت الابنة تفعل ذلك بدأ كومسون حديثه مرة أخرى.

قال كومسون وهو يرفع أصبعه مثل تلاميذ المدرسة 'إن، من فضلك.' 'هذا هو إضطرار الطبيعة. عفواً، خذني إلى دورة المياه.'

أطلق الرجل ضحكة من كرسيه المنعزل وقال في بساطه: 'ليس لدينا هنا دورة مياه' بدت الدهشة على أويو.

وهنا تدخلت استلا Estella متسائلة، 'إن كيف... ماذا تفعلون؟'

وهنا راح الرجل الذي كان يتمتع بنفسه، يرد عليها ردًا طويلًا. 'لدينا بالفعل مكان، وكل ما في الأمر أن هذا المكان ليس من المستوى العالي. إنه ليس دورة مياه، إنما هو مرحاض ليس إلا.'

انفجر كومسون ضاحكًا بصوت عالٍ. أبصر الرجل وجه حماته وهو يمتعض، معبرًا عن الخجل والكراهية في آن واحد. كانت هناك ابتسامة بهيجة على وجه استلا.

'حسنًا، طالما وجد المكان. فنداء الطبيعة ثابت لا يتغير.'

نهض الرجل من فوق كرسيه. قال: 'حسنًا، هيا بنا.' ترك الرجلان زوجتيهما واتجها صوب الحمام والمرحاض. كان أسمنت الأرضية زلقًا من تحت الأقدام مع ازدياد في الرطوبة والبلل كلما اقتربا من الهدف. وعندما وصلا إلى

المرحاض، وجدا بابه مغلقاً، وكانا عليهما أن ينتظرا في الخارج. كان ألم وصراع الرجل الموجود داخل المرحاض واضحاً لهما ومسموعاً منهما، انقباضات معوية مؤدية إلى نوبات طويلة من الإخراج وتتخللها فترات صمت وجيزة . كانت معركة طويلة وأخذ الرجل الموجود داخل المرحاض راحته. وقف كومسون يحملق في الظلام في فتحه المرحاض عله يعثر عليها، وقع ذلك لم يستطع أن يتبين أى شيء في الظلام، ويبدو أن جوالمكان نفسه كان طاغياً على كل شيء. وهنا بدأ الرجل يسمع كومسون وهو يقضى حاجته على نحو واضح ومسموع. هذا هو واحد من أولئك الذين هربوا من كل ذلك، مضطر إلى العودة إلى كل ذلك الذى سبق له أن تخلى عنه. وفي النهاية بدأ الرجل يسمع صوت ورقة من صحيفه قديمة يجرى طيها في يد الرجل الموجود داخل المرحاض بعد انطلاق صوت طويل قوى وحاد، وواضح. وهنا بدأ الاثنان يشعران بالارتياح. ثم خرج من المرحاض بعد ذلك صبي صغير.

كان ذلك الصبي لا يزال يمسح يده اليسرى في قطعه من ورق الصحف، مستعيناً على ذلك بذلك الضوء الضعيف المنبعث من خلال باب المرحاض المفتوح. وعندما مر الصبي على الاثني اللذان كانا ينتظران، كانت تصحبه رائحة كريهة كما لو كانت موجة من موجات البحر وارتطمت تلك الرائحة بوجه الرجل مباشرة. وهنا تنهد كومسون، وتردد قليلاً أمام باب المرحاض، وبنظرة واحدة إلى ما بداخل ذلك المرحاض، استدار عائداً مرة ثانية. لم يقل كومسون للرجل شيئاً، ولم يسأله الرجل بدوره عن أى شيء - لم يكن الأمر بحاجة إلى الكلام. عادا الاثنان إلى الصلاة، وإلى زوجتيهما اللتان كانتا تنتظراهما. كان الطعام قد قدم بالفعل. وكانت استلا قد بدأت في تناول طعامها، ووجهها يحمل بين الحين والآخر تعبير يدل على الاحتقار، كانت أويو تبدو راضية عما فعلته. لم تكن أويو من النوع الأكل، ولكنها راحت تراقب الآخرين. أكل الرجلان في صمت. خرج شيء مامن كومسون، وطوال فترة المساء لم يعد ذلك الشيء مرة ثانية. وهنا استأنفت زوجته

استلأ الحديث بالكلام عن حياة الأحزاب، المزحمة بالأعمال، وبدأت أسماء الشخصيات المهمة تتساب من شفيتها على نحو جعل أويو تنظر إليها نظرة حقد وإشفاق على نفسها. ومع ذلك، استطاع الرجل أن يتبين أن أويو كانت سعيدة. وعندما بدأت في رفع الأطباق والاكواب أحست بقربها من تلك الأشياء التي تود أن تفتى حياتها في القيام بها، وأعطاهما ذلك أيضا ذلك النوع من احترام الذات الذي كانت نتطلع إليه. وعلى غير وعى من الرجل، انجرف إلى أحلامه القديمة بذلك الذي يود عمله من أجل زوجته. وفي النهاية بقي لديه إحساس بأنه لن يستطيع عمل ما هو ضروري.

كانت المرأة العجوز تحمق طوال وقت تناول تلك الوجبة في وجه كومسون الذي كان صامتا بدوره، كانت العجوز متحفزة لانتقاط كلامه فور بداية الحديث. ولكن رجل الحزب لم يكن على وشك الحديث في أي شيء. أخيرا، تغيرت ابتسامتها وبدأت تتكلم.

بدأت كلامها قائلة: سيادة 'الوزير، وهنا استدار كومسون ليستمع إليها. كانت عيناه عيني رجل شارد الذهن بعيدا عن هذا المكان وهذا الزمان أيضا. سيادة الوزير 'نادت العجوز، 'أنا لأود الحديث عن أي شيء مطلقا. أنت تعرف جيدا أكبر مني ذلك الذي جمعنا سويا هنا في هذه الليلة.'

قال كومسون: 'أوه، نعم.' قالها كومسون وهو يحاول التركيز على ماتقوله تلك المرأة 'أوه، نعم، أعرف ذلك.' قالت المرأة العجوز: 'أنا أقصد الأهد ... Ahead'

تساءل كومسون: 'تقصدين ماذا؟'

قالت أويو: 'هي تقصد قارب الصيد. هذا هو الاسم الذي يطلق على هذه القوارب في هذه المنطقة.'

قال كومسون: 'لقد فهمت، لقد فهمت ماتقولين.'

قالت المرأة العجوز: ' هذا هو ما أردت أن أسألك عنه أيها الوزير.'

قال كومسون وهو ينحنى فى كرسيه: 'آه، نعم.'

'الأمور غاية فى الصعوبة هذه الأيام. الأمور صعبة جدًا.'

خرجت تتهيدة طويلة من فم استلا. 'إنها تلك الاشتراكية الحمقاء التى سوف تزعج راحة الناس وتقلق بهم.'

تدخل الرجل مقاطعًا الكلام، 'وما الخطأ فى هذه الاشتراكية؟' وهنا ضحكت استلا.

'إنه يسأل، ما الخطأ فى هذه الاشتراكية. ماهو الخطأ الذى فيها بحق وحقيقة!'

قال الرجل بهدوء شديد: 'ربما تعرف أنت أشياء لايعرفها نحن.'

قال رجل الحزب. 'هذا إزعاج.' ثم تبع هذه العبارة بضحكة عابرة. 'الاشتراكية ليست أمرًا ممكنًا هنا.'

'لكن أليست هذه الاشتراكية هى ذلك الذى تقولون عنه إنكم تؤمنون به.'

انفجر كومسون ضاحكًا. 'الرجل العجوز نفسه لايتق بذلك. ولكن الناس إن مارأوا إنسانًا يفعل شيئًا من أجل المضى قدمًا، يغارون ويطلقون عليه الشعارات المضادة.'

قالت استلا وهى مستاءة: ' هذا لمجرد أن الناس يغارون.'

تتحننت المرأة العجوز. يبدو أن المحادثة أربكتها إرباكًا تامًا. تساءلت المرأة معتذرة، 'هل نتحدث عن القارب؟'

قال كومسون: 'نعم. ولناخذ مسألة تجارة القوارب تلك على سبيل المثال. هذه المسألة تحقق الكثير من المال، ولكن ابدأ عمل أى شيء ، وعندها يبدأ الحمقى

فى توجيـه الشعارات المضادة إليك.‘ كانت هناك عاطفة معينة وراء الكلام الذى يقوله عندئذ، كما أن حبات العرق التى كانت تتجمع على جبهته كانت توحى بأنه غضبان.

تساءلت المرأة العجوز وهى متألـمة، ‘إنن، لن يسمحوا لك بشراء القوارب‘ أجابها كومسون، ‘هذا أمر صعب جدًا. هذا أمر صعب ولكن سنحاول تدبير أمورنا.’

صمتت المرأة العجوز برهة، محاولة البت فى طرح أو عدم طرح السؤال، ثم قالت: ‘كم ثمن القارب الواحد؟’

تبادل كومسون هو وزوجته النظرات. وفى النهاية كشر كومسون جيبه ثم قال: ‘القوارب الصغيرة جدًا الواحد منها يكلف اثنى عشر ألف جنيه.’

صاحت المرأة العجوز وهى تمسك بطنها، إى، ولكن هذه نقود حقيقية.

قالت استلا: ‘لقد قلبتها أنت بنفسك.’ قالت استلا هذه العبارة بصوت لم يكن هو صوتها المعتاد.

‘هذه آلاف مؤلفة!’

قال كومسون ‘نعم: ولكن النقود ليست هى الشىء الصعب.أولا وقبل كل شىء، البنك التجارى ملك لنا، ونستطيع أن نفعل أى شىء.’

قالت العجوز وهى تومئ برأسها ‘م م م م’

‘ولكنهم يقولون:إننا وزراء اشتراكيون، وعليه ينبغى أن لانفعل مثل هذه الأشياء.’

قفزت المرأة إلى أعلى علامة للقلق والاستياء. ‘أهذا هو حال الوزراء، ألا يأكل الوزراء أيضًا؟ إنها حماقة، حماقة ليس إلا.’

تساءلت أويو، 'إن فأنتم غير مسموح لكم بامتلاك هذه الأشياء؟'
ارتفع صوت استلا إلى حدته المعتاده، 'لا تلتق لذلك بالأهمل تعلم، أن هؤلاء أولئك الذين يصيحون، يمتلكون أشياء، أشياء كثيرة!'
نظر كومسون إلى زوجته نظرة تحذير، كما لو كان يقول لها: إنها سئمت تتكلم في أمور لا يصح الكلام فيها، ولكنه هو نفسه أردف قائلاً: 'حسنًا، هذه الأشياء ليست بأسمائهم، بطبيعة الحال.'
أردفت استلا قائلة: 'إنهم لا يستطيعون حتى استعمال أسماء زوجاتهم. يقولون: إن ذلك يفسد اسم الحزب ويسئ إليه.'
قالت المرأة العجوز: 'هذه حماقة! حماقة بمعنى الكلمة!'
تساءلت أويو، 'مالذي يمكن عمله؟' تلى ذلك صمت طويل، وراح يبتسم فيما بينه وبين نفسه. وهنا خرج كومسون عن صمته. قال كومسون بطريقة طفولية: 'إذا ما استطعنا بطبيعته الحال العثور على شخص يعيرنا اسمه، وعندها يمكن أن تصبح العملية مشاركة. وهنا انطلقت ضحكة أخرى توحى بالتوتر والعصبية.
قالت العجوز وهي متشككة: 'آها، نستطيع التحدث عن ذلك الأمر.'
قال كومسون: 'إذا أردت الدخول في الموضوع، فسوف نبحث هذا الأمر.'
قالت المرأة العجوز: 'نعم، سنبحث هذا الأمر.'
قال كومسون: 'الأمر لا يعدو أن يكون توقيعا لبعض الأوراق، ومعرفة ذلك الذي يمكن عمله، وهذا هو كل ما في الأمر.'
جلس الرجل يحملق في جماعة صغيرة في منتصف الغرفة. كان الرجل يعزف إيقاعًا بلاضوضاء على طاولته.

تساءل الرجل، 'ولكن، هل سيحقق ذلك شيئاً من الراحة؟' يبدو أن السؤال كن مفاجأة لكل الحاضرين، ولكن بعد طرح السؤال ، بقى معلقاً فى الهواء ولم ينتهى . وهنا اعتدل كومسون فى كرسيه.

قطب كومسون جبينه وقال: 'حسن، يقال إن القارب الواحد من تلك القوارب يمكن أن يحقق ربخاً صافياً مقداره ألف جنيه فى العام الواحد.'

تساءل الرجل، 'كيف، يكون الربح صافياً؟' كانت المرأة العجوز تطيل النظر إليه، وتغمز بعينيها غمزاً سريعاً يوحى بالغضب، ولكنه تجاهلها.

قال كومسون: 'أقصد بعد الصيانة ودفع أجر الطاقم وما إلى ذلك من الأشياء الأخرى.'

'ليست كلفة القارب كلها؟'

'أوه لا، كيف يمكن ذلك؟'

لقد فهمت، لقد فهمت. وضع الرجل إبهامه الأيمن على أنفه وضغط عليه بعض الشيء، وعلى نحو يجعل الصوت عند خروجه من الأنف يمر من خلال ذلك الاختناق. 'لقد فهمت، هذا يعنى أنكم فى هذا الحال سوف تستمرون اثنى عشر عاماً قبل أن تتمكنوا من تحقيق الأرباح الكافية لسداد ثمن القارب.' أبقى الرجل على إبهامه وهو يضغط به على أنفه.

بدأت المرأة العجوز تقول: 'ظننت... ولكن فى منتصف حديثها يبدو أن شيئاً ما خطر ببالها، وتوقفت عن الكلام وفتحت فمها، وكان وجهها يوحى بكبر السن تماماً.

جاء صوت زوجة كومسون العالى وهى تقول: 'الذى بهم هو توفير كمية كبيرة من السمك للطعام. أنت تعرفين أن السمك غالى تماماً فى هذه الأيام.'

بدا على كومسون أنه لم يكن يستطيع إبعاد عينيه عن النظر إلى ساعته، وعندما وقعت عيناه على عيني زوجته قال: 'إستي Estie ، مارأيك؟'

قالت زوجته، وهي تنهض واقفة: 'يتعين علينا أن نترككم الآن.' بدت الحيرة التامة على السيدة العجوز، ثم وقفت هي الأخرى، وصافحت إستلا.

'لكن، متى سنراكم، حتى ننهي مسألة الأوراق والأشياء الأخرى؟'

'أوه نعم، يا إستي، متى سنكون أحراراً؟'

'أنت تعلم أنك مشغول دائماً مع أصدقائك. آه، قد يكون ذلك يوم السبت.'

قالت المرأة العجوز: 'تقول، يوم السبت.'

'لكن يتعين عليك الحضور قبل الساعة السادسة. لأن جو Joe عنده موعد مع بعض الأصدقاء في نادي أتلانتك كابريس، بعد الساعة السادسة مباشرة.'

قالت المرأة العجوز، وهي تفتعل ابتسامة حزينة: 'السبت، قبل الساعة السادسة.' وهنا صافحت عائلة كومسون الموجودين في المكان للمرة الثانية.

قالت إستلا وهي تبتسم ابتسامة الملكة: 'سوف نستعد لكم.' خرجت الجماعة في الليل. ومشى الرجل خلف الجميع دون أن يقول أى شيء.

في الخارج كان السائق لايزال منكفئاً على عجلة القيادة. وهروباً من البرد، كان السائق قد أغلق نوافذ السيارة الزجاجية، الأمر الذي صعّب على كومسون مسألة إيقاظ السائق من نومه. كانت إستلا تطرق زجاج النافذة وهي غاضبة. استيقظ السائق، واعتذر عما فعل ونزل من السيارة ليفتح الباب لرجل الحزب هو وزوجته. ولوح الرجل، هو وزوجته وحماته بأيديهم إشارة الوداع لكومسون وزوجته، وشقت السيارة طريقها في جوف الليل مخلفة وراءها شيئاً من النور الأحمر الذي كان يخترق الظلام الذي كان يطوق الجميع.

تتهبت العجوز تتهيدة طويلة بعد أن عادت مجموعة الأسرة الصغيرة إلى داخل الصالة.

'أها، لقد أبلى كومسون بلاءً حسنًا، وهذا ماينبغي علينا قوله. لقد أبلى بلاءً حسنًا فيما يتعلق بنفسه هو شخصيًا، وفيما يتصل بأسرته أيضًا.' لم يقل الرجل أوزوجته أى شيء تعليقًا على مآلته العجوز.

قالت: 'نحن فى ساعة متأخرة الآن.'

قالت: العجوز: 'نعم' هذا صحيح. سأصرف الآن.'

قالت أويو: 'سأرافقكم حتى ولو لمسافة قصيرة من الطريق.'

كانت المرأة العجوز بين الحين والآخر تتهدد وكأنها تنفس عن أشياء كانت تضيق صدرها، وتلح على الخروج منه. خرج الرجل إلى الشرفة الخارجية بصحبتهم. تكلمت المرأة العجوز فى نهاية الأمر وقالت: 'لابد أن أقول، لابد أن هناك رجالاً فى غانا يعرفون جيدًا كيف يهتمون بأنفسهم تمامًا.' تمالك الرجل نفسه، ومع ذلك تواصلت مهمات الاستياء فى انطلاقها من فم المرأة العجوز، 'رجال يستطيعون عمل أشياء كثيرة، كما يتحملون أعباء الآخرين أيضًا.'

ضحك الرجل ضحكة ناعمة ثم قال: 'نعم، سوف نعمل فى تجارة السمك.' وهنا بصقت العجوز على الأرض. 'أنت ربما سيكون لديك قارب خلال اثنى عشر عامًا.' وهنا جذبت الزوجة زوجها من ذراعه، ولم يقل أى شيء بعد ذلك.

غمغمت المرأة العجوز قائلة: 'هذه حماقة، حماقة لامثيل لها. استدار الرجل إلى الخلف. وسرت تحية تصبحون على خير فى جوف الليل بلا رد عليها، وخطر بباله أنه استمع إلى شيء عن الرجال الذين لا فائدة منهم أوجدوى لهم.'

الفصل الحادى عشر

كان بإمكان الرجل إيقاف أول سيارة يصادفها من سيارات الأجرة، ولكن زوجته قالت إنه لغباء وحماقة أن يدفع الإنسان أجرة كبيرة ولا يتمتع بالجلوس فى سيارة محترمة. ولذلك بقى الرجل واقفاً على جانب الطريق مع زوجته إلى أن تظهر سيارة ترضى عنها المرأة.

قالت: هذه السيارة؛ أشار الرجل لسائق السيارة. كانت السيارة جديدة تماماً، وعندما ركبا داخلها، بدأت تتحرك، سأل الرجل السائق عن السيارة.

قال السائق: 'يقولون إنها سيارة من طراز تويوتا، إنها سيارة يابانية.'

قال الرجل: 'لقد أبلى اليابانيون بلاءً حسناً.'

رد سائق التاكسى: 'لقد قلتها بنفسك، يا أخ. بالشكل الذى عليه الحال حالياً، يبدو أن الناس كلهم فيما عدانا نحن يفعلون أشياء. نحن الأفارقة لا نشترى سوى الأشياء الغالية والأشياء المكلفة.'

لم يكمل الرجل المحادثة. لم يكن لديه مايقوله عن هذا الأمر. يضاف إلى ذلك، أنه استشعر أن زوجته اغتاظت بسبب ألفة السائق غير الطبيعة، أحست وكان تبسط السائق مع زوجها فى الكلام قد أخذ منه شيئاً مهماً.

سار السائق فى الطريق بسرعة نسيم فترة العصر، واتضح أنه كان يعرف المكان الذى كان الرجل وزوجته يقصدانه. ولم يسأل السائق عن المكان الذى يريدانه إلا بعد أن أصبح فوق الجسر العابر للبحيرة.

قالت أويو: 'اتجه إلى المنطقة السكنية العالية، أيها السائق. اتجه إلى أعلى التلال الواقعة خلف عقارات Aba Estates أبا إيز كافو Esikfo.'

‘نعم بياعمتاه.’

كانت أويو قد انحنت إلى الإمام كي تصدر أوامرها إلى السائق. كانت كلمات ‘المنطقة السكنية العالية’ و‘عقارات أبا إيزكافو’ قد خرجت من فمها متراقصة، وعرف الرجل أنها كانت تتدبر تلك الكلمات قبل أن يسأل السائق عن المكان المطلوب الوصول إليه، وكانت تراعى جرس الكلام، وتتدبر الطريقة التي ستقوله بمقتضاها. ومن هنا، تكون قد ردت على سؤال السائق، بطريقة أولئك الذين يودون إيهام الغير أنهم أيضا يعيشون في المناطق التي من هذا القبيل. كان السائق هو الآخر قد بدأ يتحدث إليها كما لو كان قد عرف قدرها. أولاً وقبل كل شيء، لم يكن الناس كلهم لهم أماكن يقيمون فيها في المنطقة السكنية العالية. الذين يعيشون تلك المنطقة السكنية هم السكان البيض، والمحامين كبار السن، ثم بعد ذلك كبار رجال الحزب ثم أخيراً قلة قليلة من الموظفين الحكوميين. المؤكد أن الحمقى لا يمكن أن يفكروا أو يخطر ببالهم أن يركب الواحد منهم سيارة أجرة ويقول لسائقها إنه يود الذهاب إلى تلك المنطقة. وسرعان ما بدأت أويو تلاحظ الإعجاب والاحترام الجديدين اللذان بدءا يظهران في كلام السائق. وهنا اضطجعت أويو على الكرسي التي كانت تجلس عليه واسترخت وهي راضية.

الانتقال بالتاكسي، ولو لمسافة قصيرة، كان له تأثير كبير على نفسية أويو. فيما مضى كان ذلك مصدر إزعاج للرجل، وكان ينظر إليه باعتباره مرضاً من الأمراض، هذا الشيء عالق بنفسية أويو منذ طفولتها ولم تتخلص منه. من عادة أويو أن تجلس في القطار، وفي الحافلة، أوفى التاكسي، مثلما هي عليه الآن، وتتصرف بالطريقة نفسها التي تتصرف بها حالياً، إلى حد أن من يراها للمرة الأولى يظن أن هذه هي حياتها، وبخاصة في طريقة ركوبها للتاكسي والتحدث إليها كما لو كانت امرأة عظيمة. ثم تبدأ بعد ذلك في الكلام عن الأشياء القليلة العظيمة التي وقعت لها طول حياتها، كما تتكلم أيضاً عن بعض الأشياء التي لم تحدث لها في حياتها، بل إنها كانت تتكلم أيضاً عن أشياء لم تحدث لها بعد، وتروح

تتكلم عن كل هذه الأشياء كما لو كانت هي الأشياء التي حدثت لها في حياتها، خيط طويل من الأحداث الخرافية. كانت أويو، عندما تكون راكبه في قطار أو حافلة، تروح تتحدث بصورة أو بأخرى عن أقارب لها في أيديهم السلطة والمال. كان الرجل قد تحدث إلى صديقه المعلم، Teacher، عن ذلك الأمر، ولكن ذلك الصديق كان يضحك ويقول: إن أويو ليست الوحيدة التي تفعل هذا الشيء؛ وكان يقول أيضاً: الدنيا كلها تميل إلى التظاهر والاستعراض، كما يتظاهرون أيضاً بأن أحلامهم تحولت إلى حقائق في بعض الأماكن المختارة أو المنتقاة. كان الرجل ما يزال لم يتعود بعد على ذلك الأمر، في حياة زوجته. هاهي جالسة في الجزء الخلفي من سيارة الأجرة كما لو كانت تمتلك دزيتين من هذه السيارات. وهاهي بدأت توجه الكلام الوجهه التي تشدها هي وتود الحديث عنها. أغلق الرجل عينيه، متظاهراً بالنوم. لعله يتجنب الاستعراض والتظاهر. ولكن المرأة حولت تمتمتها الصغيرة إلى ضحكة كبيرة، ولم يعد بوسع الرجل التلاعب بالتظاهر بالنوم. ولذلك فتح الرجل إحدى عينيه، وهنا انتهزت زوجته هذه الفرصة.

’ الكياسة شيء لطيف.‘ قالت هذه العبارة وكان كل مقطع منها محمل بمرح مصطنع.

’نعم.‘ قد يكون من الممكن وقف أي نوع من أنواع الاستعراض أو المباهاة بشكل من أشكال الموافقة، أشكال الموافقة القادرة على وقف أي شكل من أشكال الحديث. ولكن أويو كانت لا تزال مصرة على الحديث.

واصلت أويو حديثها بلا رحمة أو هوادة وقالت: ’آها، الكياسة يا ابن العم. هل أطلعت على البطاقة البريدية التي أرسلت لي من لندن مؤخراً؟‘
’نعم، لقد أريبتني إياها منذ شهر مضت.‘

كانت هناك ومضة غضب في عيون المرأة. وقعت عينا الرجل على عين السائق من خلال المرأة الخلفية، كانت عينا الرجل مسحورتين أو مبهورتين.

قالت أويو: 'لا! أنا لم أكن أتكلم عن تلك البطاقة البريدية التي أشرت أنت إليها؛ لأن هذه البطاقة أرسلت إلى عندما كنت في بروكسل. ألا تذكر ذلك؟'

أغلق الرجل عينيه وقال: 'لا؛ وهو بهذه الطريقة يمكنه تحاشي نظرة الاتهام التي كانت توجهها إليه زوجته. وبدا على المرأة وكأنها قبلت الهزيمة بصورة مؤقتة. وكانت السعادة والبشر قد اختفيا تمامًا من نبرة صوتها.

وهنا مرت عليهم لافتة، مصنوعة من بعض الألواح الرقيقة العمودية، وكانت تحمل نقشاً هو عقارات أبا Aba إيزيكافو Esikafo. ودارت سيارة الأجرة دورتها فيما بين صفوف المباني المتماثلة التي تفصل بينها شوارع ضيقة وغير مستقيمة، وكان كل مبنى عبارة أدوار كل منها عبارة عن شقة سكنية واحدة، وملحق بكل مبنى مساكن للخدم، ومن خلال عينيه شبه المفتوحتين، دار بخلده أنه سيرى زوجته وهي تتحسر وتعض شفتها السفلى وهي تراقب المنازل أثناء المرور عليها. أغلق الرجل عينيه تمامًا.

قال السائق: 'لقد وصلنا إلى المكان المطلوب.'

فتح الرجل عينيه في الوقت المناسب ليرى يافطة أخرى مكتوب عليها: المنطقة السكنية العليا. كانت تلك لافتة صغيرة، وكانت الحروف أنيقة ومرتبطة ترتيباً جيداً. خفف السائق من سرعة السيارة، وتردد عن مفترق من مفترقات الطريق. طلب الرجل من السائق مواصلة السير، وعندما بدأت المنازل الكبيرة بأشجارها المميزة تقترب ثم تختفي خلف السيارة، كان السائق يطلب المزيد من المعلومات عند كل منعطف من المنعطفات، بل إنه بدأ يسأل بعض الأسئلة الأخرى من تلقاء نفسه.

تساءل السائق، 'ما الذي يعنيه ذلك الاسم؟' سأله الرجل، 'أى اسم تقصد؟'

قال السائق وهو يضحك: 'اسم هذا المكان . ' ثم أردف قائلاً: 'أنا لم أتمكن مطلقاً من نطق هذا الاسم نطقاً صحيحاً . أنا لم استمر في الدراسة فترة طويلة كما تعلمون .'

'أوه، المنطقة السكنية؟'

'نعم .'

قلب الرجل الاسم في ذهنه، وهو يحاول العثور على تفسير خال من الغباء والحماسة. ' هذا معناه مكان يعيش الناس فيه .'

استدار السائق نصف دوره ثم نظر إلى الرجل نظره سريعة تترواح بين الضحك وعدم التصديق . غمغم السائق . ثم تساءل: ' ماذا تعنيان بذلك يا خلق الله؟'

'اللافتة تفون: مكان يقيم فيه الناس، المخلوقات الأدمية، منازلهم .'

ضحك الرجل وقال: ' يارجل، لاتسألنى . ' كانت السيارة تقترب من منزل كومسون، وطلب من السائق الوقوف أمام المنزل . دفع الأجرة وساعد زوجته في النزول من السيارة، بعد ذلك وعندما اختفت السيارة الأجرة دخل الاثنان من البوابة المشكلة خلال الجدار المبنى من الأسمنت . توقف الرجل بالقرب من البوابة حتى تتمكن زوجته من النظر إلى حديد البوابه المشغول، مواسير مشكلة على شكل شمس وهى تشرق، ومدهونة باللون الأزرق واللون الذهبى . أطالت النظر إلى البوابة باهتمام امرأة تفكر فى أن يكون بها شىء من هذا القبيل عندما تسمح الظروف بذلك . فى حين كان الرجل ينظر إلى بعيد ولا يدور بخلده أى شىء .

سألت المرأة زوجها وهما يسيران فى اتجاه المنزل ، ' لماذا تحول بينى وبين الحديث معك؟'

سألها الرجل، ' ما الذى تتكلمين عنه؟'

'أنت تعرف ذلك الذى أقصده .'

‘تقصدين التاكسى؟’

قالت زوجته: ‘نعم، أقصد عندما كنا فى التاكسى . لماذا تفعل ذلك بصورة دائمة؟’

‘أويو، أنت تتذكرين أشياء أنا لا أتذكرها، هذا هو كل ما فى الأمر.’ ‘أحدثت المرأة صوتاً يوحى بالغضب والإحباط التام، كما لو كانت تحاول احتواء غضبها ولكنها كانت تعرف أن ذلك أمراً مستحيلاً. عبر الاثنان الحديقة الواسعة الموجودة أمام المنزل وهما صامتان تماماً. كان هناك على الجانب البعيد بستانى فارغ الطول ومخيف جداً، إلى حد أنه كان ينحنى مثل عود من القصب؛ كان ذلك البستانى يسقى مساحة مزروعة بالحشائش الكثيفة الناعمة. كان وجه ذلك البستانى مزين بمجموعة من الشلوخ، وكان يغنى بصوت خفيض وهادئ، اللهم باستثناء صرخة حادة بين الحين والآخر، كانت تتبعث من خلال الأغنية. وعند ركن من أركان المنزل كانت هناك فتاة ترتدى لباساً من الجينز الأزرق وقميصاً لونه يميل إلى الصفرة، اتجهت نحوهما وهى راكبة السيارة، وكانت على وشك أن تصدمهما، ولكنها توقفت.

تكلمت الفتاة بلغة انجليزية كنتك التى يتكلمها لأطفال البيض، ‘من أنتما؟’ سألت هذا السؤال بلا خوف، وبنظرة مباشرة لاتصدر إلا عن طفل أبيض.

رد عليها الرجل قائلاً: ‘نحن نبحث عن والدك؟’

قالت البنت: ‘والدى فى الدور العلوى، وسرعان ما عادت إلى عالمها الخاص، أدارت محرك سيارتها وإختفت فى الاتجاه نفسه الذى جاءت منه.

فتحت الخادمة لباب ، كانت الخادمة فى السادسة عشر من عمرها، كانت طيبة المحيا، لكن جسمها كان هزياً وكانت تتمالك نفسها وتبتسم ابتسامة توحى بالخجل، كما لو كانت تحاول الاختفاء من أمامهما.

كان الاثنان على انفراد، وراحا يستوعبان منظر الغرفة التي كانا فيها، ولم يفعل أحدهما للآخر شيئاً. كان الرجل ينظر متعجباً من الأشياء الموجودة في الغرفة. كان الرجل يتحاشى أن تقع عيناه على عيني زوجته، ولكنه بين الحين والآخر تأكد له أنه عينيها كانتا توحيان بالرغبة في الامتلاك. لم يكن في وضع يسمح له بلومها على ما تفعل. كانت في المكان أشياء تجذب أنظار الفضوليين والمتطلعين، وتجعلهم يقفون على قوة وسلطه مالك أو صاحب هذه الأشياء. الأشياء التي هنا من الأشياء الدقيقة المكلفة. كان من المستحيل عدم ملاحظة الطفايات الخاصة بالسجائر على سبيل المثال، نظراً لأن تلك الطفايات لم تكن مجرد أشياء للاستعمال فقط، وإنما هي أشياء جميلة تستحوذ على إعجاب الآخرين بما في ذلك الراضين أيضاً. كيف يمكن أن يكون حال الإنسان بين مثل هذه الأشياء، التي يقاومها العقل؟ لم تكن الأشياء بحد ذاتها هي سبب كل ذلك، وإنما طريقة الوصول إلى هذه الأشياء، هي التي تسببت في ذلك الارتباك الروحي. وكل واحد يعرف أن الفرص التي تجعله يعثر على طريق لم يصبه العفن منذ البداية، هي فرص ضئيلة جداً. كثيرون وجدوا أن من المناسب لهم سلوك الطرق العفنة، وواقع الأمر أن أي مخلوق لم يجرؤ على أن يفتح فمه بكلمه يقولها ضد هؤلاء الناس. كثيرون ارتادوا الطرق العفنة ووجدوها مليئة بملذات الحياة. البقية كانت تنتظر حلول الدور عليها، كانوا ينتظرون ولو مجرد فتحة صغيرة في الطرق القديمة نفسها. وحتى أولئك الذين بدعوا بشيء من الطهارة في أشخاصهم، أصبحوا في النهاية مستعدين للإقلاع عن تلك الطهارة والتنازل عنها ثم المضي قدماً فيما هم فيه. ظن الناس أن تلك تلك الطهارة لافائدة منها ولاطائل من ورائها، وأن المهم هي نواتهم. ولكن هذا الصنف من الرجال استطاعوا أن يشقوا طريقهم متجهين صوب الأساليب العفنة الحلوة في نظرهم.

من أجل الأطفال.

هذه العبارة قفزت إلى الذهن ، كي تذكر صاحبها بالمحادثة القديمة مع أناس وصلوا في النهاية إلى آخر مقاومتهم. من أجل الأطفال. لو افترضنا أن بيدي أمكنها

الحصول على ملابس جميلة تأتي عبر البحار من أماكن بعيدة، على بعد آلاف الأميال، ولو افترضنا أيضا أن أدولي Adoley يمكن أن يكون لديها سيارة تدور بها هنا وهناك، كي تشغل ذهنها طوال فترة نموها، فما الذي يمكن أن يعرفانه عن الأساليب العفنة يوم أن كان الوالدان على قيد الحياة؟ ما الذي يمكن أن يهتمان به؟ ما الذي يمكن أن يهتم به أي إنسان كائنًا من كان؟

من أجل الأطفال الصغار.

في نهاية المطاف، هل فعلوا من أجل الأطفال شيئًا يمكن اعتباره جريمة من الجرائم؟ هل فعلوا أي شيء يمكن أن يبرر إدانتهم إلى حد الإيلام، في زمن كان المطلوب فيه هو مجرد التضحية بشيء يمكن أن يتحول في النهاية إلى مجرد شيء طفيف جدًا من الحياة؟ قبل كل شيء، يقبل الناس لكل هذه الأشياء كان من منطلق معرفة ماهية الحياة ذاتها. أليس هناك مثل يقول إن الثمرة الخضراء صحيحة، ولكنها صحية فقط لذاتها الوجيزة أو القصيرة؟ وأن الحياة على اختلاف صورها تنبعث من بذور تتغذى على عفنها الذاتي؟ ترى ماذا كانت تلك الثمرة التي رفضت أن تخسر حامضها واخضرارها؟ كيف كان حجم تلك الثمرة التي استطاعت أن ترى نهاية حياتها في الكفاح ضد الحلاوة والفساد؟

كمية الإضاءة التي كانت في هذا المكان كانت مذهشة بحق. كانت الإضاءة تضيء بريقًا على كل شيء في الغرفة. كان هناك بالقرب من كل منفضة من منافض السجائر شينان لامعان: صندوق من الفضة ومسدس صغير يشبه اللعبة. تعجب الرجل من أسباب وجود المسدسات في هذه الغرفة. كان الضوء ينبعث قادمًا من قمم الطاولات الصغيرة الموضوعة في الأركان والجوانب. تعجب الناس من ذلك الذي يطلقون عليه المؤسسة الرسمية لأعمال الرخام. لم يكن هناك داع لذلك التعجب والاندعاش. إذا كانت هناك استعمالات لذلك الرخام.

كانت الغرفة بمثابة النصف فقط من مساحة أكبر منها. على يمين الباب كان يوجد ذلك الذى يسمونه غرفة الطعام، بالرغم من أن الرجل عندما كان يستدير فى كرسيه لينظر إلى سائر أنحاء الغرفة، كانت عيناه تقعان على رفوف مغطاة بالزجاج وعليها مجموعة هائلة من من الأطباق والأكواب اللامعة. أما غرفة الجلوس فكانت فى مكان بعيد، ولها إطار عال جميل وملمعة تلميعًا جيدًا، وفيها أيضا رفوف من فوقها أشياء دقيقة وجميلة لا بد أن تكون قد جلبت من بلاد أجنبية، بالرغم من أن الرجل لم يكن يعرف فائدة أى من تلك الأشياء. وعن يسار الرجل كان هناك واحد من أجهزة التلفزيون الحديثة، وفى ركن من أركان الغرفة كان هناك دولابان كان الجزء الخارجى منهما من الخشب اللامع. تعرف الرجل على واحد من هذين الدولابين واتضح له أنه جهاز راديو بالرغم من كبر حجمه بشكل غير عادى . وشق على الرجل التعرف على الدولاب الثانى. ورأى الرجل أيضا خمسة كراسى عميقة طرية، من فوقها حشيات حمراء اللون، كما كانت هناك سجادة فوق الأرض المعزولة. كما كانت فى الغرفة أيضا أريكتان ، كانت زوجته جالسة على واحدة منهما.

عندما وقعت عينا الرجل على عيني زوجته، رآها تنتظر إليه كما لو كانت تنتظر منذ مدة تهيؤ الفرصة التى تتيح لها قول شيء له.

قالت "كان يمكن أن تكون أمى بصحبتنا." ولكن الرجل لم يعلق على ذلك ، وواصلت كلامها،

' كان يمكن لأمك أن تكون معنا، لو أنها لم تخف من استهزائك بها.'

'أنا أعجب من منا هو الذى فى وضع يسمح له بالسخرية من الآخر فترة أطول.'

قالت: 'أنا أغضب عندما أراك تسخر منها.'

قال: 'أويو ، إذا كنت تودين الشجار، فحاولى ذلك مع شخص غيرى.'

قالت: 'القارب مسألة مهمة بالنسبة لها. يبدو أنك غير مدرك لذلك.'

'أوه، أنا أفهم ذلك جيدًا.'

'إذن ، لماذا تسخر منها؟'

قال:،أعتقد أنها هي التي تسبب ذلك ، هذا هو كل مافى الأمر. وأنت معها
أيضًا.'

تساءلت، 'ليس هناك ما يدعو إلى أن تعرب عن سعادتك بهذا الموضوع،
أليس كذلك؟'

'أنتما الاثنان سعيدتان، ما الذى يجعلنى أنا أصيح وأصرخ؟' بدا على المرأة
وكانها تود أن تقول شيئًا مزعجًا بحق، ولكن انطلق صوت قادمًا من الخلف من
أعلى السلم.

قال كومسون: 'كنا فى غفوة طويلة. ليلة أمس كانت ليلة كلها عمل، إذ تعين
علينا زيارة ثلاثة نوادى ليلية.' كان الرجل مرتديًا ملابس نومه، التى كانت عبارة
عن شيء لامع، ولم يكن قد لف نفسه تمامًا فى ذلك اللباس.

ابتسمت أويو وقالت: ' مساء الخير، سيادة الوزير.'

'مساء النور.' قالها كومسون وهو يستشعر قيمته. وفى اللحظة نفسها نادى
كومسون قائلاً: أتتجا Atinga! ' كانت تلك صيحة غريبة، تلك الصيحة التى
يأتيها البيض عندما يحاولون نطق اسم من الأسماء الإفريقية، عندما لا يودون نطق
الاسم كاملاً أو نطقًا صحيحًا، ويجدون فى ذلك شيئًا من الاستعلاء نتيجة عجزهم
هذا. وجاء الرد على تلك الصيحة على شكل 'صاه! Sah' وبصوت مرتفع أيضًا.
جاء ذلك الرد من مكان مافى الخلف، وفى الحال ظهر رجل قصير ونحيف، فى
الخمسين من العمر، ووقف عند الباب الخلفى، انتظرًا لأوامر سيده. كان الرجل
يلبس قميصًا أبيضًا وبنطالًا مزين بشرائط حمراء على الجانبين. ودون أن ينظر

كومسون إلى رئيس الخدم، اتجه ناحية الراديو الكبير الموجود في الـركن وشغل جهاز الاستقبال. واهتز الهواء بفعل صوت يشبه الرعد، وراح كومسون يخفض من صوت المذياع.

قال: 'ليس هناك أجهزه تتفوق على الأجهزة الألمانية.'

قال الرجل وهو يشير إلى رئيس الخدم: 'هناك شخص ينتظر عند الباب.'

قال كومسون، وهو مايزال يلعب في الصوت الناتج عن المذياع الكبير: 'إنه الصبي، رئيس الخدم. على فكرة، ماذا تحبون أن تـشربوا؟'
'أى شىء يكفى.'

قال كومسون: 'يجب أن تختاروا. عندنا ويسكى هورس، وعندنا أيضاً ويسكى من ماركة بلاك أند هوايت، ومن ماركة سيجرام، وجلبى دراى....'
كرر الرجل كلامه، 'أى شىء يكفى.'

قال كومسون: 'حسن، سوف أترك لكم الخيار. أحضر عربية المشروبات يا أتجا، وضع عليها مشروبات متنوعة. وضع عليها ثلجاً أيضاً، احضر أربعة كئوس.'

'حاضر' قالها أتينجا وهو ينسحب من أمام الباب.

قال كومسون: 'ستنزل إستاى حالاً.' ثم نادى مرة ثانية ولكن فى هذه المرة حل الصوت الناعم العميق الخفيض الذى يدل على الحياة المرفهة، محل الأصوات الملحة التى لامعنى لها. وهنا دخل النادل ومعه كل القوارير المطلوبة وكل الثلج المطلوب، ومعه الكئوس أيضاً، وكان ذلك كله محملاً فوق عربية المشروبات، التى كان يدفعها أمامه بحركات تتم عن التقم والتوقير، ثم قدم للرجل هو وزوجته شيئاً من الويسكى : نزلت حرم كومسون قادمة من فوق السلم، وكانت ترتدى فستاناً يبدو أنه كان يعكس كل حبات الضوء، لترتد ثانية إلى عين الناظر إليه. وهى مثل

زوجها، لم تشرب . وجلست واثقة بنفسها فى كرسيها، ولم تكن تفعل شيئاً سوى تحريك باروكة الشعر من الأمام إلى الخلف بحركات طويلة، وبطيئة ومدروسة جداً.

تساءلت أويو وهى تشير بيدها، 'أهذه هى غرفة الطعام؟'

قالت إستلا: 'نعم، لقد حضروا من أجل الأثاث.'

'من هم أولئك الذين يتحدثون عنهم.'

'موسسة الأثاث الحكومية. إنهم يجددون الأثاث لنا. جواتق على ذلك مع

المدير.'

'لقد فهمت.' كانت هناك تساؤلات فى عيني أويو، تساؤلات ربما تكون قد نشأت عن الحقد والحسد والإعجاب، ولكنها لم تطرح الأسئلة. وعضاً عن ذلك راحت توجه الحديث وجهه أخرى. 'أنا لم أعرف أن طفلكم الأولى قد أصبحت صبية على هذا النحو. ما اسمها؟'

قالت إستلا: 'أميرة' Princess

تساءل الرجل، 'أهذا هو اسمها الحقيقى، أم أنه اسم من أسماء الدلع؟'

قالت إستلا: 'إنه اسمها.' ثم نظرت إلى الرجل نظرة احتقار واستخفاف.

قالت أويو: 'أنا كنت صديقة حميمة لشقيقتك ريجينا Regina عندما كنا

فى المدرسة.'

'هى حالياً فى لندن.'

'ماذا تفعل هناك؟'

'لقد حصلت على منحة دراسية . لقد رتب جولها هذا الأمر.'

تساءل الرجل، 'أهى فى جامعة من الجامعات، إنن؟'

قالت استلا: 'لا' إنها تتخصص في صناعة الملابس والأزياء . وهي تقول:
إنها سوف تطلق اسمي على مؤسستها عندما تعود. أزياء إستي، بالخبرة اللندنية.'
قالت أويو: 'إنها حظيظة جدًا.'

قالت استلا: 'إنها فتاة لطيفة جدًا.' قالتها بضحكة صغيرة مصطنعة. 'تقول
إنها وقعت في حب سيارة جاجوار، وأنها سوف تقتل نفسها إذا لم تحصل عليها.
وهي تود منا أن نوفر لها النقد الأجنبي المطلوب لذلك.'

قال الرجل وهو ينظر إلى كومسون: 'ظننت أن ذلك أمرًا مستحيل.'

قال كومسون: 'كل شيء يمكن أن يحدث. وهذا يعتمد على الشخص نفسه.'

'هم.' كان بوسع الرجل أن يفتح فمة من جديد ويروح يتحدث متهمًا من
الموضوع برمته، ومن أولئك الذين يحصلون على القوة والسلطة لقاء صياحهم ضد
الأشياء الأوروبية التي تستعبد الناس، والتهكم من أولئك الناس أنفسهم الذين
يستعملون القوة والسلطة نفسها من أجل الحصول على تلك الأشياء التي يقولون
إنها تستعبد الناس. كان بوسع الرجل أن يتساءل أيضًا حول ما إذا كان ذلك الصياح
قد غير من الأمر شيء، وذلك اعتبارًا من أيام الرؤساء Chiefs الذين كانوا
يبيعون رجالهم لقاء حلقات صغيرة يحصلون عليها من أوربا. ولكنه بدأ يفكر
ويعمل عقله في قوة وفعالية الحلقات الصغيرة وفائدتها، كما عمل فكره أيضًا في
تلك الرغبة الجارفة التي صاحبت تلك الحلقات الصغيرة: فكر الرجل في اشتياق
أطفاله إلى تلك الأشياء، وفكر أيضًا في إرضاء أميرة الابنه الصغيرة
لكومسون، وأثر أن لايقول شيئًا.

مشى كومسون متجهًا إلى تلك الشيء الكبير الموضوع بجوار جهاز
الراديو. رفع غطاء ذلك الشيء وضغط على شيء بداخله. ثم أوقف بعد ذلك
الموسيقى الصادرة عن المذياع.

سألت أويو، 'ماهذا؟' فى بعض الأحيان كان لدى أويو القدرة على أن تجعل من نفسها مجرد قزوية مشدوهة. وهذه بحد ذاتها ألعوبة تسر الآخرين.

ردت استلا قبل أن يقول زوجها أى شىء، هذا مسجل. أحياناً تكون الموسيقى الصادرة عن المذياع لاتمت إلى الموسيقى بصلة. وفى وجود المسجل والشريط يمكننا الاستماع إلى ذلك الذى نريده.

وهنا انتشرت الموسيقى الرخيمة فى كل أجواء الغرفة، وهنا أغمضت استلا عينيها كما لو كانت موسيقى يوم الأحد هذه قد حركتها روحياً، وراحت تتنفس بعمق. وهنا نظر كومسون إلى الأعلى وهو مقطب الجبن.

قال: 'لقد فات الموعد، سوف أحضر الأوراق.' وعاد كومسون خلال دقائق قليلة، ومعه ملف صغير فى يده.

قال: 'كنت أحسب أن السيده العجوز هى التى ستوقع.'

قالت أويو: 'لم تستطع أمى المجيء معنا. إن صحتها متوعكة.' ثم نظرت إلى الرجل نظرة فيها شىء من التحدى، وشىء من الرجاء له بالأى يعارضها. 'يمكننا التوقيع نيابة عنها.'

قال الرجل: 'أنا لأعتقد أنى أستطيع التوقيع.' وهنا حملت أويو فى الرجل وهى مندهشه ومحبطة. ولكن ذلك لم يستمر طويلاً، وكان الأمر دقيقاً جداً.

قالت أويو: 'سوف أوقع أنا.'

بعد ذلك بقى الاثنان، الرجل وزوجته، ينتظران فى صمت عودة كل من كومسون وزوجته. وبعد انتظار طويل عاد الاثنان. وركب الأربعة فى السيارة الكبيرة، وأدار السائق المحرك ثم إنطلق بالسيارة.

سأل كومسون السائق، 'هل تعرف محل إقامة كويسى Kwesi أنان Anan؟'

'نعم، أعرفه.'

'حسن. إذن اذهب بنا إلى هناك أولاً.' ثم استدار كومسون إلى أويو في مؤخرة السيارة ليشرح لها، 'كويسي أنان هذا هو كبير بحارة القارب.'

كان ذلك البحار يعيش في مكان قريب من ميناء الصيد، في غرفة واحدة في نهاية بيت طويل من البيوت المنخفضة. كانت الغرفة مظلمة تمامًا إلى حد أنه عندما خرج من الغرفة ليحضر لمقابلتنا كان يحاول تعويد عينيه على ضوء الشفق الضعيف، وكان يقول شيئًا بصوت عال، شيء يفيد أنه كان يعرب عن أسفه لأنه ليس لديه مكان يصطحب الزائرين إليه، وأن غرفته لم تكن غرفه على الإطلاق، وإنما كانت مجرد مرحاض جرى تحويله إلى غرفة.

قال كومسون: 'حيى الهانم. فهي التي سوف تقوم على أمر القارب وتتولى شئونه عندما لأكون أنا هنا. إياك ونسيان ملامح وجهها.'

أطال الشاب النظر إلى وجه أويو، ثم نظر أيضًا إلى وجه الرجل وأوما برأسه بعد ذلك علامة على الموافقة.

تساءل كومسون، 'أيها السائق، هل تعرف أين ذهبنا يوم الأحد الماضي؟'

'نعم' أعرف ذلك.'

'إذن، هيا بنا إلى هناك.'

سارت السيارة في هدوء على الطريق الساحلي. وكان مسير السيارة الناعم يختلط مع الأصوات الناعمة الصادرة عن البحر وهو يفيض متدفقًا فوق الرمال. أغلق الرجل عينيه، راحت الفكره تدور في ذهنه كما لو كانت خيطًا من الدوبارة، بأنه سوف يستحيل عليه النظر إلى تلك الأشياء المريحة ويشعر إزاءها بالإزدراء والاحتقار. سيحس بالحسد، ولكن لن يحس إزاءها بالاحتقار. وعليه، كيف يمكن للإنسان أن يقاوم الأشياء ويقاوم الأحباء الذين لم يتوقفوا قط عن تحريضه إلى أن كل ما هو عدا ذلك لا يهم، وأن الوسيلة ليست مهمة، وأن نهاية الحياة هي الحصول

على تلك الأشياء إذا كانت للذات، أو إن لم تكن للذات، إنني فهي تكون للأحباء، أو إن
سنت فقل للأطفال. كل ما هو عدا ذلك لا يهم.

الفصل الثاني عشر

واقع الأمر أن القارب لم يترك ظلاً طويلاً على النحو الذي كان الرجل يخشاه ويخافه. من حين لآخر، وفي الأيام التي يهب فيها النسيم، تصادف أن الرجل، في يوم من تلك الأيام، كان يتجول في اتجاه ميناء الصيد، وشاهد الرجل القارب طافياً فوق سطح مياه البحر الزرقاء المائلة إلى الإخضرار، وقد نقشت على مقمة القارب أحرف اسم ابنته الصغيرة: أميرة. في كل مرة، كان الرجل يرى القارب خلالها، كان جمال ذلك القارب يغلبه على أمره. وعندها كان يعود إلى المنزل وكله رغبة في التحدث مع أويو عن جمال القوارب التي كانت في الميناء؛ كان ذلك الجمال طاغياً، ولكن الرجل كان يعلم أن حديثه مع أويو عن هذا الموضوع سيسبب لها المزيد من الإحباط بدلاً من السعادة، وعليه أثار ألا يقول لها شيئاً عن مشاعره أو أفكاره.

كما أن المرأة العجوز بدا عليها بصورة متدرجة أنها أعفت نفسها من المعرفة التي مفادها أن ذلك الذي جاء به كومسون على أنه عرض عليها لم يكن ذلك القوس من أقواس قزح، الذي يمكن أن ينهى وإلى الأبد الظلام الذي خيم على حياتها وعلى حياة ابنتها. هذا الفهم، لم يمه بالفضل المرارة التي كانت تحسها تجاه الرجل. لقد عمق ذلك الفهم تلك المرارة، الأمر الذي جعل هذه المرأة العجوز لا تشك ولو للحظة واحدة أن الرجل كان يتمنى لها الإحباط وخيبة الأمل. كان الرجل، من ناحية، مقتنعاً بأن يلاحظ من جديد الكراهية التي طرأت على تلك المسكينة عندما كان يأتيهم نداء يطلب إليهم رفض الأقوياء. وهنا ظهر أن آمال أويو القديمة كانت على وشك الظهور مرة ثانية، ولكن بطريقة مذبذبة ويرثى لها. ولكن تلك الآمال ماتت هي الأخرى ولم يتخلف عنها سوى رماد. والذي حدث هو أن كومسون كان من حين لآخر، يتذكر أولئك الذين كان يفترض أنهم عيون وآذان العالم الذي يصيح، أولئك الذين هم ملائكة قاربه، ويرسل لهم واحداً من سائقيه ومعه شيء من السمك لوالدة أويو أو حتى لأويو

نفسها. وحتى مع المعرفة التي أصابوها، كانت المرأتان ممنونتين للهدايا التي من هذا القبيل، إمتاناً طفولياً مشوباً بآمال و رغبات غير واقعية.

عاد الرجل إلى منزله قائماً من عمله وهو متعب وتعبس : قدمت له أويو عشاء مكون من السمك والكنكى، وبدأ الرجل تناول عشاءه بشهية مفتوحة. ولكن فجأة، كما لو كانت أويو تحركت بفعل شيء ما، لم تستطع المقاومة، وبالتالي قالت للرجل: ' هذا السمك جاء مباشرة من قارب كومسون.'

لم يخطر ببال الرجل أى شيء حتى يقوله. كان هناك شيء ما يحيط بالكلام الذى كان يملأ الإثنين بتوتر أكيد. وراح الرجل يلوك قطعة السمك فى فمه مرة بعد أخرى إلى أن ضاع المذاق تماماً.

' أولاً وقبل كل شيء ،لم يكن الأمر على ما هو عليه فقط، ولكن كانت هناك الإشارات بينهما.'

أحس الرجل بوخزة تحت لسانه. ووقف الرجل وترك الطاولة وقال برقة لزوجته: ' أرجوك ألا تطهى لى سمكاً بعد اليوم.'

كان مستحيلاً تحاشى النظرة التي كانت فى عيني أويو، إذ كانت قد حولت عينها ناحية الأسفل، إلى حد أن الضوء كان يلعب من فوق جبهتها والجزء العريض من أنفها. وكان واضحاً أن طرفى فمها كانا يتحركان حركة رقيقة على نحو له علاقة كبيرة بالإشفاق على نفسها أكثر من كراهيتها للرجل. وهنا بدأ الإحساس المخيف بالوحدة يتملكه ويسيطر عليه وهو فى بيته، وخرج الرجل من البيت وهو يائس حزين؛ كان ذلك الحزن لا يقل عمقاً عن مفاجأته، وراح الرجل يبحث فى جوف الليل عن تلك اليد التي يمكن أن تمتد إليه لتلمسه وتجعله لا يحس بغربته على الحياة التي يحياها.

ولكن ذلك الإحساس لم يعاوده مطلقاً بعد تلك المرة، ووصل الأمر إلى حد استطاع عنده نسيان كل هذه الأشياء، هذا يعنى أنه نسى كل تلك الذى حدث له. ربما

كان آل — كومسون أنفسهم قد سئموا من مسألة ضرورة إرسال طرود السمك. ربما كان ذلك راجعاً إلى قيام أويو بإرسال تلك الطرود كلها إلى منزل أمها، التي كانت تبذل مرارتها ولم تعد تكثر من الحضور إلى بيت زوج ابنتها، بحثاً عن جنود ذلك الذي كانت تعاني منه. كان هناك، في ذلك الوقت، استعداد ورغبة بين الأحياء لقبول فشل المحبوب. ربما لا يكون ذلك قد تسبب في هرب السعادة واحترام الذات، ولكن المؤكد أنه كان هناك شيئاً مريحاً في أن الناس لم يعودوا غارقين في توقع أشياء كبيرة من العجزة والمعاقين. وفيما عدا ذلك كانت الحياة مجرد حياة ليس إلا. كانت الحياة شكل من الهياج بين الحين والآخر ثم نوبة من الهياج الطويل بعد مضي فترة طويلة من الزمن. ولكن في تلك الفترة المتأخرة تماماً كانت العين الفاحصة والأذن الصاغية كانتا تعرفان أفضل من الفكر أن طوفاناً يمكن أن يحدث ولا ينتهي تاركاً الأمور والأشياء على ماكانت عليه. هنا عرف الرجل وأدرك أنه بدأ يفهم طبيعة تقدم كل واحد من البشر صوب القبر. فالآمال كلها عندما تتحول إلى إحباط وخيبة أمل، تصبح مقاومة المآل النهائي أمراً لا مفر منه.

حدث قدر كبير من الضوضاء، خلال فترة محددة، حول بعض التحريات التي كانت تهدف إلى تخليص تجارة البلاد من الفساد هل هم يزيدون أنفسهم فساداً على فسادهم؟ لم يكن هناك أي أحد مشغولاً أو مستثاراً من كل ذلك؛ هذا بالرغم من حديث الناس عن اللجنة المشكلة لذلك الغرض. كان رئيس تلك اللجنة أستاذاً من جامعة ليجون. قالوا: إنه من جامعة ليجون حتى يضمنى على الأمر جدية ويجعل له وزناً. وفي النهاية كان يتردد في الشوارع إن ذلك الذي كان ينبغي أن يحدث بالنسبة لتلك الأشياء قد حدث بالفعل. هذا يعني أن الشبكة جرى نسجها بالطريقة الغانية الخاصة التي تسمح بمرور كبار الشخصيات الفاسدة من خلالها. هذه الشبكة لاتصطاد سوى الصغار أولئك الذين يمكن التخلي عنهم والتخلص منهم، عندما يحاولون القفز، أثناء عماهم وفقدان بصرهم، لتحقيق الوميض والارتياح من خلال الطريقة الوحيدة التي يمكن بها إتيان هذه الأشياء. في حين كان كبار الفاسدين يطفون على السطح

أحراراً، شأنهم شأن الشعارات كلها. إنها للرشوة والفساد. بناء الإستراتيجية. والمساواة. كل ذلك هراء في هراء. وهنا يتعين على الإنسان أن يتخذ قراراً مفاده أنه لن يكون أمامه من شيء سوى اليأس، وأنه ليس هناك من سبيل إلى الخروج من ذلك اليأس، اللهم إلا من طريق واحد فقط. الانتظار. وفي ذات الوقت يمكن أن تمضي الأيام على ما هي عليه إلى أجل طويلة. ، إن الإنسان بوسعه أن يتعلم العيش أو يتعايش مع أشياء كثير كثيرة قبل أن تجيء النهاية. أشياء كثيرة بل وكثيرة جداً.

الفصل الثالث عشر

فى الصباح الباكر غادر الرجل العالم المحيط به واستغرق بنفسه فى النموذج الخطى للسكة الحديد الذى كان معلقاً فوق الطاولة التى كانت أمامه. فى بعض الأحيان كان الرجل ينسى نفسه، بل وينسى كل شىء حوله ويكون اهتمامه كله منصباً على العمل وحده، ويقوم بعمل كل ما هو ضرورى. لم يكن صعباً على الرجل أن يتناسى الذات والعالم الذى كان يتعين عليه مواجهته. وفى أضعف الأحوال، كان العمل نفسه واحداً من الأشياء القليلة التى لا يحيط بها الملل القاتل. كان هناك نوع محدد من الجمال فى مسألة التناسى اليومى للمتاهاة المرسومة على اللوحة الورقية، كما كان الرجل يشعر بالرضا عندما ينظر إلى الخطوط المرسومة بقلم الرصاص وتوضح تداخل خطوط المحطات، والخطوط الزرقاء الخاصة بقطارات المنجنيز. هذا يعنى أن العمل لم يكن قائماً على الرتابة، وهذا بحد ذاته كان أثراً طيباً.

فى بعض الأحيان كان الرجل يقوم برحلات قصيرة إلى غرفة الحوادث، ليوصل إلى كبار الموظفين هناك: بعض الملفات المطلوبة للتحقيق فى خروج القطارات عن الخط والأشياء التى من هذا القبيل. كان الرجل قد ذهب بالفعل للعمل فى ذلك المكان، بدلاً من رجل آخر قام بإجازه إلى الريف، وقام ذلك الرجل المجاز بتمديد إجازته عن طريق إرسال سلسلة طويلة من البرقيات يدعى فيها وفاة عشيرة بأسرها من أقاربه الواحد منهم تلو الآخر. كانت الوظيفة واحدة من وظائف الاستيفاء، واكتشف الرجل فيما بعد أنه كان يتعين كل يوم تصدير ما لا يقل عن ثلاثين رسالة كل يوم، لا ينظر إليها فى أغلب الأحيان ولا تؤخذ بعين الاعتبار إذا ما امتلأ ملف واحد من البشر. العمل الحقيقى فى ذلك المكان لم يكن يتطلب سوى ثلاثة أرباع الساعة، وبعد ذلك كل ما يفعله الموظف هو أن يجلس فى المكتب وهو يحس بالعرق يسيل على ظهره إلى أن يصل إلى الفراغ القريب من شرجه. وعندما عاد موظف الاستيفاء من إجازته الجنائزية الطويلة كان يبدو عليه البشر والسرور، وكان الرجل يرد على كل

أولئك الذين جاعوا ليشاطروه أجزائه، بابتسامة صغيرة، كما لو كان هو نفسه الذى وضع مشاطرتهم أحزانهم. حاول الرجل، فيما بعد، أن يفهم كيف استطاع ذلك الكاتب شغل يوم العمل بكامله بذلك العمل الصغير الذى أوكل إليه القيام به. وقد توصل ذلك الرجل إلى أن ذلك الكاتب كان لديه نظام عتيد يقوم بمقتضاه يتمديد عمله، وأنه كان يتبع ذلك النظام فى أحيان كثيرة، وأنه أصبح معتادًا على ذلك النظام إلى الحد الذى جعله ينسى أن القسم الأكبر من ذلك النظام كان مجرد مضيعة للوقت. قوائم أبجدية لانفع فيها ولاطائل من ورائها؛ وبحث يحاول من خلاله، وعن طريق العلامات البريدية معرفة الدقيقة المحددة إلى كان مفترضًا إرسال الرسالة عندها؛ تبييض القوائم كلها فى ورق نظيف، على أن تكون كل مرة بخط رشيق وجميل، بلا أى محو أو كشط؛ والذهاب إلى المرحاض بين الحين والآخر، وذلك كمجرد عادة وليس بحكم الضرورة.

غالبية الأعمال كانت من هذا القبيل؛ كان الرجل على علم بذلك. أنهى الناس أيامًا طوالًا جالسين أمام طاولاتهم وكانوا مثل أى موظف حكومى، إذا ماجاءتهم امرأة من قرية من القرى كى تعرف منهم شيئًا عن هذه الأعمال، وإذا ما سألتهم سؤالًا مباشرًا عن ذلك الذى كانوا ينفقون الوقت فى عمله فإنهم كانوا يعجزون عن إعطائها إجابة حقيقية عن سؤالها. العمل هو العمل ليس إلا. لم يكن يهتم مطلقًا عدم البت أو إنجاز هذه الأعمال.

ها هو وحده حاليًا. وكلما وجد نفسه وحيدًا وكلما أدرك هذه الوحدة، كان يعبر عن ذلك بصوت غريب. كان ذلك الصوت عالى النبرة، عال جدًا على نحو يصعب معه الاستماع إليه، واقع الأمر أن ذلك الصوت كان مسموعًا فقط لأن ذلك الذى يكون فى الأذن لا يمكن أن يكون صامتًا كاملاً. كان الرجل يستمع إلى ذلك الصوت، وهو يتعجب حول ما إذا كان بوسعه تغيير ذلك الصوت إلى صوت أعلى من خلال التركيز عليه. وهنا بق جرس التليفون وقام الرجل بالرد عليه، مما أدى إلى قطع ذلك الصوت الوحيد.

لم يبدأ توافد هيئة العاملين الآخرين إلا بعد الساعة الثامنة. ولما كان الجميع لم يصلوا بعد الساعة السابعة والنصف، بماقى ذلك الساعة أيضًا، فقد راح الرجل يتعجب ويتساءل عن السبب الذى منعهم من المجيء فى الوقت المحدد، ولكنه سرعان ما أبعد ذلك الموضوع عن ذهنه. دخل واحد من هيئة العاملين كما لو كان شبحًا من الأشباح؛ دخل فى هدوء تام إلى حد أن الرجل لم يلاحظ مجيئه إلا بعد مجيء فرد آخر من العاملين. هذا العامل الآخر دخل وهو يصفر، وكان ذلك شيئًا غير عادى يحدث للمرة الأولى، بالرغم من أن هذا السلوك لم يزعج الرجل. ولكن الساعى الآخر هو الذى أسكت زميله. الساعى الثانى لم يتحمل الصمت فترة طويلة، ودار حول الرجل، وتهد بصوت عال جدًا ثم قال متعجبًا: 'إي، آه من هذه الانقلابات!'

لم يستدر الرجل، ولكنه سأل الساعى، 'هل هناك ساع آخر؟'

'نعم، يارجل'

'فى إفريقيبا أم فى أى مكان آخر؟'

'اليوم، اليوم، هنا فى غانا'

وهنا خرج الساعى الآخر من الركن الذى كان يقبع فيه وانضم إلى الاثنين.

إنن انتما لم تسمعا؟'

قال الرجل: 'فى وردية الصباح نحن لانتمكن من الاستماع إلى الأخبار.'

'لا أقصد أخبار الساعة السابعة من صباح هذا اليوم. هناك إعلان غريب

قدمة رجل يحمل اسمًا غريبًا، ثم تلت الخبر موسيقى سوجا Soja . إنهم يقولون

أنهم استولوا على السلطة.'

تساءل الرجل، 'من الذى استولى على السلطة؟'

'رجال الجيش ورجال الشرطة.'

لم يقل الساعى شيئاً. حتى ذلك الساعى الذى دخل وهو يصفر كان يعتريه شيء من الخوف الذى ظهر فى عينيه، النظرة نفسها التى تبدو على الناس عندما لا يكونون واثقين مما يفعلون، ويودون أن يتمكنوا من الادعاء بأن كل ما حدث كان عبارة عن نكته، إذا مادعت الضرورة. ذهن الرجل اعتراه شيء من التشتت. أولاً وقبل كل شيء ما الذى يعنيه كل ذلك؟ هذا رجل ، استطاع الوصول إلى السلطة والانتفاع بها لنفسه عن طريق أولئك الذين أحبوه ووثقوا به. هناك رجال استطاعوا الوصول إلى السلطة نفسها بمساعدة المواقع. ماذا يعنى كل ذلك؟

كبار الموظفين لم يحضروا إلى العمل. كان الخوف شيئاً كبيراً فى حياتهم، وكان مفهومًا أنهم يودون الانتظار إلى أن يحدث شيء من هذا القبيل. فى الإضراب الكبير ظن رجال كثيرون أن الفرصة الكبيرة حانت تمامًا، واندفعوا ليقولوا: كيف أنهم قاوموا ذلك النظام الذى ظنوا أنه قد جرت الإطاحة به. وعندما جاءت الشرطة، فى نهاية الأمر، وسحبت الناس إلى السجون، وبعد أن عرف الجميع أنه لن يكون هناك تغيير، راح كثير من كبار الشخصيات يتحولون هنا وهناك وهم يخافون ويخشون من أن يكون أحد قد سمعهم فى الأيام الحمراء وأنه لا يزال يتذكر الكلام الذى كانوا يقولونه.

جاء الموظفون الأصغر الواحد بعد الآخر، وراح كل واحد منهم يضيف نتفة صغيرة، ولكن شديدة الوحشية إلى الأخبار المتيسرة. قالوا: إن كبار رجال الحزب ألقى القبض عليهم وأودعوا فيما يسمونه الحجز التحفظى _ الذى هو مصطلح واسم جديد لوضع الناس فى السجن بلا محاكمة. أناس جدد، رقصة قديمة. وبعد أن جاء كاتب المواعيد، حيا كل الحاضرين بصوت عال، وأضاف بنعمة توحى بقدر كبير من القناعة والرضا، ' ستكون هناك جماعة جديدة وستفجر بفعل ثروات البلاد!' وسيكون رد الفعل على ذلك، مثلما هو حادث اليوم، الإختلاف وعدم الاتفاق والتردد المشوب بالقلق.

بعد أن أشرقت الشمس كان هناك صوت لشيء من الاضطراب في الشارع. وهنا اندفع داخلا إلى المكتب رجل كان عضواً في نقابات العمال التابعين للحكومة التي جرت الإطاحة بها، وراح الرجل يتحدث عن الانقلاب وكأنه هو الذي قام به. ثم طلب من الناس الخروج من المكتب ويعربوا عن ولائهم لأولئك الذين استولوا على السلطة. وفي صمت يدل على عاروخزي الرجال لذين كانوا في المكتب، خرجوا الواحد بعد الآخر لينضموا إلى الجماهير الموجودة في الخارج. وفي ذات الوقت خرج الرجال من المكتب ليستمعوا إلى فسوات وضراط رجال الحزب.

لم يتحرك الرجل من أمام طاولته (مكتبه). ووقف الجديد القديم عضو النقابة العمالية يحملق في الرجل ، ثم قال، 'يا بلدياتي، وماذا عنك أنت؟'

'نعم' ماذا عن ماذا'

'نحن كلنا مضربون ومتظاهرون.'

'هم يقولون ذلك. ولكني لأعرف شيئاً عن الرجال. ما هذا الذي سوف أتظاهر أو أضرب من أجله؟'

'انتبه، يا بلدياتي، إذا كنت لا تريد لنفسك المتاعب فأخرج إلى الشارع.'

'إذا ما اصطدمت سيارتان أثناء قيامي بالإضراب والتظاهر، فهل تتحمل أنت

المسئولية'

قال عضوا التنظيم: 'أوه، إذا كان التظاهر من أجل العمل فمرحباً به، وأهلاً.

ولكننا لن نطبق أي أحد من اتباع نيكروما في الوقت الراهن.'

قال الرجل ببطئ: 'أنت تعرف، أنت تعرف من هم أتباع نيكروما الحقيقيين.'

استدار النقابي، أو إن شئت فقل عضو الاتحاد، ونزل كي ينضم إلى الجمهور.

وتناهت أصوات هذا الجمع من البشر، إلى مسامع من هم في المكتب من خلال

النوافذ: أغاني قديمة مع تغيير كلماتها من الثناء على نكروما وامتداحه إلى لعنة

وسبّه. وهذا هو حال غوغاء الحزب وضوضائه عندما لحس وعوده السابقة وحنث فيها وتحول إلى مكان عثر فيه الرجال السمان على أشياء تزيدهم سمنه على سمنتهم. ابتعدت تلك الضوضاء متجهة صوب التل، ومن ثم فإن هؤلاء الرجال الذين تبعوا مخاوفهم وراحوا يزيدونها، لم يعودوا إلى العمل طوال الفترة المتبقية من دوام ذلك اليوم. كان الوقت محفوراً بهدوء استثار في الرجل كل أفكاره عن حياته، مع صور ذهنية وأحاسيس مؤلمة، خلفت عنده إحساساً بضياح شيء منه إلى الأبد، ألا وهو الوحدة التي لا يمكن للموت أن ينهيها.

جاء موظف الوردية المسائية متأخراً دقائق قليلة. وبدا عليه أنه كان مشغولاً بشيء داخلي، ولم يقدم أية معلومات عن الانقلاب، اللهم باستثناء نظرة توحى بالحزن العميق والإحساس بالضياح. ولعله مثل بقية أصحاب المطاعم كان يأمل في تحقيق حلم شخصي عن الثراء المفاجئ، ولكن سقوط الحكومة القديمة أدى إلى اختفاء ذلك الحلم. ربما. كانت الشوارع هادئة جداً. لم يكن فيها سوى جماعات صغيرة، هنا أو هناك، لأناس كانوا يتكلمون، ولم يكن ضرورياً أن يتكلموا عن أشياء حدثت في ذلك اليوم. في موقف الحافلة، كان الناس يتكلمون، ولكن واقع الأمر أن أحداً لم يكن يعرف أي شيء سوى حدوث نوع من التغيير، كما أن الكلام كان يكرر دهشة المتحدثين، ثم بعد ذلك أسئلة لا تنتهي عن ماهية الرجال الجدد، وذلك الذي سوف يفعلونه، وذلك الذي كانوا يفعلونه في حقيقته الأمر. لم تكن هناك إجابات عن تلك الأسئلة، بالرغم من زعم ذلك الذي شرب إلى أن تقياً، الذي مفاده أن ذلك كله كان مجرد خطه شيطانيه من خطط نكروما، لإخراج الناس جميعاً إلى الشوارع، ثم يقوم بعد ذلك جنوده وشرطته بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم السجنون مثلما فعل ذلك من قبل. بالقرب من إيفا Effia نكوانتا Nkwanta توقفت الحافلة، واندفعت إلى الأمام امرأة كانت تحمل طفلاً على نراعيها، وتصرخ قاتلة إنهم كانوا على وشك أن يقتلوا هي وطفلها. فيما عدا ذلك لم يكن هناك شيء غير عادٍ، اللهم باستثناء أن المزيد من الصمت كان يخيم على المكان، كما لو كان الناس، قد أصبحوا فجأة

مشغولين وغارقين في التفكير إلى حد أنهم لم يكونوا يرغبون في شحن الهواء بضوضائهم الحياتية المعتادة. وعندما استدار الرجل على الطريق عائداً إلى منزله، أحس الرجل بانفصاله تماماً عن ذلك الذي كان يدور حوله. كان الرجل يود أن يعرف المزيد عن ذلك الذي يدور من حوله، ولكن ذلك يحتاج منه إلى وقت طويل، يضاف إلى ذلك أنه لم يكن محملاً بأية آمال بأن أشياء جديدة، أشياء جديدة بحق، كانت على وشك الحدوث. في يوم مامن أيام المستقبل الطويل ربما ازدهرت حياة جديدة في هذا البلد، ولكن هذه الحياة إذا ما جاءت فإنها لن تجعل من أولئك الذين اعتادوا على قتل الزهور الجديدة لن تجعل منهم أنوات لها. قد تأتي الفضيلة المستقبلية بصورة متدرجة، ولكن قبل أن تجيء تلك أين كانت تلك الأشياء الحاضرة التي كان يتعين عليها تمهيد الطريق أمام هذه الحياة؟

عندما وصل الرجل إلى المنزل أحس بالسعادة، وكرجل سعيد لم يصعد درجات السلم الأربع الصغيرة التي تفضي إلى الشرفة، ولكنه كان يقفز أثناء مشيه، وكان ذهنه مشغولاً بالشباب وأيام المدرسة عندما كانت تسطع الشمس على الحقول.

اكتشف الرجل أن القفزة الوحيدة التي قفزها انتهت إلى اصطدامه بزوجه أويو. كانت أويو واقفة خارج باب الصلاة بعد خروجها من داخل المنزل، وعندما تمكن الرجل من رؤية وجهها استنتج أنها كانت مضطربة ومشوشة. كان يبدو على أويو وكأن شيئاً هائلاً كان يقلقها، ولكن الرجل استطاع أن يرى في عينيها شيئاً يمكن أن يعرفه على أنه نوع من أنواع الحب العميق، شيئاً من الاحترام الشديد. واصل الرجل تحركه إلى الأمام إلى أن دفع زوجته إلى الخلف بلطف إلى أن وصلت إلى الجدار بجوار الباب. وبالرغم من أن الحركة والرقعة المفاجئة التي كانت في داخله، قد أدهشته، إلا أنه كان يعرف أن ذلك كان صحيحاً وصادقاً، وهنا وضع الرجل أصابعه كلها خلال شعرها وأمسك برأسها، وراح يضغط عليها،

موحياً إليها برغبته فيها. رفعت عينيها بحركة رقيقة تتم عن عدم التصديق، وبدت كما لو كانت فتاة صغيرة خائفة من أن ترتكب نوعاً من الخطأ.

خرجت بيدي Deede، واتجهت مباشرة إلى المطبخ. كان من المستحيل رؤية وجهها رؤية واضحة، ولكنها كانت تتحرك مثل طفلة مستاءة استياء كبيراً. نظر الرجل مرة ثانية إلى زوجته.

قال: 'هيا بنا ندخل.'

قالت بنظرة شرسة: 'إنه في الداخل، كومسون.'

'متى جاء.'

'منذ حوالي ساعة، أو ساعتين.'

'ولكن، لماذا جاء؟'

'إنهم يلقبون القبض عليهم. هو يخشى أن يقتلوه. هذا أمر مريع.'

'أمسكت يده واقتادته إلى الداخل، كما لو كان غريباً جاء إلى بيتها، أو عشيقاً غير واثق من نفسه. كان أدولي Adoley هو وآيفي Ayivi نائمين في الصالة، متداخلان ومتشابكان كما لو كانا نوعاً من التوائم السيامية.

قالت أويو: 'لقد أكلا.' ثم أشارت إليه وبلا ضرورة أن يدخل في هدوى ودخلاهما الاثنان الغرفة الداخلية.

كانت الغرفة مظلمة تماماً. وكانت الرائحة المنبعثة منها على نحو لم يسبق للرجل توقعه. كانت الرائحة نفاذة، كما لو أن غازاً طياراً بدأ يتحول إلى سائل، وراح يملأ جو الغرفة كلها، وكانت تلك الرائحة لتهيج الأنف وحده، وإنما كانت تلهب أيضاً الأنف من الداخل، وتلهب العينين والأنف، والفم والحلق. كان من الصعب في بداية الأمر تحديد مكان كومسون في الظلام، وعليه اتجه الرجل إلى مفتاح الإضاءة في الجدار ليفتح النور.

كان كومسون جالسًا على السرير، خلف الستارة مباشرة. كان يبدو مثل رجل خائف من أن ينطق بكلمة واحدة تكون فيها نهايته. كان كومسون يرتدى بدلة من الصوف داكن اللون وقميصًا شديد البياض يصبح مشوبًا بزرقة خفيفة عندما يسقط عليه الضوء، كما كان يرتدى أيضا رباط عنق أسود. كانت على أنفه نقاط صغيرة من العرق، كانت تبدو كما لو كانت ستتساقط بعد لحظات. ولكن نقاط العرق لم تسقط. جلس كومسون متصلبًا فترة للحظات قليلة، مثل شخص يعرف أن الأمر غاية في الأهمية! لا يأتي أية حركة على الإطلاق. وبيبطيني، وكما لو كان يفعل ذلك دون أن يسترعى انتباه المراقبين غير المرئيين، رفع كومسون عينيه في اتجاه الضوء القادم من الأعلى، ثم راح ينظر متوسلاً إلى الرجل. وبعد أن اندهش الرجل تمامًا من ذلك التغير الذي طرأ على كومسون. وعلى أسلوبه، فشل الرجل في فهم معنى نظره كومسون. وعلى الفور راح كومسون يؤشر بإشارات عبارة عن حركات سريعة توحى باليأس، وأشار في بداية الأمر إلى النور، ثم بعد ذلك إلى النافذة المفتوحة وهو في ذلك الجنون الصامت، نظرًا لأن الخوف كان ينبعث من قطعة في جسمه.

فهم الرجل حقيقة ما يجري. أطفأ النور. ثم انتقل بعد ذلك إلى النافذة، وسحب الشيش ثم أغلقه وهو يستشق شيئًا من الهواء النقي. كان ينتظر أن يقول كومسون له شيئًا في تلك اللحظة، ولكن التنفس غير الطبيعي لذلك الرجل الخائف، جعل أنفاسه تتسارع من داخله، وتكسر صمت الحجر وسكونها. وعندما بدأت عينها الرجل تتعودان على الظلام، استطاع أن يتبين الرجل بياض عيني كومسون في فراغ وجهه الأسود. كانت عينها كومسون تتجهان صوب النافذة، بالرغم من أنهما كانتا تنظران بين الحين والآخر وبسرعة جنونية نحو الباب، عندما كانت أية حركة أو أية ضوضاء تأتي من ذلك الاتجاه. بمرور الوقت أصبح من الممكن تمييز القميص الذي يرتديه كومسون، الذي كان يبدو وكأنه يعكس ضوءًا خفيفًا من تلقاء نفسه. وذات مرة شاهد الرجل كومسون وهو يحملق في مقدمة قميصه كما لو كان يرى فيها خطرًا

عليه. وعندما شاهد الرجل كومسون، عضو الحزب، وهو أمامه في تلك اللحظة، وهو يتصرف كما لو كان محاصرًا بأشياء معادية، وكان يتخوف من كل لحظة قائمة مخافة أن تكون هي اللحظة الأخيرة من لحظات حياته، عندما رأى الرجل كل ذلك تذكر الزيارة الأخيرة وراح يتعجب من ذلك التناقض الكبير بين اللحظة الراهنة وتلك الثقة الزائدة عن الحد التي كان كومسون يتمتع بها في الأيام الماضية. كان من الخطأ، كل الخطأ أن يفكر الرجل بهذه الطريقة، وأن التغيير لا يأتي بشيء جديد. في حياة الأمة نفسها، قد لا يحدث شيء جديد. كل ما في الأمر أن رجالاً جنداً يأخذوا زمام السلطة في أيديهم ويروحون يسرقون ثروات الأمة ويستعملونها في إشباع احتياجاتهم الخاصة. هذا كان أمراً منتظراً بطبيعة الحال إناس جدد سوف يمسكون بزمام السلطة في البلاد ليستعملونها في التخلص من الرجال والنساء الذين يملقونهم. لن يكون هناك أي خلاف على ذلك. سيكون ذلك استمراراً لأسلوب الحياة في غانا. ولكن هنا يكمن التغيير الحقيقي. هذا هو فرد من الذين كانت السلطة في أيديهم يرتعد حالياً، ورأسه عامر بالخوف والفرع من أن يثار منه أولئك الذين أضربهم وأخطأ في حقهم. بالنسبة له سوف يتغير كل شيء. أما بالنسبة لأولئك الذين من أمثاله، أولئك الذين سمعوا بفعل التغنى بمدح رئيسهم؛ وبالنسبة أيضاً لأولئك الذين كانوا يعدون أنفسهم للتمتع بالحظوة والرضى عنهم، بالنسبة لهؤلاء وأولئك فإنهم تنتظرهم أيام طويلة من الألم والمعاناة. هؤلاء المملقون بسياراتهم المرسيديس البيضاء سوف يتعين عليهم البحث عن الطرق التي يستطيعون بها دفن الكلمات والشعارات القديمة. أما أولئك الذين ثاروا على السلطة القديمة فسوف يستشعرون قدراً كبيراً من السعادة. أما فيما يتعلق بالأمة نفسها فسيكون هناك تغيير واستبدال للمختلسين وتغيير أيضاً في الصيادين وفي الطرائد. ابتعاد عن عالم تلك الأيام التي كان المعلم Teacher لا يزال ينظر إليها، تلك الأيام التي لم يكن الأقوياء خلالها يفكرون إلا في استغلال الشعب كله من أجل ملئ بطونهم. أيام لا تنتهي، أيام رتيبة، تمتد إلى المستقبل ولا تبدو لها نهاية في القريب أو البعيد.

كانت الضوضاء تتبعث من المكان الذي كان كومسون جالساً فيه. يبدو أنه قال شيئاً، ولكن الرجل لم يفهم ذلك الشيء.

تسأل الرجل، 'هل قلت شيئاً؟' وسرعان ما شاهد الرجل كومسون وهو ينكمش كما لو كان يخشى أن مجرد الصوت العادي يمكن أن يخونه ويودي بحياته. وهنا انغلقت العينان اللامعتان مدة لحظة، وعندما انفتحت العينان مرة أخرى، بدا أن كومسون قد تخلص من خوفه واتكأ كومسون إلى الأمام وراح يهمس في وجه الرجل، 'سيقتلونى.'

كانت نفوح من فمه رائحة مماثلة لرائحة دم الحيض عند المرأة. كتم الرجل أنفاسه إلى أن تزول الرائحة الجديدة التي اختلطت برائحة ضراط وفسا رجل الحزب التي كانت تملأ جو الحجرة. في الوقت نفسه كان جوف كومسون يزمجر زمجرات أطول من المعتاد، هذا هو فعل فسوة داخلية؛ بدت بعد اكتمالها كما لو كانت قد تدرجت على طول الطريق من بداية الزور، وهي ترعد خلال البطن ومنها إلى الأمعاء، لتنتهي بعد ذلك إلى تلويث صامت للهواء الملوث فعلاً بفعل الخوف الشديد. كانت أويو ماتزال صامته طول الوقت، وهي واقفه بجوار الباب. ولكنها الآن، وبصوت متحشرج، انسحبت داخله إلى الصالة الخارجية.

كان الرجل نفسه تسيطر عليه فكرة واحدة؛ هي أن يخرج من هذه الحجرة. ولكن كومسون كان لا يزال جالساً في السرير، وجسمه ممدد كما لو كانت رغبته الوحيدة تتمثل في أن يصبح جسمه أصغر مما هو عليه، حتى يمكن أن يختفى إذا ما كان الاختفاء أمراً ممكناً.

همس كومسون مرة ثانية، 'سيأتون إلى هنا.' هنا حرص الرجل على أن يسحب رأسه بعيداً عن متناول أنفاس رجل الحزب. ماتزال موجات تلك الرائحة النفاذه تتردد بعد أن قلت بعض الشيء. كان الرجل يتمنى لو أن كومسون أخرس فجاء وتوقف عن الكلام، ولكن الصمت كان مستحيلاً في مثل هذا الظرف.

تسأل الرجل، 'هل رآك أحد وأنت قادم إلى هنا؟'

أجاب كومسون، 'أنا لأعرف.' ثم أرفق قائلاً بعد لحظة: 'أعتقد ذلك.'

خطر ببال الرجل أنه سوف يتقيأ إذا لم يخرج من جو هذه الغرفة ويتحاشى تلك الرائحة العنيفة. ولما كان الرجل يتطلع إلى اختلاس نفس واحد من الهواء النقي، فقد تحرك في اتجاه النافذة. ولكنه عندما استعد لفتح الشيش، محاولاً عدم إزعاج كومسون، سمع همهمة تتم عن الضيق والكرب العظيم. ترك الرجل النافذة وعاد له ليجلس إلى جوار الوزير الهارب، محافظاً على مسافة قصيرة فيما بينه وبين الآخر، فكر الرجل بشيء من الدهشة في عجزه الكامل عن التأثر بمشاعر ومخاوف الشخص الموجود إلى جواره. كان الرجل مدركاً تماماً لقلقه الشديد وواعياً به، بالإضافة إلى شيء من الاستياء، الذي كان صغيراً في بداية الأمر ثم بدأ يكبر بعد ذلك مع مرور اللحظات، إلى حد أنه كان يرى أن رجل الحزب لا بد أنه تراوده رغبة شديدة في الاقتراب منه. ولكن الرائحة كانت لا تطاق .

تسأل الرجل، 'هل تريد أن تستحم؟'

قال كومسون بصورة قاطعة، وعيناه تتحركان. وهو يهز رأسه: 'أوه لا،

لا، لا.'

قال الرجل: 'حسن، حسن..، وهو يحس وكأنه سيموت من تلك الرائحة. 'إنن، هل تود الذهاب إلى المرحاض أولاً؟'

ثلث ذلك فترة صمت طويل. ثم سمع الرجل كومسون وهو يتنهد تنهيدة إنسان مضطهد قبل أن يقول: 'أنا لا أريد ذلك.'

قال الرجل: 'حسن، حسن.' كانت الرائحة لا تطاق بحق.

ومن باب الرجاء للرجل الأليز عجز هارباً مسكيناً بهذه الأسئلة القاسية، تنهد كومسون من جديد، تنهيدة طويلة، تنهيدة بطيئة تتم عن معاناته بشكل واضح. وحتى

التهيدة الصادرة عنه كانت تزيد هواء الغرفة فسادًا على فساد. وحاول مرة ثانية،
بحثًا عن مخرج أى مخرج.

تسائل الرجل، 'هل أكلت؟'

'لا.'

كان الصوت الصادر عن كومسون مفعمًا بالأمل. وهنا قفز الرجل واقفًا.

قال: 'سوف أحضر أويو لتجىء إليك بشيء من الطعام.' ودون انتظار
للحصول على الرد، ألقى الرجل بنفسه فى الصالة وراح يستقبل الهواء على شكل
شهيق طويل.

كانت ديدى لم تتم بعد. كانت جالسة على الأرض، فى ركن بجوار الطاولة،
ويبدو عليها التعب والإرهاق. كانت أويو جالسة إلى الطاولة الكبيرة، وتطيل النظر
إلى سطح تلك الطاولة. وقفت عندما رأت الرجل، وعندما اقترب منها تمامًا همست
فى أذنه، 'كيف حال راتحتة'

قال الرجل محاولاً أن يبدو عاديًا: 'إنه الخوف. إنه يقول إنه جوعان. ما الذى
عندك من الطعام؟'

'أوه، وأنت نفسك، أنت لم تأكل شيئًا.'

قال الرجل: 'أنا لأحس بالجوع. ولكن يتعين علينا أن نقدم له شيئًا يأكله.'

اقتادت أويو زوجها إلى المطبخ. كانت النار لاتزال مشتعلة فى موقد الفحم.
بعد أن أزال الرماد وضعت المزيد من الفحم فوق لنار. ثم راحت تمروح على النار
إلى أن زاد اشتعالها، ثم راحت بعد ذلك تسخن طعام للرجل. حمل الرجل الطعام
وأدخله إلى عضو الحزب الجائع.

راح كومسون يأكل فى الظلام. كانت الرؤية لاتزال شاقه نظرًا لأن كومسون
لم يكن يرغب فى أن يكون الباب مفتوحًا. كانت الأصوات الصادرة عن كومسون هى

وحدها التي توحى للرجل بالنهم الذي كان عليه كومسون أثناء تناول الطعام. كانت الاصوات كلها توحى بالجوع والنهم الشديد، أصوات المص الصادر عن رجل متعجل يدفع الطعام، في الظلام، نحو وجهه. يبدو أن مخاوف الرجل هي التي زادت من إحساسه بالجوع وفتحت شهيته. وهنا أصبح يوسع الرجل ان يترك كومسون وحده.

عاد الرجل إلى الصلاة ووقف ساكنا بجوار أويو. أمسكت أويو بيده إمساكا محكما. ثم همست أويو بعد ذلك في صوت متهدج، 'أنا سعيدة لأنك لم تكن مطلقاً مثيلاً له.'

كانت عينا أويو تشعان بالاعتراف الحقيقي بالجميل والشكر والامتنان. وربما ولأول مرة، على امتداد حياتهما الزوجية، يصدق الرجل أن أويو كانت سعيدة به بالشكل الذي هو عليه. رد الرجل على ضغط يديها بضغط مماثل، ثم تركها بعد ذلك تذهب إلى كومسون بكوب من الماء.

مد كومسون يده ليتناول كوب الماء. أحدث الماء صوتاً أجوقاً بينما كان ينزل داخل بطنه، وأعقب نزول الماء أن تجشأ الرجل من داخل حلقه.

في هذه اللحظة سقط الضوء على ستارة الشباك؛ كان ذلك الضوء لفترة وجيزة جداً، وكان صادراً عن سيارة كانت تمر في الشارع. سمع الرجل أنيناً متخففاً صادراً عن كومسون، ثم اختفى بعد ذلك صوت المركبة، ليحل محله صوت أحذيه وهي تدوس سطح الطريق. كانت أصوات الأحذية توحى بأنها كانت خطوات إيقاعيه على وتيرة واحدة.

قال كومسون: 'إنهم قادمون.'

كانت أصوات كلمات كومسون هائته في الظلام، ولكنه بعد أن أنهى كلامه، كان يقف إلى جوار الرجل ويمسك به كما لو كان طفلاً خائفاً. ودون أن يقول شيئاً، أمسك الرجل بتلك الذراع المرتعشة وجنبها برفق ناحيته.

كانت يدي لاتزال نائمة في الصلاة، وكان يبدو على أويو أن الخوف وحده هو الذى أبقي عليها مستيقظة. كان واضحاً أن أويو فهمت تلك الضوضاء التى كانت خارج المنزل، وهذا الفهم عمق شكوكها إلى حد الرعب. وأشار الرجل إليها بالألا تتحرك.

قال: 'قولى، أنى خرجت من المنزل، منذ فترة قصيرة. وأنتك لاتعرفين المكان الذى ذهبت إليه. لاتقولى أى شىء عنه.' وأومات أويو برأسها فى شىء من التردد.

تحرك كومسون مثل رجل مسلوب الإرادة. كان على الرجل أن يسحبه خلف الأبواب الأخرى وعلى المنطقة المبتلة حول الحمام، ليدخل به بعد ذلك إلى المرحاض. هذه هى الرائحة الخائفة تتبعث من جديد، وتجعل الرجل يفكر من جديد فى جسيمات الغائط التى تشكل رقصة مختلطة مع قطرات البول الراكده الموجودة فى فتحات المرحاض الصغير.

أقل الرجل الباب وأوصده بالمزلاج، ثم أضاء الرجل النور الصغير. كان كومسون ينظر إلى السقف نظرة تشبه الغوث. ولكن لم يكن هناك مايراه سوى الأسمنت الذى سبق دهانه باللون الأصفر، الذى أسود فى بعض أجزائه بسبب الشموع التى كان يوقدها المصابون بالإمساك عند منتصف الليل إذا ما احترق المصباح الصغير. شاهد الرجل كومسون وهو يخفض بصره وينظر ناحية اليسار إلى النافذة الموجودة أعلى كرسي المرحاض. كانت النافذة تؤدى إلى خارج المنزل، ومنها إلى خارج الفناء، وكانت النافذة وسيدة على نحو يسمح لرجل بالمرور من خلالها، حتى ولو كان ذلك الرجل فى حجم كومسون. ولكن فتحة الشباك كان فيها ثلاثة أسياخ من الحديد مركبة فيها. هذه الأسياخ لم تعد ضرورية، وهى متينة بشكل كبير. وراح كومسون يتعرق فى ملابسه كلها، وراح ينظر نظرة إشفاق فى وجه الرجل.

نظر الرجل مطرفاً إلى مقعد الصندوق الخشبي المركب فوق المرحاض. كانت فتحة التغوط، كالعادة مغطاة بقشرة من الغائط القديم. من حين لآخر، كان واحداً من المستعملين المشمئززين يقوم في يوم من الأيام بتنظيف المقعد تنظيفاً جيداً. ولكن العملية التي من هذا القبيل تكون نادرة جداً، في معظم الأوقات كان الشخص الذي يدخل المرحاض يقنع بحماية شرجه بقطعه من ورق الصحف يستعملها في تنظيف الشرج بعد الانتهاء من التغوط.

قال الرجل: 'تستطيع الخروج من هنا.' وأردف مؤكداً 'إذا كنت أنت تود ذلك.'

تساءل كومسون، وهو يشير إلى فتحة التبرز. وصوته يوحى باليأس، 'هنا؟' أمسك الرجل بطرف من طرفي مقعد الصندوق وأشار إلى الطرف الآخر بحركة من يده. وتبعه كومسون، ثم أمسك بالطرف الحر من الصندوق. وجذب الاثنان الصندوق محاولان تقريبه من الجدار.

ولكن الصندوق لم يتحرك.

اقترب الرجل من الصندوق ليطيل النظر إليه وتبين مدى التصاقه بالحائط أو قربه منها. كانت قاعدة الصندوق مثبتة بمسامير في المبنى وهنا نظر الرجل إلى كومسون.

قال: 'بوسعنا أن نحاول من جديد، ولكن كومسون كان هائلاً جداً.'

أدخل الرجل يده السرى خلال فتحة التغوط.

قال: 'ساعدنى على دفع العلية إلى الأجناب.'

استغرق كومسون شيئاً من الوقت وبعد ذلك اتخذ قراره، إذ وجد في النهاية أنه مثل من يحضر جنازته بنفسه، ولذلك أدخل يده في الناحية الأخرى ولمس الإناء. ونقل القاعدة إلى أحد الأجناب. لمس الوعاء، كان فيه شيء غير متوقع أو منتظر

تمامًا. كانت القاعدة باردة تمامًا ، ولكنها لم تكن مائلة تمامًا أو زلقة. بدت القاعدة وكأن عددًا كبيرًا من قطرات صغيرة كانت قد جفت فوق الوعاء منذ فترات طويلة ولكنها لم تصل إلى حد الجفاف الكامل. وعندما رفعنا الإناء نفسه تبخرت رائحة جديدة صاعدة إلى الأعلى في اتجاه الوجهين الموجودين أعلا الفتحة. كانت الرائحة تطاق في هذه المرة. كانت الرائحة تشبه رائحة الطين أو الوحل المتخمر. وهنا اندفعت فراشة كبيرة، لامعة اللون ولونها بني داكن، اندفعت طائرة من تحت الوعاء، واصطدمت بقميص كومسون الأبيض من الأمام ثم سقطت على قمة قاعدة المرحاض قبل أن تزحف مبتعدة وداخلة في أحد الشروخ على الجنب.

قال الرجل: 'سوف يتعين علينا الخروج من فتحة المرحاض.' ولكن كومسون لم يرد على مقاله الرجل.

قال الرجل: 'أخرج أنت أولاً.' وجد لزامًا عليه أن يضيف شيئًا آخرًا من قبيل الشرح، وعليه قال: 'إذا جاءوا...'

توقف كومسون في مكانه.

'امض، امض أيها الرجل.'

يبدو أن الصيحة أيقظت كومسون وجاءت به من مكان بعيدة. نظر إلى الفتحة وهو ينتظره بإحساس الرجل المنهزم، ثم وضع يديه ساندًا إياهما على الصندوق استعدادًا لاتزال قدميه في الحفرة.

هز الرجل رأسه.

قال الرجل بهدوء: 'لن تستطيع المرور بهذه الطريقة. سوف تتحشر في الحفرة.'

كان كومسون مترددًا. لم يخطر بباله أن هناك شيئًا غير ذلك يمكن أن يفعله حاليًا.

قال الرجل: ' ادخل برأسك أولاً. هذه هي الطريقة الوحيدة.'

ظهر الاشمزاز جليًا على وجه كومسون، وراح الرجل يقاوم امتناعه السابق. في الخارج، في فناء المنزل تعالت الأصوات وتزايدت. الأبواب كانت تطرق ويجرى فتحها، وهذه أصوات متطفلة تريد أن تعرف شيئًا أو آخرًا، وتلك أصوات ناعمة ترد وهي مملوءة خوفًا، وتلك خطوات ثقيله فوق الأرضة المصنوعة من الأسمنت، أرضية الفناء. وفجأة كان هناك صوت وحشى لباب فتح عنوة استجابة لشيء صلب وثقيل.

خلى وجه كومسون من الاشمزاز، وعاد إليه التصميم . وبقشعريرة صغيرة أحنى الرجل رأسه إلى أن أصبحت بمحاذاة الفتحة، تمامًا نس رأسه بعد ذلك بحركة سريعة خلال الفتحة. كان الرجل قد أوشك أن يسعل عندما كان يحاول حشر كتفيه إلى أسفل، ثم توقفت الحركة بعد ذلك . كانت الضوضاء في الخارج قد بدأت تتزايد وتعلو، وكان الرجلان قريبين من بعضهما تمامًا. هذه أصوات المفتشين تتزايد وتعلو، وكان يبدو عليهم الغضب.

شاهد الرجل عضو الحزب وهو يرفس برجليه رفسًا جنونيًا. وعلى الفور أمسك الرجل برجليه وراح يجرها بكل قوته. واصطدمت رأس كومسون بحافة الفتحة أثناء خروجه منها.

وبدون أى كلام، سارع الرجل وأمسك بستره كومسون وأبعدها عن المكان. وخلص كومسون رباط العنق. ثم دخل في الحفرة مرة ثانية، وعاد الاشمزاز إليه مرة ثانية.

في هذه المرة انزلق جسم كومسون خلال الفتحة إلى الكتفين. ولكن عند الحزام كانت هناك عقبة أخرى. نظر الرجل إلى الفتحة مرة ثانية، ولكن كان ما يزال فيها متسع. ربما كانت فتحة المراض مسدودة من الخارج. الباب الخشبي الذى يؤمن الفتحة من الخارج عادة ما يكون صغيرًا ويمكن كسره بمجرد ضغطة صغيرة.

صاح الرجلط "اضغط . " قالها الرجل قبل أن يفكر فى اقتراب المفتش والباحثين، أوبمعنى آخر لم يخطر بباله أن رفيقه يمكن لا يسمعه بأى حال من الأحوال . ثم صعد الرجل بهدوء فوق المقعد، وأمسك برجلي كومسون وأنزلهما نحو الأسفل . كان يسمع كومسون كما لو كان رجلاً يتغوط، ثم تلى ذلك صوت طويل كما لو كان يتقيأ فى الأسفل داخل فتحة المراض . ولكن الرجل دفع الرجلين أكثر فأكثر . ثم جاءت بعد ذلك اندفاعه من الهواء متجهه إلى أعلى لتخبرة أن رأس رجل الحزب قد وصل إلى خارج الفتحة . وهنا انسحب الجسم بهدوء وهنا استعد الرجل للنزول إلى الحفرة .

كانت يداه تلامسان كرات صغيرة من الطين كانت تشبه قطع الطين المتخلفة عن الديدان . كانت رائحة الفراش تقاوم رائحة الانسان، وكانت مخلفات الفراش تلتصق بكوع الرجل ويزحف خلال صندوق قاعدة المراض . هذا شىء زلق رطب التصق فى يده اليمنى . وسرعان ما تذكر صوت القى الذى أصاب كومسون داخل الفتحة . كان الباب الصغير مفتوحا . وخرج الرجل برأسه من ذلك الباب الصغير، واسترخى بعد أن خرج جسمه من الفتحة . كان الهواء منعشاً خارج الفتحة . كانت السماء خالية من القمر ومن النجوم، بالرغم من وجود ضوء مشتت مما جعل الرجل يظن أن القمر محجوب مؤقتاً .

كان كومسون مستلقياً بجانب الرجل فى الحارة الخلفية التى تقع خلف المراض . أمسكه الرجل ورفع . وسار معه خلال الحارات الموجودة فى المنطقة، وكانا يبتعدان عن الشوارع التى يحتمل أن يلتقيا فيها بالناس .

الفصل الرابع عشر

مشى الرجلان فى اتجاه ميناء الصيد فى اتجاه الشرق. سارا فى الحوارى الضيقة بين الجدران المحيطة ببيوت الناس، وكانوا يمرون على كثير من فتحات المراحيض بميازيبها الصغيرة التى يجرى فيها ذلك السائل الأسود الذى تفوح رائحته حتى فى ظلام الليل، مخلوطات قديمة من البول ومن البراز. كانا يمشيان بجوار دائرة المراحيض البشرية طوال حياتهما. هذا صبي صغير جدًا، كان متأخرًا إلى تلك الساعة من الليل، مر عليهما أثناء سيرهما فى الحارة. سارع الصبي بالابتعاد عنهما، ثم وقف على بعد مسافة آمنة منهما، وصاح صيحة عالية وطويلة تعبر عن التقزز والاستياء. 'خبيبه!' ثم جرى بعيدًا عن هذين الكبيرين واختفى عند أول منعطف من المنعطفات.

مع انتهاء منطقة المنازل وصل الرجلان إلى أرض فسيحة. جرت العادة، أن السائر عندما ينظر إلى هذه الأرض الفسيحة من الطريق، يراها خاليه. ولكن الرجلان اللذان كانا يسيران فيها حاليًا، واللذان كانا يتحاشيان مقابلة الناس مصادفة على الطريق، كانا يريان تلك الأرض الفسيحة وكأنها مكونة من جنوع أشجار وحفر وتلال. كان كومسون يمشى كما لو كان شيئًا خشبيًا، إذ لم يكن يعبأ أو يهتم بمقصده، كان يمشى مثل مخلوق لم يعد للعنصر وجود فى حياته.

بالقرب من منتصف تلك الأرض الفسيحة كان هناك الميزاب واسع ومنبسط لكنه غير مبطن بالأسمت، وهنا وجد أن من الأوفق تحاشى ذلك الميزاب وذلك عن طريق الاتجاه صوب موقف الحافلة مباشرة، نظرًا لأن الميزاب يتجه غربًا داخلًا أسفل جسر خشبي صغير، ليواصل مسيره موازيًا للطريق. ولكن الرجل شاهد أشكالًا غامضة لمجموعة صغيرة من الرجال كانوا ينتظرون أشباح مهملة عند محطة الحافلة، وربما كانوا ينتظرون واحدة من المركبات الليلية الصغيرة. وعليه أمسك الرجل ذراع كومسون وعبراهما الاثنان تلك الميزاب، وكانت

أقدامهما تغوص بين الحين والآخر في بعض الأماكن الطرية في قاع الميزاب، وعلى الجانب الآخر من الميزاب راحا يضربان الأرض بأقدامهما لكي يتخلصا من الوحل الذي علق بها.

كانت العلب الصفيح التي في طريقهم مملوء بالوحل المكتنز، وكانت تلك الصفائح متعفنة بفعل الصدا إلى حد أن الصوت الذي كان ينتج عنها، إذا ما رفسها أحد بقدمه، صوتاً كثيباً وغير رنان. في بعض الأحيان، كان ذلك الذي يرفس بالقدم عبارة عن قطع من المبردات المشروخة التي امتلأت هي الأخرى بالوحل، وقطع صغيرة من الفخار الذي كان يتكسر تحت الأقدام. في بعض الأحيان كانت تهب رائحة خانقة صادرة عن رماد ناعم يشبه المسحوق مختلط برماد ناعم.

كان نور القمر قد بدأ ينبعث بشكل غير واضح من مكان ما . كان الهواء شديد الحرارة لزيادة بخار الماء فيه، الأمر الذي كان يجعل أضواء الشوارع خافتة وغير واضحة، بحيث كان كل ضوء يظهر على حده. هذا السكون وهذا البلب كان يتبدد في بعض الأحيان بفعل هبة ريح قصيرة كانت تأتي من البحر الذي كان يقع على بعد مسافة طويلة في الجهة اليمنى. مع مثل تلك اللحظات كان الرجل يخطو خطوات سهلة ويروح يستنشق الهواء استنشاقاً عميقاً، ذلك الهواء الذي كان يسر خاطر الرجل لخلوه من المواد المتحللة والعفن.

عند الجسر الكبير كان هناك شيء يبدو كما لو كان مركبة معتمة اللون وأنوارها الخلفية حمراء اللون. كانت تلك المركبة من بعد تبدو مثل واحدة من سيارات الشرطة. وعندما اقترب الرجلان من تلك المركبة شاهدا أربعة أشخاص يتحركون هنا وهناك حول السيارة. ومرت عليهما سيارة لوري يحدث عادمها ضجيجاً كبيراً، وشاهدا السيارة تقف عند الجسر. ومضى بعض الوقت قبل أن تبدأ السيارة التحرك مرة ثانية.

قال الرجل، وهو يضع يده على نراع كومسون، 'هذه نقطة تفتيش شرطية.'
تصاب كومسون للحظات، ويبدو أن المعرفة كانت قد تسالت لتختلط بحيرته
وارتباكها، مما جعله يتعثّر في مشيه من جديد.

قال الرجل لرفيقه: 'فلنسلك هذا الطريق.' ولكن كومسون واصل المسير في
اتجاه نقطة التفتيش الموجودة على الطريق. وعلى الفور انصرف الرجل عن
الطريق وأخذ معه كومسون. وبعد أن هبطا منحدر تحول الطريق إلى طريق عامر
بالزلط وبالحشائش الشوكية. مشى الرجل ببطئ، واضعاً في اعتباره الجماعة التي
كانت واقفة عند الجسر. لم يكن الضوء قوياً، ولكنه كان كافياً لاكتشاف أي تحرك
من مسافة بعيدة.

بعد الزلط جاء التراب الخشن الذي كان يسبق الرمل، ثم بدأ الرمل بعد ذلك.
كانت أمواج البحر ناعمة وبلا صوت أوضواء، كانت تأتي من مسافة بعيدة في
البحر وتتكسر على شكل خطوط ناعمة طويلة تبعد أقدامًا قليلة عن الشاطئ -
متحولة إلى موجات صغيرة لطيفة في جوف الليل.

راح الرجل يسحب رفيقه خلفه برفق إلى أن وصلا إلى حافة البحر، ثم
استدار يساراً مرة ثانية وراح الرجل يمشى بحرص مع صاحبه على شاطئ البحر.
وعندما اقتربا من الجسر الموجود على اليسار، كان الرجل ينحني من وقت لآخر
ليلتقط حصوة ويلقي بها في البحر بطريقة عشوائية. لم تكن هناك أية ضوضاء
على الإطلاق أثناء مرورهما على الجسر، اللهم إلا الصوت المتخلف عن الأمواج
بعد انكسارها على الشاطئ وانحسارها عنه، ثم اصطدامها بكتلة من الخشب كانت
على الشاطئ - لم تمر عليهما أية سيارة من أي نوع كان.

عندما وصل الرجلان إلى بداية حاجز الأمواج كان الجسر، بحد ذاته، يبدو
لهما كما لو كان يبعد عنهما مسافة كبيرة. وسرعان ما حالت الصخور الضخمة التي
جرى إلقاؤها لتكون حاجز الأمواج، بينهما وبين المضي قدماً على شاطئ البحر.

أمسك الرجل بيد كومسون وراح يعينه على المشى فوق الصخور إلى أن وصلا إلى قاعدة حاجز الأمواج. ثم أوضح لرفيقه مايمكن أن يفعله، وطلب منه المشى فى ذلك المكان المنخفض حتى لايرى أحد السائرين على الطريق رأسه، ومضيا قدامًا على الأرض الخرسانية. كانت الأصوات الناعمة الصادرة عن حركة مياه البحر الموجود على الجانب الأيمن تغطى على الأصوات الصادرة عن الطريق الموجود على الجانب الأيسر والناجمة عن المركبات التى كان سائقوها يقودوها بسرعة عالية.

أبقى الرجلان على رأسيهما منخفضان، وراحا يمشيان فى المنحنى إلى أن وصلا إلى النقطة التى يبتعد الطريق عن الشاطئ والتى انتهى عندها أيضا حاجز الأمواج ليصبح على شكل كتلة من الأحجار وشكائر الأسمنت المتحجرة. وهنا أيضا واصل الرجلان مسيرهما على الشاطئ.

بالقرب من منطقة أنافو Anafo اقتاد الرجل كومسون وجعله يمشى فى الشارع أولاً ثم بعد ذلك راحا يمشيان فى الحارات الصغيرة المتربة فى المنطقة المجاورة لمنطقة أنافو.

قال الرجل: 'أنت تعرف منزل المراكبى أفضل منى. ويتعين عليك أن تقوم بتوصيلنا إلى هناك.'

همهم كومسون همهمة ضعيفة، ثم بدأ يسرع الخطى. اقتاد الرجل ومضيا قدامًا، سارا فى طريق دائرى إلى حد أنه بدأ يظن أنه يتبع رجلاً تائهاً. ولكنه عند هذا الحد شاهد المنزل المنخفض الذى كان يشبه شيئاً طويلاً، ومشى الرجلان إلى أن وصلا إلى الباب غير المدهون الذى يقع عند نهاية ذلك الشئ الطويل.

طرق الرجل الباب برفق وسمعا صوتاً صغيراً ينبعث من الداخل كما لوكان صادرًا عن حصيرة يجرى لفيها.

قال صوت صادر من الداخل: 'هى، يا جاك! هل جئت؟'

بدا كما لو كان كومسون يتراجع عندما سمع ذلك الصوت الذي كان يود أن يعرف ذلك الذى يقف أمام الباب، كان كل صوت يبدو لكومسون فور صدوره وكأنه إبرة كانت تتغرس فى جلده. وتوقف الرجل بدوره عن الرد.

قال الصوت المنبعث من الداخل مرة ثانية: 'أم... ألومو Alomo ، أهو أنت؟' 'ألومو!' بعد ذلك سكت الرجل الحائر فى الداخل . طرق الرجل الباب من جديد، محاولاً ترقيق صوت الخشب وجعله صوتاً قاطعاً وجازاً. ولكن الصمت فى الداخل اصبح مطبقاً.

انحنى الرجل إلى الأسفل وراح يقول من خلال ثقب المفتاح: 'ياأخ، هيا تعال. لأحدعلى الباب، إنه الوزير.'

خرج الصوت الموجود داخل المنزل عن صمته. "آه، سيدى، أهو أنت؟ عجباً لذلك الصوت الذى سرعان ما افتقد الوقار الذى اعتاد عليه. كان صوت المراكبى يوحى بالخوف، ولكن فى تلك الليلة لم يكن خوف الضعيف عندما يواجه القوى. مما لاشك فيه أن الخوف كان خوف رجل ضعيف فى وجود مثل هذا الرجل خطراً عليه. مضت فترة طويلة قبل أن يفتح المراكبى الباب وينظر إلى الرجلين.

لم تعد عينا المراكبى هما تلك العينان اللتان كانتا تستعطفان من قبل. كان يبدو أن العينين توحيان بشيء من الغلظة والشدة.

'ادخل.'

هل كان هناك نوع من القلق المشوب بالخوف فى صوت المراكبى فى تلك اللحظة؟ المؤكد أن ذلك الصوت لم يكن يحمل أية نبيرة من نبرات الأسى أو الاعتذار أو الدفاع بدلاً من ذلك، كانت الدعوة قد وجهت بطريقة توحى بأن المتكلم إنما كان يفعل معروفاً فى ضيوفه.

دخل الرجلان. ولما لم يجدا شيئاً يجلسان عليه، فقد وقفا في منتصف الغرفة الصغيرة، والمراكبي يقف أمامهما. كان حصيرة المراكبي عند قدميه على الأرض، وكانت معدة كي ينام عليها. كان هناك صندوق وعاء به جاري gari يبدو أنه امتص كل الماء الذي جرى وضعه فيه، إلى حد أن قطع صغيرة من الفحم النباتي وخبوط البطاطا الصفراء بدأت تظهر على السطح، مثل المخلفات التي يتركها الماء خلفه بعد عمليه الجذر. تلت فترة صمت طويلة، تكلم بعدها المراكبي.

'آه، فيما يخصني، فأنا موجود هنا. هذا هو مكاني المتواضع. أنتما اللذان جئتما من مكان بعيد. ولذلك فأنا أغلق فمي، طالما أن أناي مفتوحتان، حتى يتسنى لي الاستماع إلى ذلك الذي جئتما به إلي.'

هذا المراكبي بدأ يتحامل على الكرامة القديمة للكلام الرسمي. لم يعد بعد أمامه سيذا من السادة، وإنما هو شخص آخر يحتاج إلى عونه ومساعدته له. امتنع الرجل عن قول أي شيء. وأصبح الأمر موكول إلى كومسون نفسه لكي يصيغ الكلمات التي يتوسل بها إلى خادمة. ولكن كومسون تردد فترة طويلة وراح ينظر خلالها إلى المراكبي بكرامية شديدة، وفي عينيه اتهام بالجحود ونكران الجميل. يبدو أنه كان يكتم أنفاسه فترة من الوقت، لأنه استأنف كلامه بعد أن أخرج هواء الزفير لفترة طويلة. يضاف إلى ذلك أنه لم يتكلم أيضاً بلغة السادة. كان صوته مكتوماً، كما كانت نغمته أرق من نغمة المساوم الصريح، بالرغم من عدم وصول هذا الصوت إلى حد الرجاء والاستعطاف.

قال كومسون: 'أنت تعرف ماحدث.'

'نعم' بدأت عينا المراكبي تتجاران، ثم ابتسم قليلاً. وحاول كومسون النظر مباشرة إلى وجه المراكبي.

قال كومسون: 'كان من عادتك تريد مثل بعينه؛ عندما يرعى الثور فإن طائر البلشون يأكل أيضاً. أألزمت تذكر هذا المثل؟'

رد المراكبي بإثبات مؤكد قائلًا: 'نعم،' كما لو كان يود أن يشير بذلك إلى أن الزمن والتغيير يجب أن يعدلا حقيقة كل هذه الأمثال. كان الرجل، يقف على بعد مسافة قصيرة من رجل الحزب ومن المراكبي، واستشعر أن مايجب قوله يتحتم أن يقال على وجه السرعة.

قال: 'ليس هناك متسع من الوقت. ليس هناك وقت على الإطلاق.'

قال كومسون للمراكبي: 'إذا كان بوسعك أن تساعدني. فسوف يكون لك نصف القارب.'

تساءل المراكبي، 'إلى أين نحن ذاهبون؟'

تساءل كومسون، 'هل تود الذهاب الآن؟'

وهنا أجاب الرجل بإثبات مؤكد قائلًا: 'نعم'

لم يكن ميناء الصيد يبعد كثيرًا عن منزل المراكبي، ولم يلتقوا أحدا في الميناء، بالرغم من أنهم في قليل من الأحيان كانوا يشاهدون عن بعد أناسًا قلائل يتحركون، كما كانوا يسمعون أصواتًا غير واضحة في جوف الليل. وعندما اقتربوا من بوابة الميناء نهض حارس الليل واقفاً من نومه وراح يعترض دخولهم. كان المراكبي يبدو عليه كما لو كان يود أن يشق طريقه عنوة إلى الداخل، ولكن الحارس تناول صافرة كانت تلمع في الضوء الأصفر ثم وضعها بين شفتيه. لم ينفخ الرجل في الصافرة ولكنه أبقاها حيث كانت بين شفتيه، لتكون بمثابة تهديد ليس إلا. وفي الضوء الخافت شاهد الرجل الحارس وهو يومي برأسه بطريقه تنم عن فهم مشوب بالدهشة والغرابة.

قال المراكبي أخيرًا: 'تعنقد أني مهم، لو كنت واحدًا من رجال حزب نكروما

فلن أمر.'

وقف الحارس وهو مُصّر على قفل الطريق. وقف الرجال الثلاثة ينظرون إليه. كانت هناك خلفهم سيارة جيب تسير في اتجاه أعلى التل على الطريق المؤدى للقلعة القديمة، وإن هي إلا لحظات حتى سقطت أنوارها على الطريق المؤدى إلى بوابة الميناء. وهنا ألقى الرجل نظرة مدققة على وجه الحارس. كان الوجه يعنى شيء أن الرجل لن يأخذ تهديده مأخذ الجد. كان وجه الرجل يسوحى بأنه كان ينتظر حدوث شيء غير عادى، كان ينتهز حدوث شيء ما. ويبدو أن الحارس هو الآخر لم يلاحظ الرائحة التى كانت تفوح من الرجلين. كل ما فى الأمر أن الحارس وقف وقد فغر شفتيه. وكان كفاه يوحيان بثقة مطلقة، كما كانت الصافرة تتدلى كما لو كانت ممسوكة فى مكانها من قبل قوة خفية.

كان كومسون يقف وقفه رجل محتوم المصير وغير قادر على مساعدة نفسه.

قال المراكبى لكومسون: 'أعطه شيئاً.' قالها على نحو يسوحى بالاستياء والضيق. وهنا راح كومسون يمس يده، مثل رجل ميت، داخل جيبيه الشمال الخلفى وأخرج حافظه النقود. وأتى كومسون حركة كما لو كان قد أراد، فى لحظة من لحظات الشرود الذهنى، إعطاء الحافظه كلها للحارس. وهنا تناول المراكبى الحافظة على وجه السرعة، ثم فتحها، ونظر داخلها فترة طويلة. ثم أخرج منها ورقة نقدية ووضعها أمام عيني الحارس الليلى. وهنا بقى الحارس على صمته المساوم.

قال المراكبى: 'انتبه يا أبو البلديات، هذه خمسون سيدي، أقول: إنها خمسون سيدي.'

هز الحارس رأسه، ثم قال: 'ضع عليها ورقة أخرى للرئاسة.'

تردد المراكبى. ولكنه الرجل استدار ناحيته وقال: 'أعطه إياها، إن كان لديك واحدة أخرى.' تناول المراكبى ورقة مالية ثانية، وأخذهما الحارس ببطئ

وفى شىء من الخوف المشوب بالحب، إلى حد أن الورقتين أحدثتا صوتاً فى راحة يده وهو يتناولهما.

قال الحارس:، مروا.

مر الرجال الثلاثة خلال البوابة. فيما بين القوارب الواقعة كان الماء المظلم فى البحر أثناء الليل كثيفاً وغلظ القوام، بل وحتى متجمداً. سار المراكبى عند ذلك فى المقدمة. كان خطى الرجل يوحى بثقة غير متوقعة أو منتظرة. وتبعه الرجلان إلى مابعد الصف الأول من القوارب . وبانتهاء ذلك الصف انعطف رصيف الصيد انعطافاً حاداً ناحية الشمال. وقف المراكبى عند القارب الثانى وراح ينتظر مجئ الرجلين حتى يركبان فى القارب. وعندما ركب المراكبى اتجه مباشرة إلى مؤخرة القارب حيث يوجد المحرك، وطلب من الرجل أن يتبعه.

قال: ' يتعين عليك أن تساعدنى فى تشغيل المحرك. امسك هذا.' أعط الرجل شيئاً شبيها بعمود الإدارة الصغير، نسخة مصغرة من تلك الأشياء الصغيرة التى تراها فى اللوريات القديمة. ابتعد المراكبى مسافح أقدام قليلة وانحنى على شىء قريب من قاع القارب . صاح المراكبى قائلاً: ' أدر العمود.'

أطاع الرجل الأمر. استغرق العمل منه جهداً أكثر مما كان يتصور فى بداية الأمر. كان المراكبى أمام الرجل فى الظلام، يتنفس بصعوبة بالغة ويأتى حركات سريعة بيديه. وإن هى إلا لحظات حتى بدأ المحرك يعمل، وبدأت الانفجارات الأولى تتحول إلى صوت منتظم.

قال المراكبى وهو يتحرك فى اتجاه مقدمة القارب: ' كل شىء جاهز الآن.' ثم تبعه الرجل.

بدأ القارب بحركة بطيئة، اتجه بعدها إلى وسط "الهويس"، ثم بدأ يزيد من سرعته. ليتحرك بعد ذلك مبتعداً عن حاجز الأمواج، مخلقاً وراءه الماء الأسود الساكن. بدأ البحر يتضح أكثر وأكثر مع ارتفاع مقدمة القارب، ومع الابتعاد عن

البلدة بكل أضوائها، كل ذلك أصبح شيئاً منفصلاً تمامًا عن وجود الرجل . بدأ الأثر الناتج عن ابحار القارب يظهر أكثر وأكثر مع لون البحر، وهنا انحنى الرجل إلى الأمام، واستطاع خلال لحظه تناسي كل شيء وهو يطيل النظر إلى تلك الضوء المائي الناعم الغريب.

قال رجل الحزب، وهو يرفع صوته فوق صوت المحرك: 'أنت سترجع.'

تساءل الرجل، 'مالذي يمكن أن تفعله استلا Stella؟'

قال كومسون: 'ستكون على ما يرام. إذا لم يزعجوها فستكون على ما يرام،

'هل لديها ما يكفيها من النقود؟'

'أوهو - أوهو.'

'أين هي الآن؟'

'إنها مع أمها.'

'هل هي تعرف إلى أين أنت ذاهب؟'

'أوهو - أوهو - بعض أقاربها يعيشون في أبلجان'

تلى تلك فترة صمت طويلة مليئة بفراغ غريب لحياتين منفصلتين. ومع ازدياء سرعة القارب إزدادت أيضًا حدة برودة الجو، وزاد معها أيضًا بلل البحر ورائحته.

تساءل الرجل: 'هل هناك أي شيء يمكن أن أفعله لك؟'

لم يكن كومسون يعرف ما يود قوله، ولكنه قال في النهاية: 'أذهب لزيارتها بين الحين والآخر.' ثم أضاف بعد ذلك، 'هناك بعض الأصدقاء الذين سيقومون على رعايتها.'

ومن المقدمة صاح المراكبي بشيء ضاع مع الريح المحيطة بالقارب وفي الصوت الناتج عن المحرك.

تحرك الرجلان إلى المقدمة.

قال المراكبي للرجل: 'نحن نقرب حاليًا من إيسيكادو Essikado . الخليج قريب من هنا إن كنت تود النزول.'

بدأت البلدة تبدو لهم بعيدة جدًا، وأحس الرجل بأنه قد تحرر من كل شيء فيها.

قال: 'نعم، سوف أنزل.'

وعلى الفور حول المراكبي القارب على نحو أحدث قوسًا أبيضًا في الماء، ثم سار يمينًا وانعطف بعد ذلك ناحية اليسار في اتجاه الخليج.

قال المراكبي: 'هنا بعض إطارات اللوريات على الجانب الأيمن. تناول واحدًا منها. فسوف تحتاجه وأنت تعوم في اتجاه الشاطئ.'

اتجه الرجل ناحية كومة الإطارات الداخلية وأخذ منها الإطار الأكبر والأمتن. وعندما أبطأ المراكبي من سير القارب، ألقى الرجل الإطار الداخلي بعيدًا عن القارب في اتجاه الشاطئ.

قال كومسون وهو يقترب من الرجل: 'أنت ذاهب إذن.'

'نعم.'

أمسك عضو الحزب يد الرجل وقال: 'أشكرك.' سمع الرجل الكلام ولكنه لم يحس بأي شيء تجاه كومسون.

قال كومسون: 'سنلتقي مرة ثانية.'

كانت الكلمات تبدو للرجل فكهة وطفولية، ولكن الرجل في غيبة من نفسه وكأنه أصبح شخصًا مختلفًا تمامًا، سمع نفسه وهو يردد قائلاً: 'سنلتقي مرة ثانية.'
صاح المراكبي يقول: 'يا أنت ، وداعًا!'

وقف الرجل مدة ثانية من الزمن عند مقدمة القارب. ومرت موجة صغيرة وتحرك القارب تحركًا هينًا لينًا. وقفز الرجل ليختفي في ظلمة الماء.

لم يكن الماء باردًا. ترك الرجل جسمه يغوص في الماء. وبقي في الماء أطول فترة ممكنة وهو يكتم نفسه . كتم الرجل أنفاسه مدة طويلة إلى حد أنه بدأ يتمتع بالإحساس الداخلي المتفجر الذي لم يعد له وجود في داخله. ولكن أصبح من المستحيل البقاء تحت الماء مدة أطول، وعلى غير رغبة منه دخل شيء من الماء في فمه وكان طعمه شديد الملوحة. كان سطح الماء يبدو له بعيدًا جدًا إلى حد أنه ظن أنه لن يبلغه، ولكن سرعان ما زال الضغط عن عنقه وعن أذنيه وفتح الرجل عينيه مرة ثانية .لم يعد بإمكان الرجل رؤية البلدة فوق منحني الماء، كل ما كان يسمعه كان هو صوت القارب الذي كان يبتعد عنه، وعندما أطل الرجل النظر استطاع أن يتبين شكل القارب من خلال الأثر الناتج عنه. أغلق الرجل عينيه لكي يحس بالظلام ثم فتح عينيه من جديد.

كان الإطار الداخلي قد ابتعد عنه أكثر مما كان يتوقع. وسبح الرجل في اتجاه الإطار وغطس أسفله ليدخل خلاله وكان وسطه ما يزال في الماء. وراح الرجل يتحرك تحركًا بطيئًا مريحًا، في اتجاه الخليج.

عندما وصل الرجل إلى الشاطئ كان متعبًا تمامًا بالرغم من بطئ تحركه، وكان عضد ذراعه قد التهاب بسبب احتكاكه بالإطار. بدأ الرجل يشعر ويحس بمزيد من البرودة. ولكن في ذات الوقت، كان الإحساس بالبرد يملأه بإحساس غامض بالحريّة، مثلما سبق له أن أحس بالوحدة القائلة في أيام مماثلة لهذه الأيام؛

وأحس الرجل في داخله أن الدنيا كانت بعيدة جدًا عن الترحيب به وذلك على
العكس من الرمل الذي كان تحت قدميه.

الفصل الخامس عشر

بعد أن استيقظ الرجل أحس ببرد شديد في ظهره، بالرغم من أن الشمس كانت مشرقة فوق البحر، كانت أشعة الشمس نظيفة وواضحة تماماً فوق سطح الماء؛ وكانت السماء من فوقه صافية وجميلة. كان هناك على بعد مسافة كبيرة زول وحيد لا يمكن تمييزه من ذلك البعد، كان ذلك الزول يتقدم صوب الرجل ماشياً على الرمال.

أغلق الرجل عينيه، ولكنه وجهها مباشرة ناحية الشمس. تحت جفني عيني الرجل كانت الألوان وردية وبرتقالية وصفراء، ثم تختفي فجأة منتهية إلى ظلام لتعاود الظهور مرة أخرى. وعندما فتح الرجل عينيه تماماً مرة ثانية كان ذلك الزول السائر على الرمل قد اقترب منه.

كانت القادمة امرأة، ومن طريقة سيرها على الرمل أتضح أنها مصابة بمس من الجنون . فقد كانت تتوقف بين الحين والآخر لفترات طويلة وبلا حراك، ثم تبدأ بعد ذلك في التحرك من جديد وبلا تعجل، وكانت في أحيان كثيرة تنظر إلى البحر الموجود على الجانب الأيسر، ولكنها قلما كانت تنظر إلى أشجار جوز الهند ومن خلفها الأدغال الخضراء الموجودة على طول الطريق الأسود.

شاهد الرجل وجه المرأة . لم تكن شابة، وكانت تشبه شيئاً جرى تحطيمه مؤخراً. ومع ذلك كان الرجل يرى المرأة جميلة عندما ينظر إليها.

اتجهت المرأة إليه مباشرة، إلى حد أوشك الرجل معه أن يخدع نفسه بأن المرأة كانت على وشك التحدث معه عن شيء هو يفهمه. ولكن المرأة وقفت أمامه مباشرة، ثم انحنت المرأة لتملأ يديها برمل الصباح ، ثم وقفت المرأة وتركت الرمل ينساب من بين أصابعها مع النسيم الرقيق في ضوء الشمس. ومع تساقط

الرملة كانت، المرأة تقول بروح عالية. ' لقد خلطوا كل شيء .. كل شيء! لقد خلطوا كل شيء. وكيف لي بالعثور عليه بعد أن خلطوه مع أشياء أخرى كثيرة؟'

انحنيت المرأة مرة أخرى، إذ كانت تبحث عن شيء ضاع منها، وكانت تحاول أثناء البحث فصل جسيمات الرمل عن بعضها. انقرجت شفاتها عن ابتسامة. حاول الرجل أن يبادلها الابتسام، وأطال النظر إلى وجهها ثم ناداها قائلاً: 'معنان Maanan .'

ضحكت المرأة عندما سمعت ذلك الاسم، وكان التعرف بعيداً جداً إلى حد أن الرجل في هذه اللحظة تأكد أنه خدع نفسه عندما ناداها بذلك الاسم. ثم انصرفت المرأة بعد ذلك وراحت تمشي في اتجاه البلدة البعيدة، مبتعدة عن الشمس وكان خيالها أمامها يلوث الرمل من أمامها، وخلفت الرجل وراءها وهو يتعجب من أسباب عدم حصوله على أي رد منها أو من المعلم Teacher أو من أي إنسان آخر.

أحس الرجل بشيء يخرج منه، يخرج، بل ومن كل جزء من جسمه، الغارق في الرمل. أغلق الرجل عينيه مرة ثانية وتاه من جديد في الظلال وردية اللون التي في داخله.

كانت الشمس طالعة عندما استيقظ الرجل. كانت السماء صافية وتجمع بين اللونين الأخضر والأزرق كل على حدة، لم يكن هذا اللون مثل ذلك اللون الذي شاهده في الصباح الباكر. كانت الأمواج التي تقترب من الشاطئ تتكسر إلى أمواج صغيرة عندما تنتاب الواحدة بعد الأخرى. راح الرجل يفكر في حدائه الذي تركه في قاع البحر. كانت ملابس الرجل قد جفت تماماً. وكان الإطار المطاطي قد طفا مبتعداً في اتجاه الشرق منجرفاً مع التيار ليقترّب ويبتعد بين الحين والآخر ثم ابتعد في النهاية متجهاً ناحية الشرق. ابتعد الرجل عن البحر وتسلق العشب الخشن بعد الشاطئ ليجلس بعد ذلك تحت شجر جوز الهند.

بعد أن عبر الرجل الجبانة الواقعة قبل الطريق، شاهد صبيين صغيرين يقطعان قطعاً صغيرة من الرخام من القطع الكبيرة. هرب الصبيان عندما اقترب الرجل منهما. ولكنه عندما واصل مسيره عاد الصبيان مرة أخرى إلى قطعة الحجر الكبيرة التي كانا يعملان عليها.

كان الطريق بزفته يعطى شيئاً من النفث المثير إلى قدمي الرجل ولكن بعد مسافة قصيرة سخن الزيت وسخن الطريق على نحو جعل الرجل يمشى على جانب الطريق، فوق الأرض المكونة من الطين والزلط.

عند حدود البلدة، وعند سفح المدرسة الكاثوليكية الرومانية، كان الجنود قد أقاموا حاجزاً عبر الطريق ووقفوا بالقرب منه. كان رجال الشرطة يحملون أيضاً بنادق، ويقومون بتفتيش المركبات الواحدة بعد الأخرى عندما تصل إلى الحاجز. كانت السيارات تمر عبر الحاجز بسرعة، أما الحافلات وسيارات النقل فكانت تقف فترة أطول حيث جرى تفتيش الرجال والنساء الراكبين في تلك المركبات. وحتى أولئك الذين كان جرى تفتيشهم كانوا يتعين عليهم الوقوف على جانب الطريق إلى أن يعود أحد الجنود ويشير إلى السائق باستئناف المسير.

وصلت إلى المكان حافلة صغيرة، كانت تبدو جديدة تماماً، ومدهونة باللون الأخضر، وصلت إلى حاجز. أشار إليها أحد الجنود إشارة عابرة بالتوقف، ثم مشى بعد ذلك لينضم إلى بقية الجنود. لم يكن عند الحاجز سوى عدد قليل من المركبات ولكن رجال الشرطة كانوا جميعاً مشغولين بكتاب كبير كان في يد واحد منهم.

نزل سائق الحافلة الخضراء الصغيرة واتجه ناحية رجال الشرطة. كان السائق شاباً ويرتدي بنطالاً قصيراً كاكي اللون ومن فوقه قميص أخضر فاتح.

قال عندما وصل إلى رجال الشرطة: 'أيها الكونستبل، المسافرون الذين معي في عجلة من أمرهم.'

نظر إليه واحد من رجال الشرطة وقال: 'أهذا صحيح؟' وهنا أشار السائق إلى حافظته.

قال: 'الناس الموجودون في الحافلة يودون المضي قدما.'

رفع رجل الشرطة الذي تحدث، يده وبحركة بطيئة أشار إلى أسنانه.

كان الرجل قد سبق له رؤية هذه الإشارة مرات عدة. جرت العادة أن يضيف صاحب هذه الإشارة، بعض الكلمات، 'حتى ثمار الكولا كل واحدة منها يمكن أن تقول: "شكراً"'. ومع ذلك، فإن رجل الشرطة هذا لم يكن يقول أى شيء. كان يترك الأمر كله للسائق كي يفهم أو يتأخر أكثر وأكثر. فهم السائق المقصود. وبدون أن يطلب أحد منه شيئاً، أخرج رخصة القيادة من جيب قميصه، وأخرج منها ورقة من فئة السيدى، ووضعها داخل حافظة الرخصة. ثم أدار ظهره للناس الذين ينتظرون في الحافلة، ثم ناول الرخصة، وبداخلها الرشوة لرجل الشرطة.

نظر رجل الشرطة بشيء من الاحترام إلى رخصة القيادة وما بداخلها. وأخرج الورقة النقدية بيده اليسرى ولفها على شكل كرة صغيرة ووضعها في راحة يده، وراح يعمل بيده اليمنى بعض الحركات الحسابية، كما لو كان يتفحص دقة الوثيقة التي كانت في يده. وفي لحظة سار مع السائق إلى الحافلة، ونظر داخلها ثم أعطى إشارة المسير. اتكأ المسافرون على مقاعدهم وواصلت الحافلة المسير. لا بد أن السائق قد رأى تلك المراقب الصامت الواقف على جانب الطريق. عندما بدأت الحافلة تتجه إلى الطريق تاركة البلدة وراءها؛ وهنا ابتسم السائق وأشار للرجل. راقب الرجل الحافلة وهي تسير في الطريق، إلى أن استدارت واختفت عن الأنظار في المنطقة المنحنية خلف البلدة. كان لون السيارة الأخضر مكتوب عليه كلام في شكل بيضاوى:

الجماليات لم يولدن بعد

فى وسط ذلك الشكل البيضاوى كانت توجد زهرة واحدة، فريدة، لانتفسير لها ولكنها جميلة جدًا.

عندما وقف الرجل ليعود إلى البلدة التى غادرها أثناء الليل لم يستطع الرجل أن يمحو ذلك الكلام المنقوش على الحافلة. هذه الكلمات سوف تظل فى ذهنه تنتقل من هنا إلى هناك وتدور دورتها وتجيئ ثانية. بعد برهة من الزمن اختفت صورة الزهور الجميلة من ذهن الرجل لتحل محلها نغمة موسيقية.

فوق مرحاض المدرسة الموجود عند سفح التل كان هناك طائر يصيح بأغنية عذبة، هذا الطائر انقض وترك المرحاض ليحط على سقف المدرسة. تعجب الرجل من نوعيه هذا الطائر، وماذا يكون اسمه. ولكن سرعان ماتزاحمت الأفكار على ذهنه؛ هاهو يعود حاليًا إلى أويو، ليرى عيون الأطفال بعد الساعة السادسة، ويعود إلى المكتب، وإلى حياته اليومية، وفوق كل ذلك تلك المعرفة السرمدية التى سوف يزرعها فى ذهنه ذلك الفراغ المؤلم ولتنظلم معه بقية حياته.

راح الرجل يمشى ببطء وهو متجه ناحية بيته.

المؤلف في سطور:

آى كويىى أرماء :

ولد فى منطقة توكارادو فى غانا عام ١٩٣٩ .

تخرج فى جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة ، وعمل مترجماً فى الجزائر ،
ومحرراً فى التليفزيون الغانى ، ومدرساً للغة الإنجليزية ، ومحرراً مترجماً فى جريدة
أفريقيا الفتاة التى تصدر فى باريس ، وهو يعمل حالياً أستاذاً فى جامعة
ويسكونسن .

لقد أمضى فترة من حياته فى كل من الولايات المتحدة وتنزانيا ، ونُشرت له
أربع روايات منها : نتف ، والمعالجون .

المترجم فى سطور

صبرى محمد حسن

أستاذ اللغويات غير المتفرغ ، له أكثر من عشرين بحثاً ومقالاً نشرت فى
المجلات والصحف العربية المحلية والدولية منها :

له مقالات وأبحاث نشرت بمجلات الفيصل - الرياض - المملكة العربية
السعودية ، ومجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ،
والمجلة العربية - الرياض - المملكة العربية السعودية ، ومجلة الهلال - القاهرة -
جمهورية مصر العربية .

وله كتب مترجمة إلى العربية منها:

(أ) كتب نشرتها نور نشر عربية .

١ - التفكيكية : النظرية والممارسة ، تأليف : كرسيتوفرنوريس ، دار المريخ ،
الرياض ، المملكة العربية السعودية .

٢ - الشاعر والشكل ، تأليف : جديسون جيروم - دار المريخ .

٣ - الاستراتيجية العربية والإسرائيلية وجها لوجه - دار المريخ .

٤ - الأطفال والمخدرات دار المريخ .

(ب) كتب نشرتها دار أفاق الإبداع العالمية للنشر ، الرياض ، المملكة العربية
السعودية .

١ - المعطف المشاكس ٢ - عمل الفريق الفعال .

(ج) كتب نشرت ضمن كتاب الهلال ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية .

١ - هارون الرشيد ، تأليف : فيلبى .

٢ - الكوكائين والمراهقين .

٣ - بنات مدمنى ومدمنات المسكرات .

(د) روايات مترجمة نشرت ضمن روايات الهلال .

١ - حلم ليلة أفريقية .

(هـ) كتب وروايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر

العربية .

١ - سبعة أنماط من الغموض ، تأليف : وليم أميسون .

٢ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ، تأليف : بالجريف (جزءان)

٣ - حركات التحرر الإفريقي ، تأليف : ريتشارد جيسون .

٤ - إرادة الإنسان في علاج الأدمان .

٥ - قلب الجزيرة العربية (جزءان) .

٦ - سيرتى الذاتية ، تأليف : أحمد بللو .

(و) روايات مترجمة نشرها المجلس الأعلى للثقافة ، جمهورية مصر العربية :

١ - سكين واحد لكل رجل .

٢ - نجوم حظر التجوال الجدد .

٣ - المهمة الاستوائية .

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد نرويش	جون كوين	اللغة العليا	١-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط١)	٢-
شوقى جلال	جورج جيمس	التراث المسروق	٣-
أحمد الحضرى	إنجا كاريتيكوثا	كيف تتم كتابة السيناريو	٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	ثريا فى غيبوبة	٥-
سعد مصلوح ووقاء كامل فايد	ميلكا إفتيش	اتجاهات البحث اللسانى	٦-
يوسف الأنطكى	لوسيان غولدمان	العلوم الإنسانية والفلسفة	٧-
مصطفى ماهر	ماكس فريش	مشعلو الحرائق	٨-
محمود محمد عاشور	أنثرو. س. جودى	التغيرات البيئية	٩-
محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى	جيرار چينيت	خطاب الحكاية	١٠-
هناء عبد الفتاح	فيسوافا شيمبوريسكا	مختارات شعرية	١١-
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	طريق الحرير	١٢-
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميت	ديانة الساميين	١٣-
حسن المودن	جان بيلمان نويل	التحليل النفسى للأدب	١٤-
أشرف رفيق عفيفى	إيوارد لومى سميت	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	١٥-
ياشرف: أحمد عثمان	مارتن برنال	أثنية السوداء (ج١)	١٦-
محمد مصطفى بدوى	فيليب لاركين	مختارات شعرية	١٧-
طلعت شاهين	مختارات	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	١٨-
نعيم عطية	جورج سفيريس	الأعمال الشعرية الكاملة	١٩-
يمنى طريف الخولى وبدوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	قصة العلم	٢٠-
ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	٢١-
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	مذكرات رجالة عن المصريين	٢٢-
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	تجلى الجميل	٢٣-
بكر عباس	باتريك بارنر	ظلال المستقبل	٢٤-
إبراهيم النصوصى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	مثنوى (٦ أجزاء)	٢٥-
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	دين مصر العام	٢٦-
ياشرف: جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	التنوع البشرى الخلاق	٢٧-
منى أبو سنة	جون لوك	رسالة فى التسامح	٢٨-
بدر الديب	جيمس ب. كارس	الموت والوجود	٢٩-
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	الوثنية والإسلام (ط٢)	٣٠-
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوقاجيه - كلود كاين	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	٣١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	الانقراض	٣٢-
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هوبكنز	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	٣٣-
حصه إبراهيم المنيف	روجر آلن	الرواية العربية	٣٤-
خليل كلفت	بول ب. بيكسون	الأسطورة والحدائق	٣٥-
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	نظريات السرد الحديث	٣٦-

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد الحداثة	٢٨-
متيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	آن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين باربر	عالم ماك	٤٢-
المهدى أخريف	أوكتايفيو پاث	اللهب المزوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألنوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينا وچون قاين	التراث المغفور	٤٥-
محمود السيد على	يابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتي	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	ه . ت . نوريس	الإسلام في البلقان	٤٩-
محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأتلكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ . م . بيناليستى	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفى فطيم وعادل دمرdash	ب . نوقاليس وس . روجسيفتر روجر بيل	العلاج النفسى التعميمى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . أنتجتون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الغنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
ياشرف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الطيم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدى أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	قالتين راسيوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العلم الإسلامى فى أولئ القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	جين ب . تومبكتز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيميوتوفا	صلاح الدين والمالِك فى مصر	٧٤-

أحمد درويش	أندريه موروا	٧٥- فن التراجم والسير الذاتية
عبد المقصود عبد الكريم	مجموعة من المؤلفين	٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	٧٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)
أحمد محمود ونورا أمين	رونالد روبرتسون	٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية
سعيد الفانمي وناصر حلاوي	بوريس أوسپينسكي	٧٩- شعرية التأليف
مكارم القمرى	ألكسندر پوشكين	٨٠- پوشكين عند «ناقورة الدموع»
محمد طارق الشرقاوى	بندكت أندرسن	٨١- الجماعات المتخيلة
محمود السيد على	ميجيل دى أونامونو	٨٢- مسرح ميجيل
خالد المعالي	غوتفريد بن	٨٣- مختارات شعرية
عبد الحميد شبيحة	مجموعة من المؤلفين	٨٤- موسوعة الأدب والنقد (ج١)
عبد الرازق بركات	صلاح زكى أقطاى	٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)
أحمد فتحى يوسف شتا	جمال مير صادقى	٨٦- طول الليل (رواية)
ماجدة العنانى	جلال آل أحمد	٨٧- نون والقلم (رواية)
إبراهيم النسوقى شتا	جلال آل أحمد	٨٨- الابتلاء بالتغرب
أحمد زايد ومحمد محيى الدين	أنتونى جيننز	٨٩- الطريق الثالث
محمد إبراهيم مبروك	بورخيس وآخرون	٩٠- وسم السيف وقصص أخرى
محمد هناء عبد الفتاح	بارديرا لاسوتسكا - بشونباك	٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
نادية جمال الدين	كارلوس ميجيل	٩٢- اساليب ومضامين المسرح الإسباني المعاصر
عبد الوهاب علوب	مايك فينرستون وسكوت لاش	٩٣- محدثات العولمة
فوزية العشماوى	صمويل بيكيت	٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحة
سرى محمد عبد اللطيف	أنطونيو بوويرو بايخو	٩٥- مختارات من المسرح الإسباني
إيوار الخراط	نخبة	٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى
بشير السباعى	فرنان برودل	٩٧- هوية فرنسا (مج١)
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
إبراهيم قنديل	ديفيد روينسون	٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)
إبراهيم فتحى	بول هيرست وجراهام تومبسون	١٠٠- مساعاة العولمة
رشيد بنحو	بيرنار فاليط	١٠١- النص الروائى: تقنيات ومناهج
عز الدين الكنانى الإبريسى	عبد الكبير الخطيبى	١٠٢- السياسة والتسامح
محمد بنيس	عبد الوهاب المؤيد	١٠٣- قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)
عبد الفقار مكاوى	برتولت بريشت	١٠٤- أوبرا ماهوجنى (مسرحية)
عبد العزيز شبيب	جيرارچينيت	١٠٥- مدخل إلى النص الجامع
أشرف على دعور	ماريا خيسوس روبييرامتى	١٠٦- الأدب الأندلسى
محمد عبد الله الجعيدى	نخبة من الشعراء	١٠٧- صورة الفنان فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر
محمود على مكى	مجموعة من المؤلفين	١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى
هاشم أحمد محمد	جون بولوك وعادل درويش	١٠٩- حروب المياه
منى قطان	حسنة بيجوم	١١٠- النساء فى العالم النامى
ريهام حسين إبراهيم	فرانسس هينسون	١١١- المرأة والجريمة
إكرام يوسف	أرلين علوى ماكليود	١١٢- الاحتجاج الهادئ

- ١١٣- راية التمرد سادى پلاتت أحمد حسان
- ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف سمية رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شقيق) سينثيا تلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث بارون ليس النقاش
- ١١٩- النساء والاسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج التالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية أنيتل ألكسندرو فنابدولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكاتب: لوهم الرأسمالية العالمية چون جراى أحمد فؤاد بلبع
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيبرك ثورپ نيفى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة قولفانج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى بشير السباعى
- ١٢٨- الألب المقارن سوزان ياسنيت أميرة حسن نويرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولورس أسيس جاروته محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز فرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القيمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- ثقافة العولمة مايك فينرستون عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب
- ١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو سحر توفيق
- ١٣٧- منكرات ضابط فى العملة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- پارسيقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلقى الأنهار هيرت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمرى
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولونى سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميجيل دى ليس على عبدالرحمن البمبى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست عبدالغفار مكاروى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إمبرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول أسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان منيرة كروان

بشير السباعي	فرنان برونل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	١٥١-
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	عدالة الهنود وقصص أخرى	١٥٢-
فاطمة عبدالله محمود	فيولين فانويك	غرام الفراغة	١٥٣-
خليل كلفت	فيل سليتر	مدرسة فرانكفورت	١٥٤-
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	الشعر الأمريكي المعاصر	١٥٥-
مى التلمساني	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	المدارس الجمالية الكبرى	١٥٦-
عبدالعزیز بقوش	النظامى الكتجوى	خسرو وشيرين	١٥٧-
بشير السباعي	فرنان برونل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	١٥٨-
إبراهيم فتحي	ديفيد هوكس	الأيديولوجية	١٥٩-
حسين بيومي	بول إيرليش	آلة الطبيعة	١٦٠-
زيدان عبدالحليم زيدان	أليخانثرو كاسونا وأنطونيو جالا	مسرحيتان من المسرح الإسباني	١٦١-
صلاح عبدالعزیز محجوب	يوحنا الأسبوى	تاريخ الكنيسة	١٦٢-
بإشراف: محمد الجوهري	جورجون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	١٦٣-
نبيل سعد	جان لاكوتير	شامبوليون (حياة من نور)	١٦٤-
سهير المصادفة	أ. ن. أفاناسيفا	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	١٦٥-
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليفمان	العلاقات بين التتبيين والطمانيين في إسرائيل	١٦٦-
شكرى محمد عياد	رابندرنات طاغور	في عالم طاغور	١٦٧-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	دراسات في الأدب والثقافة	١٦٨-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	إبداعات أدبية	١٦٩-
بسام ياسين رشيد	ميجيل دليبيس	الطريق (رواية)	١٧٠-
هدى حسين	فرانك بيجو	وضع حد (رواية)	١٧١-
محمد محمد الخطابي	نخبة	حجر الشمس (شعر)	١٧٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	معنى الجمال	١٧٣-
أحمد محمود	إيليس كاشمور	صناعة الثقافة السوداء	١٧٤-
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	التلفزيون في الحياة اليومية	١٧٥-
جلال البنا	توم فيتنبيرج	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	١٧٦-
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	أنطون تشيخوف	١٧٧-
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	١٧٨-
إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	١٧٩-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	قصة جاويد (رواية)	١٨٠-
محمد يحيى	فتمنت ب. ليتش	التدريس الأمريكي من الثلاثينيات إلى الستينيات	١٨١-
ياسين طه حافظ	وب. بيتس	العنف والنبوة (شعر)	١٨٢-
فتحي العشري	رينيه جيامسون	جان كوكتو على شاشة السينما	١٨٣-
مصطفى سعيد	هانز إيندورفر	القاهرة: حالة لا تنام	١٨٤-
عبد الوهاب طوب	توماس تومسن	أسفار العهد القديم في التاريخ	١٨٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ميخائيل إنوود	معجم مصطلحات هيجل	١٨٦-
محمد علاء الدين منصور	بُزج علوى	الأرضة (رواية)	١٨٧-
بدر الديب	ألين كرنان	موت الأدب	١٨٨-

سعيد الغانمي	بول دي مان	المنى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد للمعسر	١٨٩-
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	محاورات كونفوشيوس	١٩٠-
مصطفى حجازي السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	الكلام رأسمال وقصص أخرى	١٩١-
محمود علاوي	زين العابدين المراغي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج١)	١٩٢-
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	عامل المنجم (رواية)	١٩٣-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي الحديث	١٩٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل قصبیح	شتاء ٨٤ (رواية)	١٩٥-
أشرف الصباغ	فالنتين راسپوتين	المهلة الأخيرة (رواية)	١٩٦-
جلال السعيد الحفناوي	شمس العلماء شبلي النعماني	سيرة الفاروق	١٩٧-
إبراهيم سلامة إبراهيم	إدوين إمري وآخرون	الاتصال الجماهيري	١٩٨-
جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد	يعقوب لاندائو	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	١٩٩-
فخزي لبيب	جيرمي سيبروك	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	٢٠٠-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	الجانب الديني للفلسفة	٢٠١-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٤)	٢٠٢-
جلال السعيد الحفناوي	الطاف حسين حالي	الشعر والشاعرية	٢٠٣-
أحمد هويدي	زالمان شانزار	تاريخ نقد العهد القديم	٢٠٤-
أحمد مستجير	لويجي لوقا كافاللي - سفورزا	الجينات والشعوب واللغات	٢٠٥-
علي يوسف علي	چيمس جلايك	الهيولوية تصنع علماً جديداً	٢٠٦-
محمد أبو العطا	رامون خوتاسنديز	ليل أفريقي (رواية)	٢٠٧-
محمد أحمد صالح	دان أوربان	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	٢٠٨-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	السرد والمسرح	٢٠٩-
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائي الغزنوي	مثنويات حكيم سنائي (شعر)	٢١٠-
محمود حمدي عبد الغني	جوناثان كلر	فريديناند دوسوسير	٢١١-
يوسف عبدالفتاح فرج	مرزيان بن رستم بن شروين	قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	٢١٢-
سيد أحمد علي الناصري	ريمون فلور	مصر منذ قدم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	٢١٣-
محمد محيي الدين	أنتوني جيننز	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	٢١٤-
محمود علاوي	زين العابدين المراغي	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢١٥-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	جوانب أخرى من حياتهم	٢١٦-
نادية البنهاوي	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	مسرحيتان طليعيتان	٢١٧-
علي إبراهيم منوفي	خوليو كورتاتان	لعبة الحجة (رواية)	٢١٨-
طلعت الشايب	كازو إيشجورو	بقايا اليوم (رواية)	٢١٩-
علي يوسف علي	باري پاركر	الهيولوية في الكون	٢٢٠-
رفعت سلام	جريجوري جوزدانيس	شعرية كفاي	٢٢١-
نسيم مجلي	رونالد جراي	فرانز كافكا	٢٢٢-
السيد محمد نقادي	باول فيرابند	العلم في مجتمع حر	٢٢٣-
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	نمار يوغسلافيا	٢٢٤-
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارتيا ماركيت	حكاية غريق (رواية)	٢٢٥-
طاهر محمد علي البربري	ديفيد هريت لورانس	أرض المساء وقصائد أخرى	٢٢٦-

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه ماريا ديث يوركي	٢٢٧- المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	چانيت وواف	٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيجان	٢٢٩- مازق البطل الوحيد
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز چاكوب	٢٣٠- عن النباب والفتران والبشر
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	٢٣١- اليراقيل أو الجيل الجديد (مسرحية)
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	٢٣٢- ما بعد المعلومات
طلعت الشايب	آرثر هيرمان	٢٣٣- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي
قزاد محمد عكود	ج. سبنسر تريمينجهام	٢٣٤- الإسلام في السودان
إبراهيم النسوقى شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٣٥- نيوان شمس تيريزى (ج١)
أحمد الطيب	ميشيل شويكفيتش	٢٣٦- لولاية
عنايات حسين طلعت	روين فيدين	٢٣٧- مصر أرض الوادى
ياسر محمد جادالله ومريى مديولى أحمد	تقرير لمنظمة الأكتاد	٢٣٨- العولمة والتحرير
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جىلا راماز - رايوخ	٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى
صلاح محجوب إريس	كاي حافظ	٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار
ابتسام عبدالله	ج. م. كوتزى	٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)
صبرى محمد حسن	وليام إمبسون	٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض
ياشراق: صلاح فضل	ليفى بروفتسال	٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)
نادية جمال الدين محمد	لاورا إسكيبيل	٢٤٤- الغليان (رواية)
توفيق على منصور	إليزابيتا أنيس وآخرون	٢٤٥- نساء مقالات
على إبراهيم منوفى	جابريل جارثيا ماركيث	٢٤٦- مختارات قصصية
محمد طارق الشرقاوى	والتر أرمبرست	٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحدائق فى مصر
عبداللطيف عبدالحليم	أنطونيو جالا	٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)
رفعت سلام	دراجو شتامبوك	٢٤٩- لغة التمزق (شعر)
ماجدة محسن أبانة	دومنيك فينك	٢٥٠- علم اجتماع العلوم
ياشراق: محمد الجوهري	جوربون مارشال	٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
على بدران	مارجو بدران	٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية
حسن بيومى	ل. أ. سيمينوفا	٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروفز	٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروفز	٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وكريس جارات	٢٥٦- أقدم لك: بيكارت
محمود سيد أحمد	وليم كلى رايت	٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريز	٢٥٨- الفجر
فاروجان كازانجيان	نخبة	٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور
ياشراق: محمد الجوهري	جوربون مارشال	٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (ج٢)
إمام عبد الفتاح إمام	زكى نجيب محمود	٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود
محمد أبو العطا	إدوارو مندوتا	٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)
على يوسف على	جون جرين	٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن
لويس عوض	هوراس وشلى	٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة

روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض	٢٦٥-
مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على	٢٦٦-
فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي	٢٦٧-
ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم السنوقي شتا	٢٦٨-
وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٦٩-
وسط الجزير العربية وشرقها (ج٢)	وليم جيفور بالجريف	صبري محمد حسن	٢٧٠-
الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقي جلال	٢٧١-
الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم	٢٧٢-
الاصول الاجتماعية والثقافية لمركة عربى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى	٢٧٣-
السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى	٢٧٤-
ص. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد	٢٧٥-
فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمصانى	٢٧٦-
الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى	٢٧٧-
البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله	٢٧٨-
الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب	٢٧٩-
الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وأخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم	٢٨٠-
الفرنوس الأعلى (رواية)	عبد الطيم شرر	جلال الحفناوى	٢٨١-
طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق	٢٨٢-
السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرؤف اليمبى	٢٨٣-
هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبديس	أحمد عثمان	٢٨٤-
رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم	٢٨٥-
سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى	٢٨٦-
الثقافة والعولة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وأخرون	٢٨٧-
الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى	٢٨٨-
ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم	٢٨٩-
علم اللغة والترجمة	چورچ مونان	أحمد زكريا إبراهيم	٢٩٠-
تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (ج١)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩١-
تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (ج٢)	فرانشيسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر	٢٩٢-
مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وأخرون	٢٩٣-
فن الشعر	يوالو	رجاء ياقوت	٢٩٤-
سلطان الأسطورة	چوزيف كاميل وييل موريز	بدر النيب	٢٩٥-
مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى	٢٩٦-
فن النحو بين اليونانية والسريانية	ليونيسوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور	٢٩٧-
مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد	٢٩٨-
ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد	٢٩٩-
اسطورة بروشيس فى الامم المتحدة والفرنس (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وايزابيل كمال	٣٠٠-
اسطورة بروشيس فى الامم المتحدة والفرنس (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى	٣٠١-
أقدم لك: فنجنشتين	چون هيتون وجودى جروفتز	إمام عبد الفتاح إمام	٣٠٢-

إمام عبد الفتاح إمام	جين هوب وورن فان لون	٢٠٣- أقدام لك: بوذا
إمام عبد الفتاح إمام	ريوس	٢٠٤- أقدام لك: ماركس
صلاح عبد الصبور	كروزيو مالابارته	٢٠٥- الجلد (رواية)
نبيل سعد	جان فرانسوا ليوتار	٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ
محمود مكي	ديفيد باينزو وهوارد سلينا	٢٠٧- أقدام لك: الشعور
ممدوح عبد المنعم	ستيف چونز ويورين فان لو	٢٠٨- أقدام لك: علم الوراثة
جمال الجزيري	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	٢٠٩- أقدام لك: الذهن والمخ
محيي الدين مزيد	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	٢١٠- أقدام لك: يونج
فاطمة إسماعيل	ر.ج كوتجوود	٢١١- مقال في المنهج الفلسفي
أسعد حليم	وليم ديويوس	٢١٢- روح الشعب الأسود
محمد عبدالله الجعدي	خاير بيان	٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)
هويدا السباعي	چانيس مينيك	٢١٤- مارسيل نوشامب: الفن كعلم
كاميليا صبحي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	٢١٥- جرامشي في العالم العربي
نسيم مجلى	أى. ف. ستون	٢١٦- محاكمة سقراط
أشرف الصباغ	س. شير لايموفا- س. زنيكين	٢١٧- بلاغ
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة
حسام نايل	جايتري سيبثاك وكريستوفر نوريس	٢١٩- صور لريدا
محمد علاء الدين منصور	مؤلف مجهول	٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج
ياشرف: صلاح فضل	ليفى برو قنسال	٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)
خالد مفلح حمزة	دبليو يوجين كلينپاور	٢٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي
هاتم محمد فوزي	تراث يوناني قديم	٢٢٣- فن الساتورا
محمود علاوى	أشرف أسدى	٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)
كرستين يوسف	فيليب يوسان	٢٢٥- عالم الآثار (رواية)
حسن صقر	يورجين هابرماس	٢٢٦- المعرفة والمصلحة
توفيق على منصور	نخبة	٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (ج ١)
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامي	٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)
محمد عيد إبراهيم	تد هيوز	٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)
سامى صلاح	مارفن شبرد	٢٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت
سامية نياپ	ستيفن جراى	٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى
على إبراهيم منوفى	نخبة	٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى
بكر عباس	نبيل مطر	٢٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥
مصطفى إبراهيم فهمى	أرثر كلارك	٢٣٤- لقطات من المستقبل
فتحي العشري	ناتالى ساروت	٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية
حسن صابر	نصوص مصرية قديمة	٢٣٦- متون الأهرام
أحمد الأنصارى	چوزايا رويس	٢٣٧- فلسفة الولاء
جلال الحفناوى	نخبة	٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى
محمد علاء الدين منصور	إدوارد براون	٢٣٩- تاريخ الأدب في إيران (ج ٢)
فخرى لبيب	بيرش بيريروجلو	٢٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط

حسن حلمي	راينر ماريا ريلكه	قصائد من رلكه (شعر)	٢٤١-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبدالرحمن الجامي	سلامان وأيسال (شعر)	٢٤٢-
سمير عبد ربه	نايين جورديمر	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	٢٤٣-
سمير عبد ربه	بيتر بالانجيو	الموت في الشمس (رواية)	٢٤٤-
يوسف عبد الفتاح فرج	يونه ندائي	الركض خلف الزمان (شعر)	٢٤٥-
جمال الجزيري	رشاد رشدي	سحر مصر	٢٤٦-
بكر الحلو	چان كوكتو	الصبيبة الطائشون (رواية)	٢٤٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	٢٤٨-
أحمد عمر شاهين	آرثر والدهورن وآخرون	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	٢٤٩-
عطية شحاتة	مجموعة من المؤلفين	بانوراما الحياة السياحية	٢٥٠-
أحمد الانصاري	چوزايا رويس	مبادئ المنطق	٢٥١-
نعيم عطية	قسطنطين كفافيس	قصائد من كفافيس	٢٥٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة الهندسية	٢٥٣-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بابون مالدونادو	الفن الإسلامي في الأندلس الزخرفة النباتية	٢٥٤-
محمود علاوي	حجت مرتجي	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	٢٥٥-
بدر الرفاعي	بول سالم	الميراث المر	٢٥٦-
عمر الفاروق عمر	تيموثي فريك وبيتر غاندي	متون هرمس	٢٥٧-
مصطفى حجازي السيد	نخبة	أمثال الهوسا العامية	٢٥٨-
حبيب الشاروني	أفلاطون	محاورة بارمنيدس	٢٥٩-
ليلى الشربيني	أندريه چاكوب ونويلا باركان	أنثروبولوجيا اللغة	٢٦٠-
عاطف معتمد وآمال شاور	ألان جرينجر	التصحر: التهديد والمجابهة	٢٦١-
سيد أحمد فتح الله	هاينرش شمبول	تلميذ بابنبرج (رواية)	٢٦٢-
صبري محمد حسن	ريتشارد چييمون	حركات التحرير الأفريقية	٢٦٣-
نجلاء أبو عجاج	إسماعيل سراج الدين	حادثة شكسبير	٢٦٤-
محمد أحمد حمد	شارل بوداير	سأم باريس (شعر)	٢٦٥-
مصطفى محمود محمد	كلاريسا بنكولا	نساء يركضن مع النتاب	٢٦٦-
البراق عبدالهادي رضا	مجموعة من المؤلفين	القلم الجريء	٢٦٧-
عابد خزندار	جيرالد پرنس	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	٢٦٨-
فوزية العشماوي	فوزية العشماوي	المرأة في أدب نجيب محفوظ	٢٦٩-
فاطمة عبدالله محمود	كليرلا لويت	الفن والحياة في مصر الفرعونية	٢٧٠-
عبدالله أحمد إبراهيم	محمد فؤاد كويريلي	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	٢٧١-
وحيد السعيد عبدالحميد	وانغ مينغ	عاش الشباب (رواية)	٢٧٢-
علي إبراهيم منوفي	أومبرتو إيكو	كيف تعد رسالة دكتوراه	٢٧٣-
حمادة إبراهيم	أندريه شديد	اليوم السادس (رواية)	٢٧٤-
خالد أبو اليزيد	ميلان كونديرا	الخلود (رواية)	٢٧٥-
إدوار الخراط	چان أنوي وآخرون	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	٢٧٦-
محمد علاء الدين منصور	إنوارد براون	تاريخ الأدب في إيران (ج١)	٢٧٧-
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد إقبال	المسافر (شعر)	٢٧٨-

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك في الحديقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادى	بهاء الدين محمد اسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد على بهزادراد	٢٨٥- مشتري العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مواظ سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تقاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. فى. روبرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الدروبي	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليكوية (رواية)
عبداللطيف عبدالحميد	فرناندو دى لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيري	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	پول ليفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- الام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممنوح عبد المنعم	زياودن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممنوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)
ظبية خميس	بيفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أنثريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاتاريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بقلم كتابه
عنان الشهاوى	چوان فونشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	يرتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوبر	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	چينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
ياشرف: صلاح فضل	ليفى بروفنسمال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش نورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بنوى	أ. أ. رتشاريز	٤١٦- مبادئ النقد الأنبيى والعلم والشعر

مجاهد عبدالمنعم مجاهد	رينيه ويليك (جه)	تاريخ النقد الأنبي الحديث (جه)	٤١٧-
عبد الرحمن الشيخ	جين هاثواي	سياسات الزمر الحكمة في مصر العثمانية	٤١٨-
نسيم مجلى	چون ماراو	العصر الذهبي للإسكندرية	٤١٩-
الطيب بن رجب	ثولتير	مكرو ميچاس (قصة فلسفية)	٤٢٠-
أشرف كيلاني	روى متحدة	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	٤٢١-
عبدالله عبدالرازق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	٤٢٢-
وحيد النقاش	نخبة	إسراعات الرجل الطيف	٤٢٣-
محمد علاء الدين منصور	نور الدين عبدالرحمن الجامي	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	٤٢٤-
محمود علاوى	محمود طلوعى	من طاووس إلى فرح	٤٢٥-
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	نخبة	الخفاقيش وقصص أخرى	٤٢٦-
ثريا شلبي	باى إنكلان	بانديراس الطاغية (رواية)	٤٢٧-
محمد أمان صافى	محمد هوتك بن داود خان	الخزانة الخفية	٤٢٨-
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سپنسر وأندزجى كروز	أقدم لك: هيجل	٤٢٩-
إمام عبدالفتاح إمام	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	أقدم لك: كانط	٤٣٠-
إمام عبدالفتاح إمام	كريس هوروكس وزوران جفتيك	أقدم لك: فوكو	٤٣١-
إمام عبدالفتاح إمام	پاتريك كيرى وأوسكار زاريت	أقدم لك: ماكياقللى	٤٣٢-
حمدى الجابري	بيفيد نورس وكارل فلنت	أقدم لك: جويس	٤٣٣-
عصام حجازى	بونكان هيث وچودى بورهام	أقدم لك: الرومانسية	٤٣٤-
ناجى رشوان	نيكولاس زيرج	توجهات ما بعد الحدائة	٤٣٥-
إمام عبدالفتاح إمام	فردريك كويلستون	تاريخ الفلسفة (مج١)	٤٣٦-
جلال الحفناوى	شبلى النعمانى	رحالة هندي في بلاد الشرق العربي	٤٣٧-
عايدة سيف الدولة	إيمان ضياء الدين بييرس	بطلات وضحايا	٤٣٨-
محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب	صدر الدين عيني	موت المرابي (رواية)	٤٣٩-
محمد طارق الشرقاوى	كرستن بروسناد	قواعد اللهجات العربية الحديثة	٤٤٠-
فخرى لبيب	أرونداتى روى	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	٤٤١-
ماهر جويرجاتى	فوزية أسعد	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	٤٤٢-
محمد طارق الشرقاوى	كيس فرستينغ	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	٤٤٣-
صالح علمانى	لوريت سيجورنه	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	٤٤٤-
محمد محمد يونس	پرويز نائل خانلرى	حول وزن الشعر	٤٤٥-
أحمد محمود	ألكسندر كوكبيرن وجيفرى سانت كبير	التحالف الأسود	٤٤٦-
الطاهر أحمد مكى	ترات شعبي إسباني	ملحمة السيد	٤٤٧-
محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس	الأب عيروط	الفلاحون (ميراث الترجمة)	٤٤٨-
جمال الجزيرى	نخبة	أقدم لك: الحركة النسوية	٤٤٩-
جمال الجزيرى	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	٤٥٠-
إمام عبد الفتاح إمام	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	٤٥١-
محيى الدين مزيد	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	٤٥٢-
حليم طوسون وفؤاد الدهان	جان لوك أرنو	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	٤٥٣-
سوزان خليل	رينيه بريدال	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	٤٥٤-

- ٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥) فرديريك كويلستون
- ٤٥٦ - لا تنسنى (رواية) مريم جعفرى
- ٤٥٧ - النساء فى الفكر السياسى القومى سوزان موالر أوكين
- ٤٥٨ - الموريسكيون الأندلسيون مرثيديس غارثيا أرينال
- ٤٥٩ - نحو مفهوم لأقتصاديات الموارد الطبيعية توم تيمتيرج
- ٤٦٠ - أقدم لك: الفاشية والنازية ستوارت هود وليتزا جانستز
- ٤٦١ - أقدم لك: لكآن داريان ليدر وجودى جروفز
- ٤٦٢ - طه حسين من الأزهر إلى السودان عبدالرشيد الصادق محمودى
- ٤٦٣ - الدولة المارقة ويليام بلوم
- ٤٦٤ - ديمقراطية للقلّة مايكل بارنتى
- ٤٦٥ - قصص اليهود لويس جنزبيرج
- ٤٦٦ - حكايات حب وبطولات فرعونية فيولين فانويك
- ٤٦٧ - التفكير السياسى والنظرة السياسية ستيفين ديلى
- ٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة جوزايا رويس
- ٤٦٩ - جلال الملوك نصوص حبشية قديمة
- ٤٧٠ - الأراضى والجودة البيئية جارى م. بيرزيسكى وآخرون
- ٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢) ثلاثة من الرحالة
- ٤٧٢ - نون كيوخوتى (القسم الأول) ميجيل دى ثريانتس سابيدرا
- ٤٧٣ - نون كيوخوتى (القسم الثانى) ميجيل دى ثريانتس سابيدرا
- ٤٧٤ - الألب والنسوية بام موريس
- ٤٧٥ - صوت مصر. أم كلثوم فرجينيا دانيلسون
- ٤٧٦ - أرض العيايب بعيدة: بيرم التونسى ماريلين بوث
- ٤٧٧ - تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين هيلدا هوخام
- ٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة ليوشيه شنج ولى شى نونج
- ٤٧٩ - المقهى (مسرحية) لاوشه
- ٤٨٠ - تسائى ون جى (مسرحية) كو موروا
- ٤٨١ - بردة النبى روى متحدة
- ٤٨٢ - موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية روبرت چاك تيبو
- ٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية سارة جامبل
- ٤٨٤ - جمالية التلقى هانسن روبرت يابوس
- ٤٨٥ - التوبة (رواية) نذير أحمد الدهلوى
- ٤٨٦ - الذاكرة الحضارية يان أسمن
- ٤٨٧ - الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية رفيع الدين المراد أبادى
- ٤٨٨ - الحب الذى كان وقصائد أخرى نخبة
- ٤٨٩ - هُسرل: الفلسفة علماً بقيقاً إدموند هُسرل
- ٤٩٠ - أسرار البيقاء محمد قانبرى
- ٤٩١ - نصوص قصصية من روائع الألب الأرقى نخبة
- ٤٩٢ - محمد على مؤسس مصر الحديثة جى فارچيت
- محمود سيد أحمد
- هويدا عزت محمد
- إمام عبدالفتاح إمام
- جمال عبد الرحمن
- جلال البنا
- إمام عبدالفتاح إمام
- إمام عبدالفتاح إمام
- عبدالرشيد الصادق محمودى
- كمال السيد
- حصّة إبراهيم المنيف
- جمال الرفاعى
- فاطمة عبد الله.
- ربيع وهبة
- أحمد الأنصارى
- مجدى عبدالرازق
- محمد السيد الننة
- عبد الله عبد الرزاق إبراهيم
- سليمان العطار
- سليمان العطار
- سهام عبدالسلام
- عادل هلال عنانى
- سحر توفيق
- أشرف كيلانى
- عبد العزيز حمدى
- عبد العزيز حمدى
- عبد العزيز حمدى
- رضوان السيد
- فاطمة عبد الله
- أحمد الشامى
- رشيد بنحو
- سمير عبدالحميد إبراهيم
- عبداللطيم عبدالقنى رجب
- سمير عبدالحميد إبراهيم
- سمير عبدالحميد إبراهيم
- محمود رجب
- عبد الوهاب علوب
- سمير عبد ربه
- محمد رفعت عواد

محمد صالح الضالع	هارولد بالمر	خطابات إلى طالب الصوتيات	٤٩٣-
شريف الصيفي	نصوص مصرية قديمة	كتاب الموتى: الخروج في النهار	٤٩٤-
حسن عبد ربه المصري	إدوارد تيفان	اللوي	٤٩٥-
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولي	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	٤٩٦-
مصطفى رياض	نادية العلي	العثمانية والتنوع والنوالة في الشرق الأوسط	٤٩٧-
أحمد على بدوي	جويث تاكر ومارجريت مريودز	النساء والتنوع في الشرق الأوسط الحديث	٤٩٨-
فيصل بن خضراء	مجموعة من المؤلفين	تقاطعات: الأمة والمجتمع والتنوع	٤٩٩-
طلعت الشايب	تيتز رووكي	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	٥٠٠-
سحر قراج	أرثر جولد هامر	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	٥٠١-
هالة كمال	مجموعة من المؤلفين	أصوات بديلة	٥٠٢-
محمد نور الدين عبدالمنعم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	٥٠٣-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج١)	٥٠٤-
إسماعيل المصدق	مارتن هايدجر	كتابات أساسية (ج٢)	٥٠٥-
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	ريما كان قديساً (رواية)	٥٠٦-
شوقي فهمي	بيتر شيفر	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	٥٠٧-
عبدالله أحمد إبراهيم	عبدالباقي جليبارلي	المواوية بعد جلال الدين الرومي	٥٠٨-
قاسم عبده قاسم	آدم صبرة	الفقر والإحسان في عصر سلاطين المماليك	٥٠٩-
عبدالرازق عيد	كارلو جولونوني	الأرملة الماكرة (مسرحية)	٥١٠-
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	كوكب مرقع (رواية)	٥١١-
جمال عبد الناصر	تيموثي كوريجان	كتابة النقد السينمائي	٥١٢-
مصطفى إبراهيم فهمي	تيد أنتون	العلم الجسور	٥١٣-
مصطفى بيومي عبد السلام	جوتثان كوار	مدخل إلى النظرية الأدبية	٥١٤-
قدوى ماطي نوجلاس	قدوى ماطي نوجلاس	من التقليد إلى ما بعد الحدائث	٥١٥-
ضبري محمد حسن	أرنولد واشنطن وبنونا باوندي	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	٥١٦-
سمير عبد الحميد إبراهيم	نخبة	نقش على الماء وقصص أخرى	٥١٧-
هاشم أحمد محمد	إسحق عظيموف	استكشاف الأرض والكون	٥١٨-
أحمد الأنصاري	جوزايا رويس	محاضرات في المثالية الحديثة	٥١٩-
أمل الصبان	أحمد يوسف	الولع الفرنسي بمصر من الظم إلى المشروع	٥٢٠-
عبدالوهاب بكر	أرثر جولد سميت	قاموس تراجم مصر الحديثة	٥٢١-
علي إبراهيم منوفي	أميركو كاسترو	إسبانيا في تاريخها	٥٢٢-
علي إبراهيم منوفي	باسيليو بايون مالدونانو	الفن الطليطلي الإسلامي والمحدث	٥٢٣-
محمد مصطفى بدوي	وليم شكسبير	الملك لير (مسرحية)	٥٢٤-
نادية رفعت	دنيس جونسون	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	٥٢٥-
محيي الدين مزيد	ستيفن كروول ووليم راتكين	أقدم لك: السياسة البيئية	٥٢٦-
جمال الجزيري	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	أقدم لك: كافكا	٥٢٧-
جمال الجزيري	طارق علي وفل إيفانز	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	٥٢٨-
حازم محفوظ	محمد إقبال	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني	٥٢٩-
عمر الفاروق عمر	رينيه جينو	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	٥٣٠-

صفاة فتحي	چاك لريدا	٥٢١- ما الذي حنَّ في حنَّه ١١ سبتمبر؟
بشير السباعي	هنري لورنس	٥٢٢- المغامر والمستشرق
محمد طارق الشرقاوي	سوزان جاس	٥٢٣- تعلُّم اللغة الثانية
حمادة إبراهيم	سيقرين لبا	٥٢٤- الإسلاميون الجزائريون
عبدالعزیز بقوش	نظامي الكنجوي	٥٢٥- مخزن الأسرار (شعر)
شوقي جلال	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	٥٢٦- الثقافات وقيم التقدم
عبدالقادر مكاوي	نخبة	٥٢٧- للحب والحرية (شعر)
محمد الحيدوي	كيت دانيلز	٥٢٨- النفس والأخر في قصص يوسف الشاروني
محسن مصيلحي	كاريل تشرشل	٥٢٩- خمس مسرحيات قصيرة
رؤف عباس	السير رونالد ستورس	٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية
مروة رزق	خوان خوسيه مياس	٥٤١- هي تخيل وفلاس أخرى
نعيم عطية	نخبة	٥٤٢- قصص مختارة من الأب اليوناني الحديث
وفاء عبدالقادر	پاتريك بروجان وكريس جرات	٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية
حمدي الجابري	روبرت هنشل وآخرون	٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين
عزت عامر	فرانسيس كريك	٥٤٥- يا له من سباق محموم
توفيق على منصور	ت. ب. وايزمان	٥٤٦- ريموس
جمال الجزيري	فيليب تودي وأن كورس	٥٤٧- أقدم لك: بارت
حمدي الجابري	ريتشارد أوزيرين ويورن فان لون	٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع
جمال الجزيري	بول كويلي وليتا جانز	٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات
حمدي الجابري	نيك جروم وبيرو	٥٥٠- أقدم لك: شكسبير
سمحة الخولي	ساييمون ماندي	٥٥١- الموسيقى والعولة
علي عبد الرؤف البمبي	ميجيل دي ثريانتس	٥٥٢- قصص مثالية
رجاء ياقوت	دانيال لوفرس	٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر
عبدالسميع عمر زين الدين	عفاف لطفى السيد مارسوه	٥٥٤- مصر في عهد محمد علي
أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي	أناتولي أوتكين	٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين
حمدي الجابري	كريس هوروكس وزوران جيفتك	٥٥٦- أقدم لك: جان بودريار
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود وجراهام كرولي	٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد
إمام عبدالفتاح إمام	زيو بين ساردارويورين فان لون	٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية
عبدالحى أحمد سالم	تشا تشاجي	٥٥٩- الماس الزائف (رواية)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)
جلال السعيد الحفناوي	محمد إقبال	٥٦١- جناح جبريل (شعر)
عزت عامر	كارل ساجان	٥٦٢- بلايين وبلايين
صبري محمدي التهامي	خاينيتو بينابينتي	٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)
صبري محمدي التهامي	خاينيتو بينابينتي	٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)
أحمد عبدالحميد أحمد	ديورا ج. جيرنر	٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر
علي السيد علي	موريس بيشوب	٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى
إبراهيم سلامة إبراهيم	مايكل رايس	٥٦٧- الوطن المقتصب
عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر	٥٦٨- الأصول في الرواية

تأثر نيب	هومى بابا	موقع الثقافة	٥٦٩-
يوسف الشارونى	سير روبرت هاى	نول الخليج الفارسى	٥٧٠-
السيد عبد الظاهر	إيميليا دى ثوليتا	تاريخ النقد الإيبانى المعاصر	٥٧١-
كمال السيد	برونو أليوا	الطب فى زمن الفراعنة	٥٧٢-
جمال الجزيرى	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	أقدم لك: فرويد	٥٧٣-
علاء الدين السباعى	حسن بيرنيا	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	٥٧٤-
أحمد محمود	نجير وودز	الاقتصاد السياسى للعولة	٥٧٥-
ناهد العشرى محمد	أمريكو كاسترو	فكر ثرياتس	٥٧٦-
محمد قدرى عمارة	كارلو كولاودى	مغامرات بينوكيو	٥٧٧-
محمد إبراهيم وعصام عبد الروح	أيومى ميزوكوشى	الجماليات عند كيتس وهنت	٥٧٨-
محيى الدين مزيد	چون ماهر وچودى جرونز	أقدم لك: تشومسكى	٥٧٩-
باشراف: محمد فتحى عبدالهادى	چون فيرز وپول سيترجز	دائرة المعارف الدولية (مج ١)	٥٨٠-
سليم عبد الأمير حمدان	ماريو بوزو	الحمقى يموتون (رواية)	٥٨١-
سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيرى	مرايا على الذات (رواية)	٥٨٢-
سليم عبد الأمير حمدان	أحمد محمود	الجيران (رواية)	٥٨٣-
سليم عبد الأمير حمدان	محمود نوات أبادى	سفر (رواية)	٥٨٤-
سليم عبد الأمير حمدان	هوشنك كلشيرى	الأمير احتجاج (رواية)	٥٨٥-
سهام عبد السلام	ليزييت مالكموس وروى أرمز	السينما العربية والأفريقية	٥٨٦-
عبدالعزيز حمدى	مجموعة من المؤلفين	تاريخ تطور الفكر الصينى	٥٨٧-
ماهر جويجاتى	أنيس كابرول	أمخوتب الثالث	٥٨٨-
عبدالله عبدالرازق إبراهيم	فيلكس دييوا	تمبكت العجبية	٥٨٩-
محمود مهدى عبدالله	نخبة	أساطير من الموروثات الشعبية الفتنية	٥٩٠-
على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد	هوراتيوس	الشاعر والفكر	٥٩١-
مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان	محمد صبرى السورىونى	الثورة المصرية (ج ١)	٥٩٢-
بكر الحلو	پول فاليرى	قصائد ساحرة	٥٩٣-
أمانى فوزى	سوزانا تامارو	القلب السمين (قصة أطفال)	٥٩٤-
مجموعة من المترجمين	إكوانو بانولى	الحكم والسياسة فى أفريقيا (ج ٢)	٥٩٥-
إيهاب عبدالرحيم محمد	روبرت ديچارليه وآخرون	الصحة العقلية فى العالم	٥٩٦-
جمال عبدالرحمن	خوليو كاروياروخا	مسلمو غرناطة	٥٩٧-
بيومى على قنديل	نونالد ريدفورد	مصر وكنعان وإسرائيل	٥٩٨-
محمود علاوى	هرداد مهريين	فلسفة الشرق	٥٩٩-
مدحت طه	برنارد لويس	الإسلام فى التاريخ	٦٠٠-
أيمن بكر وسمر الشيشكى	ريان فوت	النسوية والمواطنة	٦٠١-
إيمان عبدالعزيز	چيمس وايامز	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	٦٠٢-
وقاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى	أرثر أيزابجر	النقد الثقافى	٦٠٣-
توفيق على منصور	پاتريك ل. أبوت	الكوارث الطبيعية (مج ١)	٦٠٤-
مصطفى إبراهيم فهمى	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مخاطر كوكبنا المضطرب	٦٠٥-
محمود إبراهيم السعنى	ريتشارد هاريس	قصة البردى اليونانى فى مصر	٦٠٦-
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	قلب الجزيرة العربية (ج ١)	٦٠٧-
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيلبى	قلب الجزيرة العربية (ج ٢)	٦٠٨-

شوقي جلال	أجنر فوج	الانتخاب الثقافي	٦٠٩-
على إبراهيم متوفى	رفائيل لويث جوثمان	العمارة المدججة	٦١٠-
قخرى صالح	تيرى إيجلتون	النقد والأيدولوجية	٦١١-
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	رسالة النفسية	٦١٢-
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	السياحة والسياسة	٦١٣-
منى قطان	فوزية أسعد	بيت الأقصر الكبير (رواية)	٦١٤-
محمد رفعت عواد	أليس بسيرينى	عرض الأحداث التي وقعت في بغداد من ١٩١٧ إلى ١٩١٨	٦١٥-
أحمد محمود	روبرت يانج	أساطير بيضاء	٦١٦-
أحمد محمود	هوراس بيك	الفولكلور والبحر	٦١٧-
جلال البنا	تشارلز فيلبس	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	٦١٨-
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	مفاتيح أورشلليم القدس	٦١٩-
بشير السباعى	توماس ماستاك	السلام الصليبي	٦٢٠-
محمد السباعى	عمر الخيام	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	٦٢١-
أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى	أى تشينغ	أشعار من عالم اسمه الصين	٦٢٢-
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	نوابر جحا الإيراني	٦٢٣-
غادة الحلوانى	نخبة	شعر المرأة الأفريقية	٦٢٤-
محمد برادة	جان جينيه	الجرح السرى	٦٢٥-
توفيق على منصور	نخبة	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	٦٢٦-
عبدالوهاب علوب	نخبة	حكايات إيرانية	٦٢٧-
مجدى محمود المليجى	تشارلز داروين	أصل الأنواع	٦٢٨-
عزة الخميسى	نيقولا جويات	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	٦٢٩-
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	سيرتى الذاتية	٦٣٠-
بإشراق: حسن طلب	نخبة	مختارات من الشعر الأفرقى المعاصر	٦٣١-
رانيا محمد	دولورس برامون	المسلمون واليهود فى مملكة فانسيا	٦٣٢-
حمادة إبراهيم	نخبة	الحب وفنونه (شعر)	٦٣٣-
مصطفى البهنساوى	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مكتبة الإسكندرية	٦٣٤-
سمير كريم	جودة عبد الخالق	التثيت والتكيف فى مصر	٦٣٥-
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	حج يولندة	٦٣٦-
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتر	مصر الخديوية	٦٣٧-
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن وارين	الديمقراطية والشعر	٦٣٨-
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	فندق الأرق (شعر)	٦٣٩-
حسن حبشى	الأميرة أناكومنينا	ألكسياد	٦٤٠-
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	برتراند رسل (مختارات)	٦٤١-
ممنوح عبد المنعم	چوناثان ميلر ويورين فان لون	أقدم لك: داروين والتطور	٦٤٢-
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الملجد النريابادى	سفرنامه حجاز (شعر)	٦٤٣-
فتح الله الشيخ	هوارد دتيرنر	العلوم عند المسلمين	٦٤٤-
عبد الوهاب علوب	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	السبلة النظرية الأمريكية ومساندما الناطية	٦٤٥-
عبد الوهاب علوب	سپهر نبيح	قصة الثورة الإيرانية	٦٤٦-

رسائل من مصر	جون نيتيه	فتحى العشرى	٦٤٧-
بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت	٦٤٨-
الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف	٦٤٩-
الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب	٦٥٠-
ديليسيبى الذى لا نعرفه	ويتانق قديمة	أمل الصبان	٦٥١-
آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين	٦٥٢-
مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستتر	سمير جريس	٦٥٣-
أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى	٦٥٤-
أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه	٦٥٥-
خيز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى	٦٥٦-
محاكم التفتيش والمورسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس	٦٥٧-
حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى	٦٥٨-
قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم	٦٥٩-
نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد	٦٦٠-
روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى	٦٦١-
رحلة إلى الجنود	داسو سالديبار	صبرى التهامى	٦٦٢-
امراة عابدة	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى	٦٦٣-
الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وأنا راى هارك	عصام زكريا	٦٦٤-
عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد	٦٦٥-
تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	روافجانج اتش كلين	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب	٦٦٦-
الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولندر	على ليلة	٦٦٧-
ثقافات العولة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	إلى الجبالى	٦٦٨-
ثلاث مسرحيات	ول شوينكا	نسيم مجلى	٦٦٩-
أشعار جوستاف أنولفو	جوستاف أنولفو بىكر	ماهر البطوطى	٦٧٠-
قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدين	على عبدالأمير صالح	٦٧١-
مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهاى سالم	٦٧٢-
ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى	٦٧٣-
ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور	٦٧٤-
أثينا السوداء (ج١، ج٢، مج١)	مارتن برنال	ياشرف: محمود إبراهيم السعدنى	٦٧٥-
أثينا السوداء (ج١، ج٢، مج٢)	مارتن برنال	ياشرف: محمود إبراهيم السعدنى	٦٧٦-
تاريخ الأدب فى إيران (ج١، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى	٦٧٧-
تاريخ الأدب فى إيران (ج١، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى	٦٧٨-
مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور	٦٧٩-
المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غريال	٦٨٠-
هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى	٦٨١-
نجوم حطر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن	٦٨٢-
سكين واحد لكل رجل (رواية)	تى. م. أوكو	صبرى محمد حسن	٦٨٣-
الأصاال القصصية الكاملة (أنا كتبا) (ج١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد يهنسى	٦٨٤-

رذق أحمد بهنسى	أوراثيرو كيروجا	٦٨٥- الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (ج٢)
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	٦٨٦- امرأة محارية (رواية)
ماجدة العناني	قتانة حاج سيد جوادى	٦٨٧- محبوبة (رواية)
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	قيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى
هناء عبد الفتاح	تادووش روجيفيتش	٦٨٩- الملف (مسرحية)
رمسيس عوض	(مختارات)	٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا
رمسيس عوض	(مختارات)	٦٩١- ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته
حمدى الجابرى	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	٦٩٢- أقدم لك: الوجودية
جمال الجزيرى	حائيم برشيت وآخرون	٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)
حمدى الجابرى	جيف كولينز وييل ماييلين	٦٩٤- أقدم لك: دريدا
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وچودى جروف	٦٩٥- أقدم لك: رسل
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	٦٩٦- أقدم لك: روسو
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وچودى جروف	٦٩٧- أقدم لك: أرسطو
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سبنسر وأندريجى كروز	٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى
بسمة عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	٧٠٠- الكاتب وواقعه
منى البرنس	وليم رود فيفيان	٧٠١- الذاكرة والحداث
عبد العزيز فهمى	جوستينيان	٧٠٢- مونة جوستيان فى الفقه الرومانى (ميراث الترجمة)
أمين الشواربى	إيوارد جرانفيل براون	٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	٧٠٤- فيه ما فيه
عبدالحميد مذكور	الإمام الغزالى	٧٠٥- فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام
عزت عامر	چونسون ف. يان	٧٠٦- الشفرة الوراثية وكتاب التحولات
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	٧٠٧- أقدم لك: فالتر بنيامين
رؤف عباس	دونالد مالكوام ريد	٧٠٨- فراعنة من؟
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٧٠٩- معنى الحياة
دعاء محمد الخطيب	إيان هاتشبائى وجوموران - إليس	٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة
هناء عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	٧١١- مرة التاج
سليمان البستاني	هوميروس	٧١٢- الإلياذة (ج١) (ميراث الترجمة)
سليمان البستاني	هوميروس	٧١٣- الإلياذة (ج٢) (ميراث الترجمة)
حناء صاوه	لامنيه	٧١٤- حديث القلوب (ميراث الترجمة)
أحمد فتحى زغلول	إدمون ديمولان	٧١٥- سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٦- جامعة كل المعارف (ج٢)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٧- جامعة كل المعارف (ج٢)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٨- جامعة كل المعارف (ج٥)
جميلة كامل	م. جولديرج	٧١٩- مسرح الأطلاق. فلسفة وطريقة
على شعبان وأحمد الخطيب	دونام چونسون	٧٢٠- مداخل إلى البحث فى نظم اللغة الثانية
مصطفى لييب عبد الغنى	ه. أ. ولفسون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)
الصمصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصفيحة وقصص أخرى
أحمد ثابت	إثرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية

عبدہ الریس	پول روینسون	۷۲۴- الیصار الفرویدی
می مقلد	جون فینکس	۷۲۵- الاضطراب النفسی
مرورہ محمد ابراہیم	غیرمو غوثالییس بوستو	۷۲۶- المورسکیون فی المغرب
وحید السعید	باچین	۷۲۷- حلم البحر (روایۃ)
أمیرة جمعة	موريس آلیہ	۷۲۸- العولمة: تدمیر العمالة والنمو
هویدا عزت	صالح زبیاکلام	۷۲۹- الثورة الإسلامية فی ایران
عزت عامر	آن جاتی	۷۳۰- حکایات من السهول الأفريقية
محمد قدری عمارة	مجموعۃ من المؤلفین	۷۳۱- النوع: النکر والأشئ بین التميز والاختلاف
سمیر جریس	إنجو شولتسه	۷۳۲- قصص بسيطة (روایۃ)
محمد مصطفی بدوی	ولیم شیکسپیر	۷۳۳- مأساة عطیل (مسرحة)
أمل الصبان	أحمد یوسف	۷۳۴- بونابرت فی الشرق الإسلامی
محمود محمد مکی	مایکل کوپرسون	۷۳۵- فن السیرة فی العربیة
شعبان مکاری	هوارد زن	۷۳۶- التاريخ الشعبي للولايات المتحدة (ج۱)
توفیق علی منصور	پاتریک ل. آبوت	۷۳۷- الكوارث الطبيعية (مج۲)
محمد عواد	چیرار دی جورج	۷۳۸- دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى العولمة الملوکية
محمد عواد	چیرار دی جورج	۷۳۹- دمشق من الإمبراطورية المشائية حتى العهد المملوکی
مرفت یاقوت	باری هندس	۷۴۰- خطابات السلطة
أحمد هیکل	برنارد لويس	۷۴۱- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسی	خوسیه لاکوانرا	۷۴۲- أرض حارة
شوقی جلال	روبرت اونجر	۷۴۳- الثقافة: منظور داروینی
سمیر عبد الحمید	محمد إقبال	۷۴۴- دیوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زید	بیک الدنبلی	۷۴۵- المآثر السلطانية
حسن النعمی	جوزیف آ. شومبیتز	۷۴۶- تاریخ التحليل الاقتصادي (مج۱)
إیمان عبد العزیز	تریفور وایتوک	۷۴۷- الاستعارة فی لغة السينما
سمیر کریم	فرانسیس بویل	۷۴۸- تدمیر النظام العالمی
باتسی جمال الدین	ل.ج. کالقیه	۷۴۹- إیکولوجیا لغات العالم
یاشراف: أحمد عثمان	هومیروس	۷۵۰- الإلیاذة
علاء السباعی	نخبة	۷۵۱- الإسراء والمعراج فی تراث الشعر الفارسی
نمر عارودی	جمال قارصلی	۷۵۲- ألمانيا بین عقدة الذنب والخوف
محسن یوسف	إسماعیل سراج الدین وآخرون	۷۵۳- التنمية والقيم
عبدالسلام حیدر	آنا ماری شیمیل	۷۵۴- الشرق والغرب
علی ابراہیم منوفی	آنر ب. بیکی	۷۵۵- تاریخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إنریکی خاریدیل بوتیلا	۷۵۶- ذات العيون الساحرة
آمال الرویس	پاتریشیا کروون	۷۵۷- تجارة مكة
عاطف عبدالحمید	بروس روینز	۷۵۸- الإحساس بالعولمة
جلال الحفناوی	مواوی سید محمد	۷۵۹- النثر الأردی
السید الأسود	السید الأسود	۷۶۰- الدین والتصور الشعبي للكون
فاطمة ناعوت	فیرچینیا وولف	۷۶۱- جیوب مثقلة بالحجارة (روایۃ)

عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	المسلم عدواً و صديقاً	٧٦٢-
نجوى عمر	أنريكو بيا	الحياة فى مصر	٧٦٣-
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	٧٦٤-
حازم محفوظ	خواجه مير درد الدهلوى	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	٧٦٥-
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيرى هنتش	الشرق المتخيل	٧٦٦-
غازى برو	نسيب سمير الحسينى	الغرب المتخيل	٧٦٧-
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	حوار الثقافات	٧٦٨-
رندا النشار و ضياء زاهر	فريدريك هتمان	أنباء أحياء	٧٦٩-
صبرى التهامى	بينيتو بيريت جالوس	السيدة بيرفيكتا	٧٧٠-
صبرى التهامى	ريكاردو جوويرالديس	السيد سيجوندو سومبرا	٧٧١-
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	بريخت ما بعد الحداثة	٧٧٢-
ياشرف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزر و پول ستيرجز	دائرة المعارف الدولية (ج٢)	٧٧٣-
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	٧٧٤-
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	مرآة العروس	٧٧٥-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج١)	٧٧٦-
عزت عامر	چيمس إ. ليدسى	الانفجار الأعظم	٧٧٧-
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد و رضا القادري	صفوة المديح	٧٧٨-
سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكهاشى	نخبة	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	٧٧٩-
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	٧٨٠-
نبيلة بدران	هدى بدران	الطريق إلى بكين	٧٨١-
جمال عبد المقصود	مارفن كارلسون	المسرح المسكون	٧٨٢-
طلعت السروجى	فيك جورج و پول ويلدنج	العولة والرعاية الإنسانية	٧٨٣-
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	الإسامة للطفل	٧٨٤-
سمير حنا صادق	كارل ساجان	تأملات عن تطور نكاه الإنسان	٧٨٥-
سحر توفيق	مارجريت أتوود	المننبة (رواية)	٧٨٦-
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	العودة من فلسطين	٧٨٧-
خالد أبو اليزيد البلتاجى	ميروسلاف فرنر	سر الأهرامات	٧٨٨-
منى الدروبي	هاچين	الانتظار (رواية)	٧٨٩-
جيهان العيسوى	مونيك بونتو	الفرانكفونية العربية	٧٩٠-
ماهر جويجاتى	محمد الشيمى	الطور ومعامل الطور فى مصر القديمة	٧٩١-
منى إبراهيم	منى ميخائيل	دراسات حول القصص القصيرة لإنريز و محفوظ	٧٩٢-
رؤف وصفى	جون جريفيس	ثلاث رؤى للمستقبل	٧٩٣-
شعبان مكاوى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	٧٩٤-
على عبد الرؤف البيمى	نخبة	مختارات من الشعر الإسباني (ج١)	٧٩٥-
حمزة المزينى	نعوم تشومسكى	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	٧٩٦-
طلعت شاهين	نخبة	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلرد و دافيد جيلرد	الإرشاد النفسى للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمى الجمال	آن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-

عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثي	قضايا في علم اللغة التطبيقي	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولي	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شرين محمود الرقاعي	ماريا سوليداد	مسلمو غرناطة في الآداب الأوروبية	٨٠٢-
عزة الخميسي	توماس باترسون	التغيير والتنمية في القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الطلوجي	دانيل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	سوسيولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البريري	كازو إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المصرية	٨٠٦-
خيري نومة	ميريام كوك	يحي حقي: تشريح مفكر مصري	٨٠٧-
أحمد محمود	ديفيد دابلو ايش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسي	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وجوزيف كرويسي	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعيمي	جوزيف أشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهي	ميشيل مافيزولي	تأمل العالم الصرورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	آني إرنو	لم أخرج من ليلي (رواية)	٨١٣-
أمال الروبي	نافتال لويس	الحياة اليومية في مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى لييب عبدالغني	ه. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عروكي	فيليب روجيه	العنوا الأمريكي	٨١٦-
محمد لطفى جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	٨١٧-
ناصر أحمد وياتسي جمال الدين	أندرية ريمون	العرفيون والتجار في القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد وياتسي جمال الدين	أندرية ريمون	العرفيون والتجار في القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندي	وليم شكسبير	هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامي	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعي (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعي	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	عصر النهضة في إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	عصر النهضة في إيطاليا (ج٢) (ميراث الترجمة)	٨٢٦-
محمد علي فرج	نونالد ب كول وثريا تركي	امل مطروح العبد والمستهنون والذين يفتنون الملائكة	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتاين	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	٨٢٨-
مجدى عبد الحافظ	إرنست رينان وجمال الدين الأقفاني	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد النادي وعطية عاشور	ألبرت أينشتاين وليوبولد إنفلد	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	٨٣١-
حسن النعيمي	جوزيف أشومبيتر	تاريخ التحليل الاقتصادي (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	نبيح الله صفا	كنز الشعر	٨٣٤-
علاء عزمي	بيتر أوربان	تشيوخوف: حياة في صور	٨٣٥-
ممدوح البستاوي	مرثيدس غارثيا	بين الإسلام والغرب	٨٣٦-
علي فهمي عبدالسلام	ناتاليا فيكو	عناكب في المصيدة	٨٣٧-

لبنى صبرى	نعوم تشومسكى	٨٢٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات اخرى
جمال الجزيرى	ستيوارت سين ويورين فان لون	٨٢٩- أقدم لك: النظرية النقدية
فوزية حسن	جوتنهولد ليسينج	٨٤٠- الخواتم الثلاثة
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	٨٤١- هملت: أمير الدانمارك
محمد محمد بونس	فريد الدين العطار	٨٤٢- منظومة مصيبت تامه (مج ٢)
محمد علاء الدين منصور	نخبة	٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى
سمير كريم	كريمة كريم	٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولة
طلعت الشايب	نيكولاس جويات	٨٤٥- غياب السلام
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٨٤٦- الطبيعة البشرية
أحمد محمود	مايكل ألبرت	٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية
عبد الهادى أبو ريدة	يوليوس قلهاوزن	٨٤٨- تاريخ الدولة العربية (ميراث الترجمة)
بدر توفيق	وليم شكسبير	٨٤٩- سونيتات شكسبير
جابر عصفور	مقالات مختارة	٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحدائ
يوسف مراد	كلود برنار	٨٥١- الطب التجريبي (ميراث الترجمة)
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد دوكنز	٨٥٢- العلم والحقيقة
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونانو	٨٥٣- الصارة فى الأنلس: صارة اللن والمسون (مج ١)
على إبراهيم منوفى	باسيليو بابون مالدونانو	٨٥٤- الصارة فى الأنلس: صارة اللن والمسون (مج ٢)
محمد أحمد حمد	جيرارد ستيم	٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأنب
عائشة سويلم	فرانثيسكو ماركيث يانو بيانويا	٨٥٦- القضية المريسكية من وجهة نظر اخرى
كامل عويد العامرى	أندريه بريتون	٨٥٧- نانجا (رواية)
بيومى قنديل	ثيو هرمانز	٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية
مصطفى ماهر	إيف شيميل	٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم
عادل صبحى تكلا	فان بلمن	٨٦٠- مصر وأوروبا
محمد الخولى	چين سميث	٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا
محسن الدمرداش	أرتور شنتيسلر	٨٦٢- ببقاء الكاكادو
محمد علاء الدين منصور	على أكبر دافى	٨٦٣- لقاء بالشعراء
عبد الرحيم الرفاعى	نورين إنجرامز	٨٦٤- أوراق فلسطينية
شوقى جلال	تيرى إيجلتون	٨٦٥- فكرة الثقافة
محمد علاء الدين منصور	مجموعة من المؤلفين	٨٦٦- رسائل خمس فى الأفاق والأنفس
صبرى محمد حسن	ديفيد مايلو	٨٦٧- المهمة الاستوائية (رواية)
محمد علاء الدين منصور	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	٨٦٨- الشعر الفارسى المعاصر
شوقى جلال	روين نونيار وآخرون	٨٦٩- تطور الثقافة
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧٠- عشر مسرحيات (ج ١)
حمادة إبراهيم	نخبة	٨٧١- عشر مسرحيات (ج ٢)
محسن فرجاني	لاوتسو	٨٧٢- كتاب الطلوا
بهاء شاهين	تقرير صابر عن اليونسكو	٨٧٣- معلمون لمدارس المستقبل
ظهور أحمد	جاويد إقبال	٨٧٤- النهر الخالد (مج ١)
ظهور أحمد	جاويد إقبال	٨٧٥- النهر الخالد (مج ٢)

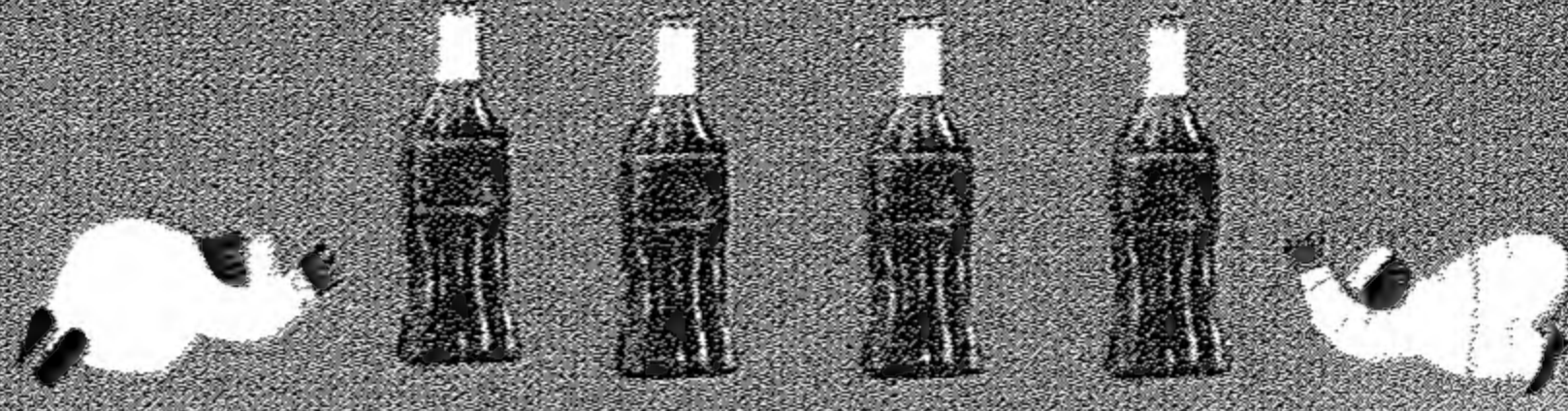
- ٨٧٦- دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١) هنرى جورج فارمر
٨٧٧- أدب الجدل والدفاع فى العربية مورتس شتينشتيدر
٨٧٨- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج١) تشارلز نوتى
٨٧٩- ترحال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، مج٢) تشارلز نوتى
٨٨٠- الواحات المفقودة أحمد حسنين بك
٨٨١- المستغيرون : خيمة وخيانة جلال آل أحمد
٨٨٢- أغاني شيراز (ج١) (ميراث الترجمة) حافظ الشيرازى
٨٨٣- أغاني شيراز (ج٢) (ميراث الترجمة) حافظ الشيرازى
٨٨٤- تعلم الأطفال الصغار باربرا تيزار ومارتن هيوز
٨٨٥- روح الإرهاب جان بودريار
٨٨٦- الترجمة والإمبراطورية دوجلاس روبنسون
٨٨٧- غزليات سعدى (شعر) سعدى الشيرازى
٨٨٨- أزهار مسلك الليل (رواية) مريم جعفرى
٨٨٩- سارتورس (ميراث الترجمة) وليم فوكنر
٨٩٠- منتخبات أشعار فراغى مخدومقلى فراغى
٨٩١- مفاوضات مع الموتى مارجرىيت أتوود
٨٩٢- تاريخ المسيحية الشرقية عزيز سوربال عطية
٨٩٣- عبادة الإنسان الحر برتراند راسل
٨٩٤- الطريق إلى مكة محمد أسد
٨٩٥- وادى الفوضى (رواية) فريدريش دورينمات
٨٩٦- شعر الضفاف الأخرى نخبة
٨٩٧- اختراق الجزيرة العربية ديفيد جورج هوجارث
٨٩٨- الإسلام والعلم برويز أمير على
٨٩٩- الدبلوماسية الفاعلة بيتر مارشال
٩٠٠- تيارات نقدية محدثة مقالات مختارة
٩٠١- مختارات من شعر لى جاو شينج لى جاو شينج
٩٠٢- آلهة مصر القديمة وأساطيرها روبرت أرنولد
٩٠٣- أفلام ومناهج (مج١) بيل نيكولز
٩٠٤- أفلام ومناهج (مج٢) بيل نيكولز
٩٠٥- تراث الهند ج. ت. جارات
٩٠٦- أسس الحوار فى القرآن هيربرت بوسه
٩٠٧- آرثر... متعة الحياة (رواية) فرانسواز چيرو
٩٠٨- الحلقة النقدية ديفيد كورنر هوى
٩٠٩- الفنون والآداب تحت ضغط العولمة چووست سمايرز
٩١٠- بروميثيوس بلا قيود دافيد س. ليندس
٩١١- غبار النجوم جون جريسين
٩١٢- ترجمت يحيى حقى (ج١) (ميراث الترجمة) روايات مختارة
٩١٣- ترجمت يحيى حقى (ج٢) (ميراث الترجمة) مسرحيات مختارة
- أمانى المنياوى
صلاح محجوب
صبيرى محمد حسن
صبيرى محمد حسن
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه
سلوى عباس
إبراهيم الشواربى
إبراهيم الشواربى
محمد رشدى سالم
بدر عرويكى
ثائر نيب
محمد علاء الدين منصور
هويدا عزت
ميخائيل رومان
الصفصافى أحمد القطورى
عزة مازن
إسحاق عبيد
محمد قدرى عمارة
رفعت السيد على
يسرى خميس
زين العابدين قواد
صبيرى محمد حسن
محمود خيال
أحمد مختار الجمال
جابر عصفور
عبد العزيز حمدى
مروة الفقى
حسين بيومى
حسين بيومى
جلال السعيد الحفناوى
أحمد هويدى
فاطمة خليل
خالدة حامد
طلعت الشايب
مى رفعت سلطان
عزت عامر
يحيى حقى
يحيى حقى

ف : 10515 تاريخ اسلام : 7/2/2008

يحيى حقى	ديزموند ستيوارت	ترجمات يحيى حقى (ج2) (ميراث الترجمة)	٩١٤-
منيرة كروان	روجر چست	المرأة في أثينا: الواقع والقانون	٩١٥-
سامية الجندى وعبدالعظيم حماد	أنور عبد الملك	الجدلية الاجتماعية	٩١٦-
إشراف: أحمد عثمان	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج١)	٩١٧-
إشراف: فاطمة موسى	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٤)	٩١٨-
إشراف: رضوى عاشور	نخبة	موسوعة كمبريدج (ج٦)	٩١٩-
فاطمة قنديل	چين جبران و خليل جبران	خليل جبران. حياته وعالمه	٩٢٠-
ثريا إقبال	أحمدو كوروما	لله الأمر (رواية)	٩٢١-
جمال عبد الرحمن	ميكيل دى إيبالنا	الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى	٩٢٢-
محمد حرب	ناظم حكمت	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	٩٢٣-
فاطمة عبد الله	كريستيان دى روش نوبلكور	حتشيسوت: عظمة وسحر وغموض	٩٢٤-
فاطمة عبد الله	كريستيان دى روش نوبلكور	رمسيس الثاني: فرعون المعجزات	٩٢٥-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	توطى في صحراء الجزيرة العربية (ج٢، مج١)	٩٢٦-
صبرى محمد حسن	تشارلز دوتى	توطى في صحراء الجزيرة العربية (ج٢، مج٢)	٩٢٧-
عزت عامر	كيتى فرجسون	سجون الضوء	٩٢٨-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج١)	٩٢٩-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج٢)	٩٣٠-
مجدى المليجى	تشارلز داروين	نشأة الإنسان (مج٣)	٩٣١-
إبراهيم الشواربى	رشيد الدين العمري	حلق السحر في نطق الشعر (ميراث الترجمة)	٩٣٢-
على منوفى	كارلوس بوسونيو	اللاعقلانية الشعرية	٩٣٣-
طلعت الشايب	تشارلز لارسون	محنة الكاتب الأفريقى	٩٣٤-
علا عادل	فولكر جيبهارت	تاريخ الفن الألماني	٩٣٥-
أحمد فوزى عبد الحميد	إد ريجيس	بيولوجيا الجحيم	٩٣٦-
عبدالحى سالم	أحمد ندالو	هيا نحكى (قصص أطفال)	٩٣٧-
سعيد العليمى	بيير بورديو	الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيجر	٩٣٨-
أحمد مستجير	ستيفن چونسون	سجن العقل	٩٣٩-
علاء على زين العابدين	مجموعة مقالات	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	٩٤٠-
صبرى محمد حسن	أى كويتى أرماء	الجماليات لم يولدن بعد	٩٤١-

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣١٥٣ / ٢٠٠٦



رواية عن الفساد! على حد قول جريدة الاسبيكتور اللندنية! وهي
"معالجة لموضوع الفساد... تلك العدوى التي يجلبها الفقر على من
يرتكبونها".

وقد ورد في الملحق الأدبي لجريدة التايمز أن القضية الرئيسية
لهذه الرواية هي قصة رجل مستقيم يقاوم إغراءات الرشاوى السهلة
والإشبياعات السهلة الرخيصة، ولكنه لا يحصل على شيء جزاء أمانته،
سوى احتقار من يحبهم له. هذه القصة يسردها المؤلف سرداً ينبض
بالحياة والحيوية.

لألف: عمرو الكفرلوس

الجماليات لم يولدن بعدن بعد

Price: 16.00 L.E.

